

لبّ اللباب

فيما جرى على المكتبات والكتاب

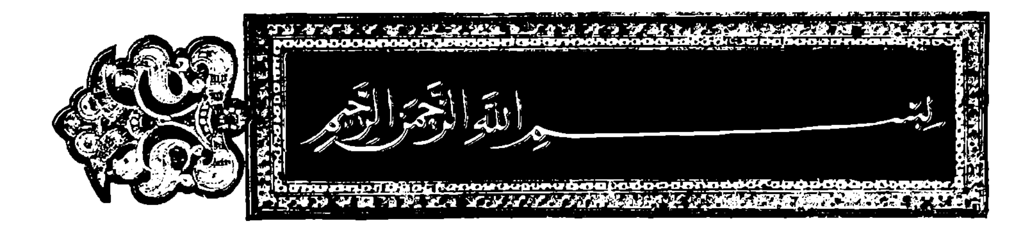
(القرن الهجري الأوّل)

تأليف

الشيخ شاكر الشيخ محمّد القَرشي

تحقيق ومراجعة

دار التراث ـ النجف الأشرف


بسم الله الرحمن الرحيم

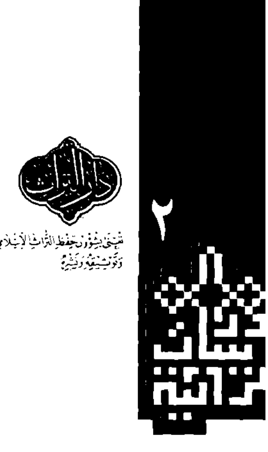




لبّ اللباب
فيما جرى على المكتبات والكتاب
(القرن الهجري الأوّل)

تأليف
الشيخ شاكر الشيخ محمّد القَرشي

تحقيق ومراجعة
دار التراث ـ النجف الأشرف



لبّ اللباب فيما جرى على المكتبات والكتاب

(القرن الهجري الأوّل)

تاليف: الشيخ شاكر الشيخ محمّد القَرشي

تحقيق ومراجعة: دار التراث ـ النجف الأشرف

منشورات دار التراث ـ النجف الأشرف . الطبعة الأولى ١٤٣٥

طبع في الفين نسخة

النجف الأشرف . حيّ الحنّانة . شارع البريد المركزي . زقاق ٥ . محلّة ١٠١ . العقار المرقّم ١٥٠٥/٣٧٤ . الطابق الثاني . دار التراث .

الهاتف: ٧٨٠٠٠١٨٣٥١ (٠٠٩٦٤) الكتروني: dar-alturath@gmail.com dar-alturath.com

مراكز التوزيع

النجف الأشرف . حيّ الحنّانة . شارع البريد المركزي . زقاق ٥ . محلّة ١٠١ . العقار المرقّم ١٥٠٥/٣٧٤ . الطابق الثاني . دار التراث .

الهاتف: ٧٨٠٠٠١٨٣٥١ (٠٠٩٦٤)

كربلاء المقدسة . شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام . مكتبة إبن فهد الحلّي رحمه الله

الهاتف: ٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ (٠٠٩٦٤)

مشهد . تقاطع الشهداء . حديقة النادري . زقاق خوراكيان . بناية گنجينه كتاب، منشورات دليل ما

الهاتف: ٢٢٣٧١١٣٥ (٠٠٩٨٥١١)

قــم . شارع معلّم . مجمع ناشران . الرقم ١٠٢ . مكتبة العلّامة المجلسي رحمه الله

الهاتف: ٣٧٨٤٢٦١٦ (٠٠٩٨٢٥) فكس: ٣٧٨٤٢٦١٧ (٠٠٩٨٢٥)

بغداد . شارع المتنبي . بناية دار القاموسي للنشر و التوزيع

الهاتف: ٧٩٠١١٥٧٠٨٨ (٠٠٩٦٤)

الحلّة . بناية نقابة المهندسين . مقابل معمل نسيج الحلّة . دار الفرات للثقافة و الإعلام

الهاتف: ٧٨٠٩٤٩٤٧٧٣ (٠٠٩٦٤)

كلمة المكتبة

بسم الله الرحمن الرحيم

عند استعراضنا للتاريخ نرى تعرّض التراث الإسلامي والعلمي للإحراق و الإتلاف عبر العصور.. وذلك بيد السلطات الجائرة تارة أو بعض الأشخاص مرّة أخرى لأغراض عديدة؛ منها : أسباب شرعيّة، سياسيّة، اجتماعيّة و تعصّبيّة.. وغيرها بجميع الأيدولوجيات الواقعة ورائه..

ومن أبشع نماذج ذلك الإتلاف هو إتلاف كتب الحضارات القديمة، ولا شكّ أنّ منطقة العراق ومصر وإيران هي مكان الحضارات العريقة التي انتشر نورها بين فئات البشريّة، فذهبت كتبهم بالإحراق والإغراق والسطو.. ولو اتُّخذ القرار بحفظ تلك الكتب لا إتلافها، لأغنوا الإنسانيّة بعلوم لا تقدّر قيمتها و مكانتها..

و تلك من الخسارات التي لا تجبر..

بينما أنّ الإسلام كان في طليعة الأديان السماويّة، وأكثرها احتكاكاً بالحياة، وأنجحها تطبيقاً لمبادئه على الصعيد العلمي.. وله أُسس ومباني وأصول تدافع عن فكره وكيانه، ولا يخاف أن يواجه بباقي الحضارات والأديان السابقة له..

ومن استقرائنا للتاريخ نلاحظ أن هذا الإتلاف لم ينحصر في تراث الحضارات القديمة قبل الإسلام فقط، بل كثيراً ما فعل التعصّب والجهل بأيّ حجّة ودليل ـ من الغثّ والسمين ـ كوارث عظيمةً على تراثنا الإسلامي بشتّى ألوانه ومذاهبه على حد سواء ما كان منه من التراث السنّي والشيعي الذي لم ولن يُعوَّض أبداً..

وهذا الكتاب دراسة تمحيصيّة حول حرق وإتلاف الكتب والمكتبات وأسبابه وأغراضه في القرون المنصرمة، ورتّب مؤلّفه جناب الشيخ الفاضل العلاّمة الشيخ شاكر القرشي ـ أدام الله توفيقه وسداده ـ هذا البحث على القرون، وأورد في كلّ قرن ما حدث من الإحراق والإتلاف على الكتب والمكتبات.

وقد زرتُ فضيلة الشيخ المؤلّف بمعيّة الأخ الفاضل الأستاذ أحمد علي مجيد الحلّي ـ وفّقه الله ورعاه ـ وتكلّمنا مع فضيلته حول الكتاب وقد أظهره لي، وأعجبني وكان حصيلة ثمرة سنوات عديدة من عمره في القراءة والتأليف، ورأيته عملاً جيّداً في موضوعه.. فعرضنا عليه ترتيب الكتاب وتخريجه من جديد وطباعته..

وها قد وفّقنا الله لذلك العمل عرفاناً وشكراً لجناب فضيلة الشيخ المؤلّف ـ أطال الله عمره ـ.. ولا أنسى جهود جناب الأستاذ المهندس صلاح خضر عجينه الذي لازم الشيخ وأعانه على ترتيب كتابه هذا واستنساخه، وكذا يجب عليّ أن أشكر الأخ الفاضل الشيخ يوسف قرباني ـ وفّقه الله للعمل الصالح ـ الذي ساعدني في استخراج مصادر الكتاب ومقابلته وتصحيحه.

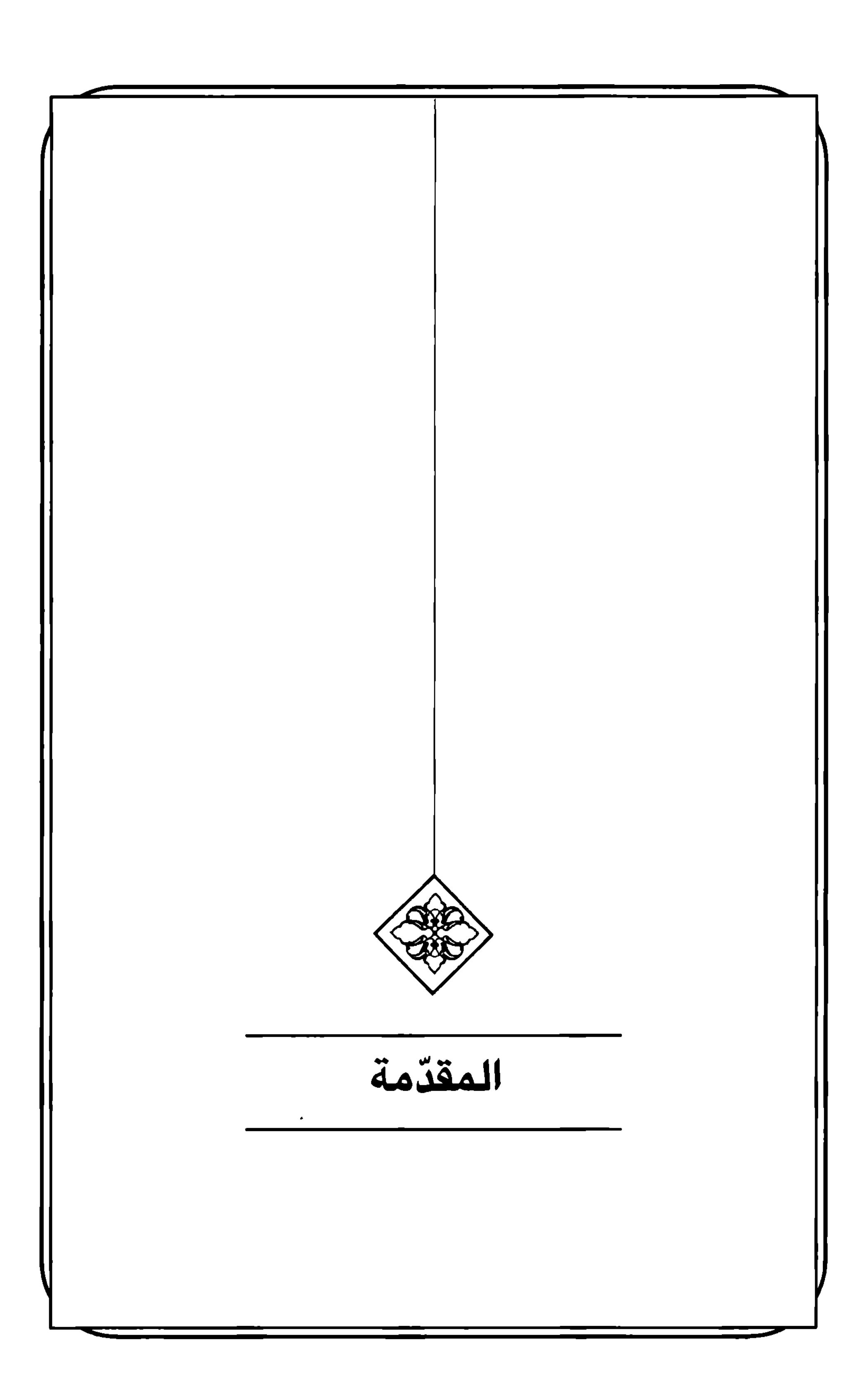
وأخيراً أقدّم هذا الكتاب بعد جهود متواصلة إلى سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد جواد الموسوي الشهرستاني ـ أدام الله أيّام توفيقاته ـ الذي يعرف قيمة هذا التراث ويشجّعنا لتحقيقه ونشره، سائلين المولى عزّ وجلّ التوفيق لتقديم الأعمال التحقيقيّة الأُخرى، إنّه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين.

السيّد حسن الموسوي البروجردي

مؤسسة دار التراث النجف الأشرف

جمادى الأُولى سنة ١٤٣٦ هـ



المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

كنت منذ أيّام حداثتي إذا حُدّثت، أو قرأت، أو مرّ بي أثناء مطالعاتي حادثٌ من حوادث تَلَف التراث الإنساني، أتحرّق وأنفعل غاية الانفعال، وهذه طبيعة يشعر بها كلّ من يعرف قيمة العلم وجهد العلماء الذي بذلوه في التأليف والجمع، حيث صرفوا كلّ جهودهم من أجل ذلك. تاركين راحتهم، إذ كان التأليف، والجمع، والتصنيف، والتحقيق والمطالعة، الراحةَ الكبرى عندهم، وهم من أجل ذلك يقضون أوقات العبادة بالتأليف والمراجعة، وتلك عبادة كبرى حثّ عليها الشارع المقدّس، وقد فرغ الشيخ الصدوق من تأليف بعض كتبه ليلة القدر[1]، فقدّم التأليف على العبادة المستحبّة في تلك الليلة، وقد ورد عن النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) تقديم مدارسة العلم وكتابته على العبادة[2].

---

١. أكّد الصدوق على مذاكرة العلم في ليالي القدر، حيث قال في (أماليه: ٧٤٧) ما نصّه: ومَن أحيا هاتين الليلتين (أي ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين) بمذاكرة العلم فهو أفضل.

٢. روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «فضل العلم أفضل من العبادة وملاك الدين الورع» (جامع بيان العلم ←

وفرغ بعض علمائنا من تأليف بعض كتبهم يوم عاشوراء[١]، وهو يوم المصيبة العظمى على أهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين، ويوم الفاجعة العظيمة التي فجع بها المؤمنون بقتل الحسين عليه السلام، ولا تزال حرارتها باقية في قلوب محبّي أهل البيت إلى يوم القيامة، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام إنّ لقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تنطفئ الى يوم القيامة[٢].

← وفضله ١: ٢٣)، وقال صلى الله عليه وآله: «فضل العلم أحبُّ إلى الله من فضل العبادة» (الخصال: ٤ / ٩ ـ باب الواحد، وعنه في بحار الأنوار ١: ١٦٧ / ٩)، وعنه (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «مَن خرج يطلب باباً من علم لِيَردّ به باطلاً إلى حقّ، أو ضَلالةً إلى هدى، كان عمله ذلك كعبادة متعبّدٍ أربعين عاماً» (أمالي الطوسي: ٦١٨ ـ ٦١٩ / ١٢٧٥، وعنه في بحار الأنوار ١: ١٨٢ / ٧٢)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله...»، (بصائر الدرجات: ٢٤ ـ ٢٥ / ١٠) وعن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام أيضاً أنّه قال: «يأتي صاحب العلم قُدّامَ العابد بربوة مسيرة خمس مائة عام» (بصائر الدرجات: ٢٧ / ٤ ـ باب فضل العالم على العابد).

والأخبار في هذا الباب كثيرة لا يسعها المقام، فمن رامها فلينظرها في مظانّها.

١. منها على سبيل المثال لا الحصر: (تمهيد القواعد الأصولية والعربية لتفريع الأحكام الشرعية)، للشيخ زين الدين علي بن أحمد بن محمّد الشهيد الثاني (ش ٩٦٦هـ) فرغ من تصنيفه يوم الجمعة (١٠ محرم سنة ٩٥٨هـ)، (ينظر: كشف الحجب والأستار: ١٤٠ ـ ١٤١). ومنها: مخطوطة في مكتبة العلاّمة الحلّي فرغ منها الكاتب في (١٠ محرم سنة ٩٧٤هـ)، كانت في المكتبة الجعفرية في كربلاء، (ينظر: مكتبة العلاّمة الحلّي لعبد العزيز الطباطبائي: ١٨٠). ومنها: (مفتاح گلستان)، تأليف خواجه عالم أويس عرف بآدم، فرغ منه في (١٠ محرم ٩٠٠هـ)، (ينظر: الذريعة ٢١: ٣٤٥). ومنها: (نزهة الألباب في شرح حديث ابن طاب)، لمهدي بن الحسن القزويني الحسيني الحلّي، فرغ منه صبيحة الاثنين (١٠ محرم ١٢٦٨ هـ). (ينظر: الذريعة ٢٤: ١١٣ ـ ١١٤).

٢. الحديث مرويّ عن الصادق عليه السلام، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يخفى أنّ قولهم صلوات الله عليهم ←

ونكبات الكتب، لا يخلو منها عصر من العصور قديماً وحديثاً، ولا يمرّ عصر لم يُسمع فيه حلول نكبة بـالكتب والمكـتبات، ولا تـخلو بـلدة مـن البلدان في الشرق أو الغرب من مثل هذه الرزايا، فـالكتب خـاضعة كسـائر المخلوقات لسنّة الفناء والشقاء، أو قِصر العمر وعدم طول البقاء:

المـــاء يُـغرقها، والنـار تُـحرقها   والفأر يَخرقُها، واللصُّ يسرقُها[1]

كما أنّ الأيدي العابثة تمزّقها أو تـتلفها بأي طـريقة شـاءت، فـالعالم أو الأديب العارف يدوّنها ويحفظها وتكون سميراً له، وصاحباً يأنس بـه.أمّـا الجاهل عدو العلم والمعرفة، فـيسعى فـي إتـلافها وحـرمان البشـرية مـن منافعها.

ووسـائل الإتـلاف كـثيرة كـ: الإحـراق، والنـهب، والغـرق، والتـدمير، والدفن. يُضاف إلى ذلك كوارث أُخرى تكون سبباً في تلف كثيرٍ من الكتب: كـالحوادث الجـوّية، والزلازل الأرضـية، والعثّ والسـوس والأرَضـة، والرطوبة، وغير ذلك.

← هو قول جدّهم رسول الله، وحديثهم حديثه.

ونص الحديث كما في (مستدرك الوسائل: ١٠: ٣١٨/ ١٣)، عن جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليه السلام وهو مُقبل، فأجـلسه فـي حِـجره وقـال: «إنّ لقـتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً».

ثم قال الصادق عليه السلام: «بأبي قتيلَ كلّ عبرةٍ، قيل: وما قتيل كلّ عبرة يا ابن رسول الله؟!»

قال: «لا يذكره مؤمن إلّا بكى».

١. البيت الشعري المذكور للشاعر عبد الرحمن بن سعيد بن دوست (ت ٤٣١ هـ). (يـنظر: يـتيمة الدهر ٤: ٤٩٣، فوات الوفَيات ١: ٦٤١).

كما أنّ الأحقاد الطائفية عند بعضهم كانت سبباً في إحراق التراث وتدميره، ولو تمعنّا في التاريخ وتراجم العظماء لرأينا أنّ الكثير منهم أُصيب بفقد معظم كتبه أو كلّها، وهذا ما ينغّص على صاحب الكتاب والمكتبة عيشه، ويتركه في ألم عند ذكر الحادث.

وقد شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يجري على العبد الفقير صاحب هذه السطور وعلى كتبه شيءٌ من ذلك؛ لأتحسّس ما كان يتحسّسه مَن فُجع بفقد كتبه أو مؤلّفاته، فقد كان له مكتبةٌ في النجف الأشرف في بيته الواقع في محلّة العمارة، قرب حسينية آل شريف والموقوفة للحسين عليه السلام، وعندما انتقلت إلى الكوفة وتركت مكتبتي هناك؛ خوفاً عليها من جلاوزة البعث الذين كانوا ينتشرون في تلك المنطقة، وخصوصاً حول الحرم العلوي، تركت بيتي عند أخويّ وأولادهما، حتّى إذا سنحت الفرصة لي أيّام الحوادث التي حدثت في العراق سنة (١٩٩١م / ١٤١٢هـ) قمت بنقلها إلى بيتي في الكوفة.

ولم تسلم المكتبة من الأيدي العابثة بعد أن دخلها جلاوزة البعث قبل نقلها، وقد شاءت حكمة الله أن تقع أيديهم حينئذ على كتابٍ من كتب الفقه فتركوا المكتبة، وعندما نقلتها إلى الكوفة وجدت أنّ ما سُرق منها من كتب يكوّن مكتبة كاملة.

ولم يقف الاعتداء على المكتبة الموقوفة لسيّد الشهداء عند هذا الحد، فقد كلَّفَت بعضهم في أن يعمل لها فهرست، وكان أحد تلامذتي ممّن لا يفارقني، وقد أخبرته ببعض النوادر الكتابية التي تضمّها المكتبة. وعندما

نُقلت المكتبة إلى بنايتها الجديدة في داري الواقعة في الكوفة، وجدت أنّ تلك النوادر التي ذكرتها للتلميذ الخائن قد خلت منها المكتبة، كما خلت من كثير من الكتب التي كانت فيها.

والأنكى من ذلك أنّي حملت يومها إلى (دار صدّام للمخطوطات) في بغداد أربعاً وأربعين مخطوطةً نادرة؛ خوفاً من عواقب بقائها في المكتبة، بعد أن أُخبرتُ أنّ السلطات هدّدت كلّ من يمتلك مخطوطة ولم يسلّمها الى الجهات المعنية.

وبقي عندي من المخطوطات ما يناهز خمساً وعشرين مخطوطة أو أكثر، فلم أجد تلك المخطوطات، فعلمت أنّ يد العدوان قد امتدّت إليها.

والأنكى من ذلك أيضاً أنّ مجاميعي الخاصّة بالمنبر، ودفاتري التي سجّلت فيها كلّ شيّق ونادر أثناء مطالعتي للكتب قد صُودِرَت، حيث كنت عازماً على أن أُؤلّف كتاباً عنوانه (منطق الأحرار) والآخر (منطق العبيد)، وكنت أُسجّل في تلك الدفاتر من المصادر التي تذكر الموضوعين؛ لأقوم بتتبّع المصادر وإكمال المشروعين، كما كنت أرغب في أن أكتب موسوعة في أحوال الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام وأعددت مصادرها، إلّا أنّ ذلك ذهب مع مجاميعي وكتبي ولم يترك الجاني عندي إلّا دفاتر قليلة.

وهذه رزيّة تحزّ في قلب كلّ من عاناها، وأُخذ في ما أُخذ: الفهرس العام للمكتبة، وفهرس المجلّات التي فُقد كثير منها.

و قد ارتأيت بعد ذلك أن أجمع تلك الحوادث مع ترجمة لمن نُكب بها، ورتّبت تلك الحوادث على القرون الهجرية الخمسة عشر، وكنت أرى أنّ

حوادث نهب الكتب ليس فيها إتلاف للتراث؛ لأنّها تقع بيد شخص آخر ربّما يحفظها، ولكنّي عندما سبرت الوقائع التاريخية التي وقع فيها نهب الكتب، رأيت أنّ النهب لا يقوم به إلّا الجاهل الذي لا يعرف قيمةً للكتاب، وحتّى الجندي المحتلّ فهو جاهل كذلك.

وقد شاهدنا حوادث النهب التي وقعت في عصرنا، فرأينا أنّ الصحراء ومقابر النجف تتطاير منها أوراق الكتب المخرّقة، كما قام الجهّال بحرق الكثير من الكتب أو إلقائها في نهر الفرات، فعدلتُ عن فكرتي، وذكرتُ بعض حوادث النهب التي تلف فيها التراث العلمي حقيقة.

كما إنّي رأيت أثناء مطالعتي لتراجم بعض العلماء، أنّهم ألّفوا الكثير من الكتب ولم يصل إلينا من تآليفهم إلّا القليل، فترجمت لبعضهم، وذكرت عدد كتبهم، والمتبقّي منها، كـ: المسعودي، والقفطي، والعلّامة الحلّي، وغيرهم من مشاهير العلماء الذين ألّفوا الكثير، وبذلوا من أجل تأليفها الجهود المضنية، ولم يصلنا إلّا البعض منها، وقد ذهب البعض الآخر ضحيةً للنكبات التي أُصيبت بها المكتبات، وكذلك الأمر في مصادرة الكتب فإنّها سبب لإتلافها. ولم نذكر منها إلّا ما دلّ دليل أو قرينة على تلف الكتب المصادرة أو المنهوبة، وقد ترجمنا لكل صاحب مكتبة أو مؤلفات فُجع بتلف بعض كتب مكتبته أو كلها أو بعض مؤلفاته أو كلها. وقلّ أن نجد عالماً مؤلفا وصلتنا أفكاره ومؤلفاته كلّها كاملة، فإنّها إن لم تعبث بها يد الحدثان في حياته، فقد حدث التلف بعد وفاته، وهذا بحث يحتاج الإلمام به الى جهد جهيد، فحوادث التلف كثيرة ينبغي أن يتصدّى لجمعها وتدوينها

كُتّاب يؤرّخون حوادث البلد أو الدولة التي يعيشون فيها، أما جهدنا فيقتصر على ما توصّلنا إليه أثناء مراجعاتنا لكثير من كتب التراجم والتاريخ.

وقد دون العلماء نتاج أفكارهم وثمرات عقولهم في كتب لتبقى إلى الأجيال اللاحقة، ولكنّ حوادث الدهر حرمت البشرية من ذلك التراث الفخم، وكثير من حوادث التلف حدثت من جراء النزاعات الطائفية كما ذكرنا سابقاً والتي كثيراً ما وقعت أو تقع مِن قِبل المتطرّفين مِن الفِرق. وكانت النزاعات تحدث بين تلك الفرق، فتعمد إلى إحراق أو إتلاف كتب الفرقة الأخرى. كما إنّ الحروب التي وقعت منذ ابتداء الحضارة أفقدت البشرية الكثير من تراثها، كذلك التحزّبات السياسية أفقدتنا الكثير من تراثنا. فتباً وتعساً لها!

وقد قال رسول الله ﷺ: «إفترَقَت أمّة موسى من بعده إلى إحدى وسبعين فرقة منها فرقة ناجية، وافترقت أمّة عيسى إلى إثنتَين وسبعين فرقة منها فرقة ناجية، وستختلف أمّتي مِن بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية»[١].

وأمّا الحوادث الكتابية التي وقعت قبل الهجرة، فقد أعرضنا عن ذكرها، وهي كثيرة، حيث علّقنا على ما يحتاج التعليق لكشف الغامض أو إظهار الحق، كما أشدنا بالشخصيات التي أسدت الخدمات إلى العلم والعلماء.

نسأل الله تعالى أن لا يفجع مؤلّفاً أو عالماً بتلف بعض نتاجه، فإنّ ذلك

---

١. سنن إبن ماجة ٢: ١٣٢٢ / ٣٩٩٢، الجامع الصغير للسيوطي ١: ١٨٤ / ١٢٢٣، الدرّ المنثور ٢: ٦٢، الخصال: ٥٨٥ / ١١، وعنه في بحار الأنوار ٢٨: ٤ / ٣.

يحز في قلب الإنسان، وهو من أعظم المصائب التي تصيب العالِم أو الكاتب أو المؤلّف أو صاحب المكتبة.

وقد وردت أخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تأمرنا بالمحافظة على الكتب، منها: «إحتفظوا بكتبكم، فسيأتي زمان تحتاجون فيه إليها».[١]

وعن أبي بصير قال: دخلتُ على أبي عبدالله الصادق عليه السلام فقال: «دخل عليَّ أُناسٌ من أهل البصرة فسألوني عن أحاديثَ وكتبوها، فما يمنعُكم من الكتاب؟! أما إنّكم لن تحفظوا حتّى تكتبوا»[٢].

فينبغي الاحتفاظ بالكتب ورعايتها والاعتناء بها، ووضعها في خزائن تحفظها من التلف من كل حادث مؤسف يقضي على هذا التراث الإنساني.

إنّ تاريخ التأليف وإنشاء المكتبات تاريخ يسير مع الزمن، فقد أنشأ البابليون المكتبات، حيث عُثر في القرن الماضي على بقاياها في خرائب بابل وآشور، ثمّ اليونانيّون، ثمّ أنشأ البطالسة[٣] مكتبة الإسكندرية الشهيرة التي سنذكرها فيما بعد، ثمّ الرومان، كما أُنشئت مكتبات أُخرى في القسطنطينية، وبلاد فارس؛ للاستفادة العامّة.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب دعوة الإسلام إلى العلم والقراءة والكتابة، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله هو أوّل معلّم مرشد، وبعد ذلك ذكرنا الكتب وما قيل فيها من شعرٍ

---

١. الكافي ١: ٥٢ / ١٠، وعنه في بحار الأنوار ٢: ١٥٢ / ٤٠.

٢. الأصول الستّة عشر ٣٣ ـ ٣٤، وعنه في بحار الأنوار ٢: ١٥٣ / ٤٧.

٣. البطالسة: نسبة الى بطليموس، وقد حكمت الدولة البطليموسية مصر نحو ثلاثة قرون، من سنة ٣٢٣ قبل الميلاد الى ٣٠ قبل الميلاد، وكانت مدينة الإسكندرية عاصمة البلاد في عهدهم والتي أسّسها الإسكندر المقدوني (دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ٢: ٢٣٦).

ونثر، ومواضيع أُخرى تخصّ الكتب، ثمّ ذكرنا دعوة النبي الأعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام إلى تدوين الحديث والعلم، ثمّ دعوة أهل البيت وأتباعهم إلى ذلك، وما قاموا به من تدوين حديث النبي ﷺ، ونشر العلوم، والتأليف، بخلاف المدارس الأُخرى التي مَنعَت التدوين، والأدوار التي قام بها الصحابة من منعِ تدوينِ الحديث، ثمّ ذكرتُ حوادث الإحراق والتمزيق والدفن التي جرت على الكتب في القرن الهجريّ الأوّل.

وختمتُ فصول الكتاب عند العصر الذي ابتدأ فيه التدوين في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني، أمّا أتباع أهل البيت، فقد دوّنوا وألّفوا في جميع فروع العلم منذ أيّام النبي ﷺ.

وذكرنا بعض حوادث التلف في مكتبات الغرب؛ واستقصاء ذلك يحتاج إلى باحثٍ يحصي تلك النكبات، وهكذا الأمر في مكتبات: روسيا، والصين، والهند. وجعلنا في مقدّمة كلّ قرن بعض مشاهير النسّاخين والورّاقين، ومن أوقف كتبه على جهة من الجهات، ومُنشئي المكتبات والمدارس، وغير ذلك من المعلومات المفيدة.

و أحببت أن أعيد إلى ذاكرة المطالع الكريم الردود الكثيرة على أعداء الشيعة الذين يتّهموننا بعدم التأليف والتدوين:

قال النجاشي: وقد اتّهم بعض أعداء الشيعة أنّ الشيعة لم يؤلّفوا ولم يدوّنوا. وقد ألّف هذا الشيخ (ت ٤٥٠ هـ) كتابه المعروف بـ: (رجال النجاشي)، وخصّصه لذكر مؤلّفي علماء الشيعة منذ عصر النبوّة إلى أيّامه. إذ جاء في مقدّمة كتابه: أما بعد، فإنّي وقفت على ما ذكره السيد الشريف ـ أطال

الله بقاءه وأدام توفيقه ـ من تعيير قوم من مخالفينا أنّه لا سلف لكم ولا مصنِّف. وهذا قول مَن لا علم له بالناس ولا وَقَف على أخبارهم، ولا عرف منازلهم وتاريخ أخبار أهل العلم ...»[١]. وقد خصّص كتابه ـ كما قال ـ لذكر المتقدّمين في التصنيف من سلفنا الصالح[٢].

كما ألّف الكشّي كتابه المعروف بـ(معرفة أخبار الرجال)[٣]، وألّف الشيخ الطوسي المتوفّى (٤٦٠هـ) كتابه (الفهرست)، فذكر فيه ما ألّفه علماء الشيعة من كتب[٤].

فأتباع أميرالمؤمنين علي وأهل البيت عليهم السلام دوّنوا الحديث، وكتبوا وألّفوا في الوقائع التي وقعت في أيّامهم وأرّخوا الحوادث، وكتبوا في جميع فروع العلم.

---

١. رجال النجاشي: ٣.

٢. ونصّ قوله رحمه الله: وها أنا أذكر المتقدّمين في التصنيف من سلفنا الصالح.(رجال النجاشي: ٣).

٣. في (معالم العلماء) لابن شهر آشوب: ١٣٧ أنّ اسمه (معرفة الناقلين عن الأئمّة الصادقين عليهم السلام، وأصل الكتاب كان موجوداً حتى عصر الشيخ الطوسي والنجاشي رحمهما الله، وبعدها فُقد، وقيل: إنّه كان موجوداً عند العلاّمة رحمه الله، وقيل: عند الشهيد الأوّل رحمه الله. وقد استوفى السيد حسن الأمين رحمه الله في (مستدركات أعيان الشيعة ١: ١٩١ ـ ١٩٥) بحثاً حول اختيار الشيخ الطوسي رحمه الله للكتاب وحول أصل الكتاب وتعدّد أسمائه وعصر وجوده وفقدانه ومَن قيل إنّه كان عندهم في عصر فقدانه، كلّها ضمن ترجمة الشيخ رحمه الله، فليراجع.

٤. قال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه (الفهرست ٣٢ ـ ٣٣) ما نصّه: عمدتُ إلى كتاب يشتمل على ذكر المصنّفات والأصول.. فإذا سهّل الله تعالى إتمام هذا الكتاب، فإنه يُطّلع على أكثر ما عُمل من التصانيف والأصول، ويُعرف به قَدرُ صالح من الرجال وطرائقهم. ولم أضمن أنّي أستوفي ذلك إلى آخره، فإنّ تصانيف أصحابنا وأصولهم لا تكاد تُضبَط؛ لانتشار أصحابنا في البلدان وأقاصي الأرض، غير أنّ عليّ الجهد في ذلك، والاستقصاء فيما أقدر عليه ويبلغه وسعي ووجدي....

وشاعت إشاعة أُخرى في العصر المتأخّر نقلها جرجي زيدان، قائلاً: (إنّ الشيعة طائفة صغيرة ليس لديهم مؤلّفات)[١]، فما كان من العلاّمة الشيخ آغا بُزُرك الطهراني وزميليه: السيّد حسن الصدر، والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء إلّا أن يجتمعوا في مدينة الكاظمية المقدّسة، ويُقْسموا على وضع ما يخدم الطائفة ويردّ القول المُفترى إلى صدر قائله، واتّفقوا[٢] أن يكتب السيّد حسن الصدر في نشاط الشيعة في العلوم الإسلامية، فاشتغل في تأليف كتاب (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام)[٣] أثبت فيه بأنّ الشيعة

---

١. ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية ٣: ٦. والنص المذكور موجود في الطبعة الأولى وقد حُذف من الثانية، على أنّ موجبات الرد على جرجي زيدان في كتابه المذكور لا تقتصر على هذه العبارة فقط، فقد مال عن جادة الإنصاف وانغمس في بركة التعصب في مواضع عديدة من كتابه هذا، وبخس حق طائفة كبيرة لا ذنب لها سوى أنّها شايعت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتمسّكت بكتاب الله وسنّة المصطفى والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم.
كما ينظر منها على سبيل المثال لا الحصر: تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ـ الصفحات: ٧، ٤٩، ١٨٩، ٢١٦ و ج ٢ ـ الصفحات: ٤٤٤، ٤٥١.. وغيرها. ولاستبيان حقيقة ما أردناه من ذكر هذه المواضع ننصح بمراجعة ردود الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء على زيدان في كتابه المزبور، في: المراجعات الريحانية ٢: ٥١ ـ ٧٥، ٢: ١١ ـ ١١٢، ٢: ١٣٠ ـ ١٣٣، ٢: ١٣٦، ٢: ١٦٨ ـ ١٧١، ٢: ١٧١ ـ ٢٠٥.

٢. ينظر قصة هذا الاتّفاق في: شيخ الباحثين آقا بزرك الطهراني: ٢٩ ـ ٣٠، ومقدّمة كتاب: نوابغ الرواة في رابعة المئات.

٣. ذكره الشيخ آقا بزرك الطهراني في (الذريعة ٣: ٢٩٨ ـ ٢٩٩) بما نصه: (ينظر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام لحسن الصدر / تأسيس الشيعة الكرام لفنون الإسلام): لسيد مشايخنا آية الله السيد حسن صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي المولود بها سنة ١٢٧٢ هـ، والمتوفى سنة ١٣٥٤ هـ، ابتكر موضوعاً خصّصه بالتدوين وأبدع فيه غاية الإبداع، وقرّر فيه بما صحّ من

←

سبقوا جميع الطوائف في التأليف.

فأبو الأسود الدُّؤَلي هو من كبار التابعين، وقيل: إنّه من البدريين، وضع أُسس علم العربية في البصرة بأمر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتعليمه.

وقال ابن فارس (ت ٣٩٨هـ): إنّ أوّل مَن وضع علم العروض: الخليل بن أحمد وتكلّم فيه.

وأوّل من وضع علم التصريف: مُعاذ بن الهراء النحوي المشهور (ت١٨٧هـ)، وكان مؤدّب عبد الملك بن مروان، وكان معاذ شيعياً.

وأوّل من وضع علم اللغة: الخليل بن أحمد، قال الأزهري في أوّل (تهذيبه): ولم أر خلافاً بين أهل المعرفة وحملة هذا العلم، أنّ التأسيس المجمل في أوّل كتاب (العين) فعلمتُ أنّه لا يتقدّم أحد على الخليل فيما أسّسه ورسمه.

وأوّل من وضع علم البيان والبديع: المرزباني أبو عبدالله محمّد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبدالله الخراساني المتوفّى سنة (٣٧٨هـ).

← التواريخ والسِّيَر تقدُّمَ علماء الشيعة على سائر علماء الاسلام في تأسيس أنواع العلوم الاسلامية من: النحو، والصرف، وعلوم البلاغة، والعروض، واللغة، والكلام، والمعقول، والفقه، والأصول، والتفسير، والأخلاق، وغير ذلك، وأثبت فيه سَبقَهم في التصنيف والتأليف في تلك الأنواع على مَن عداهم، وأورد تراجم المؤسسين وأحوالهم، فذكر بعض القدماء المصنفين وتصانيفهم، وفرغ منه حدود سنة ١٣٢٩ هـ، ومع اكتفائه في جميع ذلك عن الكثير باليسير خرج الكتاب في مجلد ضخم كبير، فطُولب اختصاره، فاستخرج منه لباب المقال في كتابه الموسوم بـ: (الشيعة وفنون الاسلام) المطبوع، وقد استخرجت مختصراً من تراجم الرجال المذكورين فيه وسميته بـ: (الدر النفيس في تلخيص رجال التأسيس).

وأوّل من تقدّم في فنون الشعر: النابغة الجعدي، وقد شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام صِفّين، مات أيّام مروان. قال ابن النديم في (الفهرست): جمع شعره الأصمعيُّ وابن السكّيت[١]، وعقد له السيّد علي خان المدني في (الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة)[٢].

وأوّل من وضع في علم السيَر والتواريخ الإسلامية: عبيد الله بن أبي رافع، صاحب أمير المؤمنين عليه السلام.

وأوّل من وضع علم مغازي النبيّ صلى الله عليه وآله: محمّد بن إسحاق الواقدي.

وأوّل من صنّف علم الفِرَق في الإسلام هو: الحسن بن موسى النوبختي[٣].

وهكذا سبق علماءُ الشيعة جميع الفرق في التأليف.

أمّا الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله، فقد نقد كتاب (تاريخ آداب اللغة العربية) نقداً علمياً نافعاً لأجزائه الأربعة[٤]، وأرجع الأُصول المثبتة بها

---

١. الفهرست لابن النديم: ١٧٨.

٢. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٢٩.

٣. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام لحسن الصدر: ٢٣٢.

٤. هكذا ورد في الأصل وأغلب المصادر، إلّا أنّ ما تعرض له الشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله من النقد البنّاء لكتاب جرجي زيدان في مراجعاته الريحانية اقتصر على الجزء الأول والثاني وقسماً من ثالثه، تاركاً إتمام ما بدأ به رحمه الله لسوانح الفرص، كما ذكر هو ذلك في السطور الأخيرة لنقده المذكور، فلاحظ. وقد طُبعت هذه النقود في الجزء الثاني من كتاب (المراجعات الريحانية) للشيخ المجاهد رحمه الله: ٤٨ ـ ٢٩٤، كما وطبع في (لغة العرب)، و(العرفان) وكتاب (المراجعات الريحانية) المذكور، ذكره الشيخ الطهراني رحمه الله في (الذريعة ٢٤: ٢٩٥ ـ ٢٩٦) بما ←

إلى مظانّها، ونبّه على كلّ أخطائه حتّى الكتابية منها، بعد أن أثنى على الجهد المبذول في تأليفه، على الآية القرآنية: ﴿ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهُمْ﴾[1].

أمّا الشيخ آقا بزرك فقد ألّف كتابه (الذريعة) من أوّل عهد الشيعة بالتأليف حتّى عصرنا هذا، وكانت بعض مصادر المؤلّف في وضع (الذريعة) مكتبات مهمّة يتعذّر الوصول إليها بسهولة في المدن والحواضر الإسلامية والعربية: كطهران، والقاهرة، والحجاز، وبغداد، والكاظمية، والنجف، ذكر بعضها في آخر بعض أجزاء الذريعة، وهو الجزء السادس، وذكر فيه أسماء اثنتين وثلاثين مكتبة من مختلف الأقطار، وفي الجزء السابع ذكر في آخره تتمّة المكتبات، وأشار إلى إحدى وعشرين مكتبة، أمّا في الجزء الثامن فقد ذكر تسع مكتبات.

ومجموعها اثنتان وستّون مكتبة كبيرة عامّة وخاصّة، رسمية وغير رسمية، بغضّ النظر عن المكتبات الأُخرى التي هي أقلّ منها أهميّة، فتمكّن الشيخ أن يسبر غور كلّ دُور المكتبات هذه، ويستفيد منها، وقد حلّت

← نصه: (النقود والردود) الموسوم (المطالعات والمراجعات) أيضاً للشيخ محمّد حسين بن علي بن محمّد رضا آل كاشف الغطاء (١٢٩٤هـ ـ ١٣٧٣هـ). طُبع الجزء الأول منه في بيروت (١٣٣١هـ) وفيه مراجعات مع الأمين الريحاني النصراني والنقد لكتابه (الدين والاسلام)، ومراجعاته مع الأب أنستانس الكرملي في نقده على الكتاب المذكور وغير ذلك. والجزء الثاني. طُبع بصيدا (١٣٣١هـ) وفيه بعض المراجعات الريحانية أيضاً والنقد على (تاريخ آداب اللغة العربية) لجرجي زيدان صاحب مجلة (الهلال)، وطبع في آخره (عين الميزان) الذي هو نقد على (ميزان الجرح والتعديل) للقاسمي....

١. سورة هود عليه السلام (١١): ٨٥.

الكوارث ببعض تلك المكتبات، وتبعثر البعض الآخر، ولم يبق إلّا ذكرها في كتاب (الذريـعة). وكـان رتّب كـتابه عـلى الحـروف الهـجائية حسب تسلسلها ورقم أسماء الكتب الواردة في كلّ جزء[1]. وعندنا منها في المكتبة ستّة وعشرون جزءاً، ثمّ ألّف كتابه القيّم (طبقات أعلام الشيعة).

وألّف الحاج خليفة قبل ذلك كتابه (كشف الظنون)، سرد فيه الكثير من مؤلفات الشيعة.

---

١. شيخ الباحثين آقا بزرك الطهراني لعبدالرحيم محمّد علي: ٣١ ـ ٣٢.

الإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة

كان رسول الله ﷺ يسمع ما نزل عليه من القرآن، ويستمع حديثَه وكلامه المسلمون الأوّلون بمكّة، وعندما هاجر هجرته الميمونة إلى المدينة بنى أوّل مسجداً، وهو المسجد الذي أُسّس على التقوى، ولمّا تمّ بناؤه كان ﷺ يبلّغ الأحكام، وينشر ما نُزل عليه من القرآن وهو جالس، ثمّ صُنع له منبرٌ في مسجده بالمدينة، فكان ﷺ يرقى ذلك المنبر ويبلّغ أحكام الدين، وينشر معارف الإسلام، ويدعو إلى كل خُلُقٍ رفيع من على ظهر منبره.

وقد وجَدَت الخطابة منبعاً ومصدراً يعتمد عليه الخطباء، إذ كان لهم من القرآن الكريم وحديث النبي ﷺ منهلٌ نمير، ومصدرٌ يعتمدون عليه، ومَعينٌ لا ينضب من آيات القرآن وحديث النبي ﷺ. وهكذا صار المسجد والمنبر منطلقاً لنشر تعاليم الإسلام.

والإسلام الذي هو خاتمة الأديان السماوية، لابدّ أن يدعو لما فيه خير البشرية إلى أن تقوم الساعة؛ لأنّ العقول قد نضجت، فنُسخت الشرائع

الماضية السابقة، وجاء دور الأحكام والتعاليم التي تنتفع بها العقول الناضجة إلى يوم القيامة، فقد كان المسجد النبوي في عهده ﷺ. وفيما بعد، منه تؤخذ أخبار البلدان، ومنه تُسمع تعاليم الإسلام وكلّ ما هو نافع لهم.

ولا أدري ما هو السبب الذي دعا عمر بن الخطّاب إلى أن يأمر ببناء المساجد في المدن وأن لا يُتّخذ للقبائل مساجد![١]، وهذا رأي اختصّ به عمر، فإنّ الإسلام يدعو إلى بناء المساجد في كلّ قبيلة وحيّ، ورتّب على ذلك عظيم الأجر، فقد قال رسول الله ﷺ: «مَن بنى مسجداً، ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتا في الجنة»[٢].

فالمساجد في أوّل الإسلام زيادة على كونها منطلقاً لتعاليم الشريعة وكلّ علم نافع، كانت سبباً لاجتماع المسلمين وتقوية روابطهم، فالمسجد بيت يجتمع فيه المسلمون، فتتوثق صلاتهم ويتشاورون فيما بينهم في أُمور دينهم، ويتباحثون فيما يعود بالخير على جماعتهم، وفيه تذاع أخبار الأمصار.

وقد كان النبيّ الأكرم ﷺ هو المعلّم الأوّل، فقد قال ﷺ: (بُعثت معلّماً)[٣]، وكان يأمر المسلمين وهو على المنبر أو هو جالس في المسجد، بطلب العلم ونشره، والإسلام جعل أخذ العلم فريضة فقد قال ﷺ: طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة[٤]، وقال ﷺ: أُطلبوا العلم ولو

---

١. تاريخ مدينة دمشق ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٢، كنز العمّال ٨: ٣١٣ / ٢٣٠٧٥.

٢. ينظر هذا الحديث ونحوه في: المحاسن ١: ٥٥ / ٨٥، من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٥ / ٧٠٣، عوالي اللآلي ٢: ٣٠ ـ ٣١ / ٧٥، المصنّف لابن أبي شيبة ١: ٣٤٤ / ١.

٣. سنن الدارمي ١: ٩٩ ـ ١٠٠، جامع بيان العلم وفضله ١: ٥٠.

٤. كنز الفوائد: ٢٣٩، عوالي اللآلي ٤: ٧٠ / ٣٦.

بالصين[١]، وقال ﷺ: إنّ الملائكة لَتضع أجنحتها لطالب العلم...[٢].

والأحاديث الواردة في ذلك مستفيضة كثيرة يرويها الفريقان.

وقد قدّم الشيخ صاحب (المعالم)[٣] كتابه بطائفة لا يستهان بها من

---

١. روضة الواعظين: ١١، عوالي اللآلي ٤: ٧٠ / ٣٧، جامع بيان العلم وفضله ١: ٩، الجامع الصغير ١: ١٦٨ / ١١١٠.

٢. بصائر الدرجات ٢٣ / ٢، الكافي ١: ٣٤ / ١، الأمالي للصدوق: ١١٦ / ٩٩، وعنها في بحارالأنوار ١: ١٦٤ / ٢.

٣. هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن ابن الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد، المعروف بالشهيد الثاني العاملي الجبعي (٩٥٩هـ ـ ١٠١١هـ) كان عالماً فاضلاً، عاملاً، متبحّراً، محققاً، ثقة، فقيهاً، وجيهاً، نبيهاً، محدّثاً، جامعاًللفنون أديباً شاعراً، زاهداً، عابداً، ورعاً، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير المحاسن، وحيد دهره، أعرف أهل زمانه بالفقه والحديث والرجال. له عدة مؤلفات منها: كتاب (منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان)، وكتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين). (ينظر ترجمته: نقد الرجال ٢: ٢٥، أمل الآمل ١: ٥٧، أعيان الشيعة٥: ٩٢).

وكتابه(معالم الدين في ملاذ المجتهدين) [كذاكتبه الشيخ الطهراني في الذريعة] في الفقه، خرج منه بعد مقدمته المتداولة في الأصول شطر من كتاب الطهارة، ولم يتمّ، بل انتهى إلى أوّل الوضوء وآداب الخضاب. (ينظر: الذريعة ٢١: ١٩٨).

أما مقدّمته المذكورة والتي نوّه إليها مؤلفنا فقد ذكرها الشيخ الطهراني ﵀ في موضعين من ذريعته:

الأول: في ٦: ٢٠٤ بعنوان (المعالم) وبيّن بأنّه مقدّمة في أصول الفقه، لكتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) في الفقه. لمؤلّفه المزبور وهو أشهر تصانيفه، حتّى أنّه عُرِف بـ(صاحب المعالم). دُوِّنت تلك المقدّمة مستقلّة، وتداولت المدارسة فيها فيما يزيد على مائتي سنة. وقد عُلّقت عليها في هذه المدة حواشٍ كثيرة: مبسوطة، ومختصرة، يأتي بعضها بعنوان الشرح، ومر بعضها بعناوينها الخاصة (كما في كتاب الذريعة).

أما الثاني: ففي ٢١: ١٩٨ بعنوان: (معالم الأصول)، وأضاف على ما ذُكر سابقاً أنّها لمّا انحازت عنه سُمّيَت بـ(معالم الأصول).

الأحاديث الواردة عن الفريقين[١]، وشرح تلك المقدّمة السيّد جعفر بحر العلوم[٢] في كتاب أسماه (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم)[٣].

وقد كان ﷺ يفضّل طلب العلم ودرسه ومذاكرته على العبادة التي تعرقل

---

١. ينظر: معالم الدين وملاذ المجتهدين: ٨ ـ ٢١.

٢. هو السيد جعفر ابن السيد محمّد باقر ابن السيد علي ابن الرضا ابن السيد بحر العلوم (١٢٨٩ هـ ـ ١٣٧٧ هـ)، وُلد في النجف الأشرف، ومات أبوه وهو طفل صغير فربّاه جده السيد علي، حضر في الفقه والأصول على علماء عصره الفطاحل ومراجع التقليد يومئذ: مثل السيد كاظم اليزدي الطباطبائي، والسيد محمّد آل بحر العلوم، والشيخ محمّد كاظم الخراساني، وعنده من السيدين اليزدي وصاحب (البلغة) إجازة رواية واجتهاد. كان (قدس سره) جامعاً، حاوياً لعامة العلوم الاسلامية، مطلعاً على التاريخ وتراجم الرجال، وله اطلاع واسع في علم الدراية والحديث. من مؤلّفاته: كتاب (تحفة العالم في شرح خطبة المعالم) جزءان ضخمان، وكتاب (أسرار العارفين) في شرح دعاء كميل بن زياد و(شرح نجاة العباد) في المواريث، جزءان، وغيرها من المؤلّفات الجليلة والرسائل النفيسة. وكانت عنده مكتبة ضخمة من أجمع وأنفس مكتبات العراق يومئذ من حيث اشتمالها على نفائس المخطوطات. (ينظر: مقدمة الفوائد الرجالية ١: ١٥٣)

٣. تحفة العالم في شرح خطبة المعالم للسيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي النجفي، وهو في جزءَين أولهما: في شرح نفس الخطبة، وفيه ذكر تواريخ المعصومين عليهم السلام من الولادات إلى الشهادات، وذكر مشاهدهم، وقبورهم، وتواريخ المشاهد، وما طرأ عليها من العمارة والخراب، وساكنيها وغير ذلك، وذكر أولادهم، وتواريخ أحوالهم. والجزء الثاني: في شرح الأحاديث المصدَّر بها (كتاب المعالم) بعد الخطبة، وهي تسعة وثلاثون حديثاً في فضل العلم والعلماء، تكلّم أولاً في أحوال كل واحد من رجال السند جرحاً وتعديلاً، ثم بحث في دلالة متنه، وما يُستفاد منه، فهو كتاب علمي تاريخي رجالي. (ينظر: الذريعة ٣: ٤٥١).

طبع منه ثلاث طبعات: الأولى في مطبعة الغري في النجف الأشرف سنة ١٣٥٥ هـ في مجلدين، وأعادت مكتبة الصادق عليه السلام في طهران طبعه بالأوفسيت على طبعة النجف الأشرف وصدر جزءاه في مجلد واحد وطُبع أخيراً بنشر مؤسسة إحياء تراث آل بحر العلوم، وتحقيق الأخ أحمد علي مجيد الحلي.

أداء الواجبات وبعض السنن.

ورد عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين إحداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأُخرى يتعلّمون ويعلّمون، فقال النبي ﷺ:

«كلّ على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم. وهؤلاء يتعلّمون ويعلّمون، وإنّما بُعِثتُ معلّماً» فجلس معهم.[١]

وفي بعض الروايات أنّه ﷺ قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[٢].

ولمّا قدم وفد ثقيف على الرسول ﷺ بعد غزوة تبوك سنة تسع، ضرب لهم قبّة في ناحية المسجد؛ ليسمعوا القرآن ويَرَوُا الناس إذا صلّوا فيتأثّروا بقراءتهم ويحاكوهم في صلاتهم[٣]. وهذا خير أُسلوب في التربية الخلقية ونشر الثقافة الدينية.

وذكر الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن قرّة: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا جلس، جلس إليه أصحابه حَلَقاً حَلَقاً[٤]. ولابدّ أن يكون اجتماعهم حوله لاستماع حديثه.

---

١. سنن الدارمي ١: ٩٩ ـ ١٠٠، سنن ابن ماجة ١: ٨٣.

٢. ينظر هذا الحديث ونحوه في سنن الدارمي ١: ٨٨، المعجم الكبير ٨: ٢٣٣ ـ ٢٣٤، والجامع الصغير ٢: ٢١٣ / ٥٨٥٩.

٣. المصنَّف للصنعاني ١: ٤١٤ / ١٦٢٢، مسند أحمد ٤: ٢١٨، سنن أبي داود ٢: ٣٩ ـ ٤٠ / ٣٠٢٦.

٤. مجمع الزوائد: ١: ١٣٢.

قال أنس: كان الصحابة إذا صلّوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤون القرآن، ويتعلّمون الفرائض والسنن[١].

ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه: (مُشكل الصحيحين): أنّ عُبادة بن الصامت كان يعلّم أهل الصُّفّة الكتابة والقرآن[٢]، وأهل الصفّة هم فقراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلّل من مسجد الرسول يسكنونه[٣].

وهكذا كان رسول الله ﷺ يجلس معهم ويقرأ عليهم ما نُزِّل عليه من القرآن، ويُسمعهم الحديث، وهكذا أراد الإسلام أن يضرع[٤] كلّ ذي علمٍ بعلمه.

أمّا التحلّق فيه للتحدّث في أُمور الدنيا، فإجماع الفقهاء على كراهية ذلك[٥]، وعليه يحمل ذلك حديث مسلم عن جابر بن سَمُرة: أنّ رسول الله ﷺ دخل المسجد وهم حَلَق، فقال: مالي أراكم عِزين[٦]، ومعناها: (جماعات متفرّقين)[٧].

---

١. مجمع الزوائد ١: ١٣٢.

٢. كشف المشكل ٢: ٧٦.

٣. ورد ذلك في مجلّة رسالة الإسلام: ٤١٣، السنة الرابعة: العدد الرابع.

٤. يضرع: أي يبذل: يقال: أضرعت له مالي أي بذلته له. (ينظر: لسان العرب ٨: ٢٢٢)

٥. رُوي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقاً حلقاً، إمامهم الدنيا، فلا تجالسوهم، فإنّه ليس لله فيهم حاجة». (مجمع الزوائد ٢: ٢٤).

٦. مسند أحمد ٥: ١٠١، سنن أبي داود ٢: ٤٤١ / ٤٨٢٣.

٧. لسان العرب: ١٥: ٥٣.

فرسول الله ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء، والذي جاء بشريعة كاملة نسخت الشرائع السابقة، يأمر أصحابه بتعلّم العلم، ويجلس معهم ليعلّمهم ويأمرهم بالكتابة، فكيف ينهاهم عن تدوين حديثه وقد قيل: (كلّ علم ليس في القرطاس ضاع)[١]. إنّ هذا لشيء عُجاب!

كما إنّ أوّل مدرسة أُسّست في المدينة في صدر الإسلام، سُمّيت: (دار القرّاء)، ذكر ذلك السيوطي، عن الواقدي[٢].

كما دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى تعلّم القراءة والكتابة؛ ليزدادوا معرفةً، وكانت الكتابة والقراءة في بدء الإسلام محصورة في نفر قليل من أهل مكّة، وكان في أُسرى بدر عشرة رجال يحسنون القراءة والكتابة، وشرع الإسلام في أسرى دار الحرب المنّ أو الفداء، وقد جعل رسول الله ﷺ فداء أُولئك العشرة، بأن يعلّم كلٌّ منهم عشرة من شباب المسلمين القراءة والكتابة، ومن هنا نعرف حرص الإسلام على تلقّي العلم ونشره بين طبقات المسلمين.

وقد طبّق المسلمون ما أمرهم به رسول الله ﷺ من تعلّم العلم، فكانوا تحت منبره الشريف يسمعون منه التوجيهات والحِكم ودرر المعارف، ما

← قال تعالى: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) (المعارج: ٣٧)، عِزين: أي جماعات في تفرقة.

١. جواهر الأدب (الباب التاسع عشر) لأحمد الهاشمي: ٧٤٧، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء: ١٦٠.
والجملة المذكورة صدرٌ لبيت شعري هو:
كلُّ علمٍ ليس في القرطاس ضاع   كلُّ سرٍّ جاوز الإثنينِ شاع
ولم نهتد لقائله، وفي بعض المصادر جاء صدره عجزاً.

٢. حُسن المحاضرة للسيوطي ٢: ١٧٥.

جعلهم بعد ذلك من أرقى الأُمم، كما كانوا يدوّنون ما نزل على النبي ﷺ من الكتاب العزيز، إذ كان ﷺ يقرأ على المسلمين كلّ آية تنزل عليه، يقرأها على أهل الصفّة أوّلاً، ثم على بقية المسلمين.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام وهو ربيب رسول الله ونفسه، يدوّن ذلك كما هو معروف، ويكتب ما سمعه من رسول الله ﷺ في كلّ آية تنزل عليه، وقد جلس في داره بعد رحيل النبي ﷺ، فجمع ما كتبه من القرآن مع ما سمعه من رسول الله ﷺ في تفسيره، وهو محفوظ عند حجّة آل محمّد (عجل الله فرجه الشريف)، كما دوّن أصحاب النبي ﷺ ما سمعوه منه من الأحاديث، وهذا موضوع سوف نتطرّق إليه إن شاء الله.

أدوات الكتابة قبل الإسلام وفي أوائله

كانت الأُمم تدوّن ما لديها من علوم ومعارف على أدوات، منها:

١. العُسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل بعد تجريده من الخوص، يُكتب على الطرف العريض منه.

٢. اللِّخاف: جمع لَخفة، وهي صفائح من الحَجَر الرقاق.

٣. الرُّقَع: جمع رقعة، وتكون من جلد.

٤. الأكتاف: جمع كَتِف، وهو عظم بعير أو شاة إذا جفّ كتبوا عليه.

٥. الأقتاب: جمع قَتَب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليُحمل عليه، كان يُستعمل لنقش الكتابة عليه.

كما كانوا يكتبون على الحرير، واستعمل المصريون وغيرهم الكتابة على أوراق البردي، وكلّ قوم يكتبون على المادّة المتيسّرة عندهم، وقد دُوِّنَت أجزاء من المصاحف على مواد مختلفة متيسّرة في بلاد العرب في القرن الأوّل[1]. قال جرجي زيدان في (تاريخ التمدن الإسلامي): وظلّوا

---

١. موجز علوم القرآن: ١٥٤.

يكتبون الى أواخر دولة الأمويين على الجلود والرقوق دروجاً، فكانت دفاتر الحكومة عبارة عن لفائف من الجلد، فلما أفضى الأمر إلى العباسيين قام أبو العباس السفّاح بالأمر واستوزر خالد بن برمك، غير خالد الدفاتر من الأدراج الى الكتب ... وظلوا مع ذلك أجيالاً يكتبون على الجلود والقراطيس والورق الصيني والتهامي والخراساني، فضلاً عن الكاغد يصنعونه كراريس أو دفاتر، وكان بعضهم يفضّل الرقاع للكتابة عليها، كالفارابي مثلاً فقد كانت كتاباته أكثرها على الرقاع[1].

وقد قال تعالى في كتابه الحكيم: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾**[2].

يقول جرجي زيدان في (تاريخ التمدن): وأمّا القرطاس فأقدم ما كتب فيه العرب من أول الإسلام الرَّق، وهي الجلود، وكتبوا أيضاً على الأقمشة وأشهرها نسيج مصري كانوا يسمونه القباطي وعليه كتبت المعلقات السبع قبل الإسلام، وإذا تعذر ذلك كتبوا على الخشب أو العظام أو على قطع الخَزَف أو على الحجارة، أو نحو ذلك.

ولما فتحوا مصر اتّخذوا البردي، فكان أكثر مكتبات الأمويين على البردي والقباطي.[3]

وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية في القاهرة آثار مخطوطة بالعربية

---

١. تاريخ التمدّن الإسلامي ٣: ٦٣، وفيات الأعيان لابن خَلِّكان ٢: ٥٧.

٢. سورة الطور: ١ـ٣.

٣. تاريخ التمدّن الإسلامي ١: ٢٥٩. وتعرّض لذلك كرد علي في (خطط الشام ٤: ٢٢٢).

عثروا عليها في بعض أنحاء القطر المصري، وشاهدنا بينها صفحة من البردي وقطعاً من القباطي، ورأينا قطعاً من الفخار عليها كتابة عربية أيضاً، وتلك المخطوطات لا يتجاوز تاريخها آخر القرن الأوّل للهجرة، وكلّها معروضة في معرض دار الكتب المصرية. وأمّا القلم فكانوا يصنعونه من القصب، وأما الحبر وهو المداد فالظاهر أنّهم كانوا يصنعونه من مسحوق الفحم أو من الهباب[1] مذاباً في سائل لزج كالصمغ أو نحوه.

اختراع الورق

كانت الكتابة إلى أواخر القرن الهجري الأوّل تُنقَش على الأدوات المتعارفة آنذاك، فقد بدأ العرب بتدوين نتاجاتهم الفكرية والأدبية بأدوات بدائية كما بيّنّا ذلك سلفاً، إلى أن اختُرِع صنع الورق، ويمكننا اعتبار صناعة الورق التي أخذها العرب من بلاد الصين ـ الموطن الأول لاختراعه ـ من أهم الإنجازات التي ساعدت العرب على دفع عجلة التطور الحضاري والثقافي بخطوات واسعة إلى الأمام، ليس في الشرق فحسب، بل وفي الغرب أيضاً، إذ من المعلوم أنّ أوربا قد عرفت صناعة الورق عن طريق العرب، ولولاهم لما عرفت أوربا عصراً مثل ذلك الذي سُمّي في تاريخنا بعصر النهضة، حيث التطور السريع والشامل في مختلف العلوم والفنون والآداب، والذي

---

١. الهباب: الهباء، الغِبارِ.

(الكيمياء والصيدلة): جزئيات سوداء متبقيّة من الإحراق غير التّام للفحم أو النفط أو الخشب أو أيّ نوع آخر من الوقود، وهي مكوّنة يشكل أساسي من الكربون.

كان فيه الورق من أهم العوامل التي حققت ذلك التقدم، بل هو أغلى هدية منحها المشرق الإسلامي إلى الغرب الأوربي في هذا المجال.

فقد ظهر الورق كمنافس جدي للبردي سنة (١٣٣ هـ)، أي بعد فتح العرب لمدينة فرغانة حيث عادوا بعشرين ألف أسير، بينهم بعض الصينيين الذين يتقنون صناعة الورق، وهؤلاء نقلوا هذه الصناعة إلى العرب، ومنذ ذلك الحين أسهم ظهور الورق مساهمة فعالة في ازدهار حركة التأليف والكتابة ونشر العلوم، لسهولة تداول المخطوط الورقي بين الناس، بل ساهم في حركة الترجمة الضخمة التي قام بها العرب والمسلمون لنقل مختلف العلوم والفنون والآداب من الحضارات والثقافات القديمة كالفارسية والهندية واليونانية إلى اللغة العربية. وقد ذكر ذلك صاحب كتاب (المسلمون في تاريخ الحضارة)[1] حيث قال: إنّ العرب قد تعرضوا في سمرقند الواقعة الى الشمال من الهند مباشرة لهجوم الصينيين سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥١ م، وفي أثناء صد هذا الهجوم بنجاح وقعت يد العرب على أول قطعة من الورق، فكانت سبباً في نقل هذه الصناعة الى العرب.

ويذكر صاحب كتاب (بلوغ الإرب في معرفة أحول العرب)[2] أنّ العرب هم الذين اخترعوا الورق، فقد قال: لم يكن للعرب قبل الإسلام القرطاس المعهود اليوم، وإنّما ظهر هذا عند العرب سنة عشرين بعد المائة من الهجرة النبوية، وهم الذين اخترعوه على قول، بل كان القرطاس عندهم يومئذ كلّ

---

١. المسلمون في تاريخ الحضارة لـ(سنانوود كب)، ترجمة محمّد فتحي عثمان: ٩٩.

٢. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي ٣: ٣٧٨.

ما يمكن أن يُكتَب عليه، كـ: الرَّق بفتح بالراء: وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه، وهو أغلب قراطيسهم، وكذلك في صدر الإسلام، وربما كانوا يكتبون على العُسب والجريد وما شاكل ذلك، كما كانوا يسمّون ما يُكتب عليه بالقرطاس، ويسمّونه: مهرقاً، وصحيفة، وسِفراً، وقد ورد ذكر القرطاس في التنزيل[١]، وكذلك الصحف[٢]، والأسفار[٣]، وهو ما يدلّ على معرفته وشيوعه بينهم.

وكانت العرب تشبّه المنزل إذا خلا، ودرجت عليه الريح وصار أرضاً بـ (المُهرَق)، قال ابن المولى[٤]:

سَلاَ دارَ ليلى هل تَبينُ فَتنطِقُ	وأنّى ترّد القولَ بيداءُ سَملَقُ
وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنّها	لطول بِلاها والتقادم مُهرَقُ

وقد استوفى جعفر بن حُمران الكاتب وصف القرطاس بقوله:

---

١. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الانعام: ٧).

٢. ورد ذكر الصحف في موارد عدة من الكتاب العزيز، منها: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (سورة طه: ١٣٣)، وكقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ (سورة النجم: ٣٦) وغيرها.

٣. قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الجمعة: ٥).

٤. هو محمّد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، شاعر أدرك الدولتين الأُموية والعباسية، ولد ونشأ في المدينة ومدح بها عبد الملك بن مروان، ومن الدولة العباسية مدح قثم ابن العباس أمير اليمامة، ثم رحل الى العراق فاتصل بالمهدي العباسي ومدحه، وسافر الى مصر فأكثر من مدح يزيد بن حاتم المهلبّي.

في يديه من القراطيس كالمُزْ نة جادت بواكفٍ مِدرارِ
كالملأ الرخيص كالبيض بيض الـ هند كالبيض كالمياه الجوارِ[١]

كان اختراع صنع الورق سبباً مهمّاً في انتشار الحضارة البشرية، والحقّ أنّ اختراع الورق لم يكن عربياً أو إسلامياً، بل الصينيون هم أول من صنعوه، ولكنّ المسلمين قاموا بتحسين تلك الصناعة، من خلال تحسين نوعه والبلوغ به إلى صناعة جيّدة ومفيدة، وإدخاله عالم الحضارة الإسلامية واللاتينية، فقد استبدل المسلمون الطرق البدائية التي استخدمها الصينيون وأحلّوا محلّها طرقاً جديدة، فاخترعوا الورق المصنوع من الخِرق، وهو نوع من الورق يحتاج إلى مهارة حرفية بالغة، ومهارة يدوية كبيرة[٢].

لقد أسّس الفضل بن يحيى البرمكي في عصر الرشيد أوّل صناعة للورق في بغداد، سنة (١٧٧ هـ / ٧٩٤م)، ثمّ انتشرت الصناعة بسرعة فائقة إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي، فدخلت سوريا ومصرَ وأسبانيا، فكان الناس يكتبون في ذلك الحين في العسف والرق إلى أن ولى الرشيد الحكم، فكثر الورق وفشا عمله بين الناس، فأمر الرشيد أن لا يكتب الناس إلّا في الكاغد (الورق)، كما ذكر ذلك القلقشندي[٣]، وتحسّنت الصناعة تحسّناً ملموساً

---

١. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي ٣: ٣٧٨.

٢. يقول جلال مظهر في كتابه (علوم المسلمين أساس التقدّم العلمي الحديث: ٦٥): يرجع اختراع نوعٍ من الورق إلى الصين، غير أنّنا لا نجد أثراً ـ أيّاً كان ـ لاستعمال الورق في إنتاج الكتب عند الصينيّين، ولا نعرف إذا كان الورق الصيني صالحاً لهذا الغرض أم لا، ... والعالم لم يعرف الورق إلّا عن طريق المسلمين الذين أدخلوا على صناعته تعديلاتٍ مهمّةً وطوّروه وجعلوه صالحاً لإنتاج الكتب.

٣. صبح الأعشى للقلقشندي ٢: ٥١٥.

بسرعة كبيرة، وأنتجت المصانع الإسلامية نوعاً مميَّزاً من الورق، وهذا الأمر أدّى إلى تسهيل انتاج الكتب بطريقة أسرع عما كان عليه الأمر في أي وقت مضى، ففي أقلّ من قرن من الزمان انتشرت مئات الآلاف من نسخ الكتب العلمية والفنّية والأدبية في جميع أنحاء العالم، في قرطبة، ومن الأندلس إلى سمرقند، وفي الصين.

وكان انتشار القرطاس سبباً لانتشار الكتب في كلّ مكان، وقد ذكر اليعقوبي (المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هـ) أنّه كان في زمانه سنة(٢٧٧ هـ/ ٨٩١م) أكثر من مائة بائع للكتب في بغداد، وأنّ محلّاتهم كانت مراكز للنُّسخ والخطّاطين والمنتديات الأدبية، وكان كثير من طلّاب العلم يكسبون رزقهم عن طريق نَسخ المخطوطات وبيعها للورّاقين وتجّار الورق[1].

ويرى جرجي زيدان أنّ العرب هم أوّل من اخترع صناعة الورق، وأُلحق بأغلب الجوامع والمكتبات العامّة، وكان يوجد في بعض المدن مكتبات تضمّ كتباً قيّمة يباح الاطّلاع عليها للجميع[2]. وكان لظهور نوع من الورق الرخيص الجيّد تحديداً بدايةً لعصر جديد في تاريخ الحضارة، حيث انتشر التعليم انتشاراً واسعاً، وكثر طلّاب الكتب تبعاً لذلك، وتحسّنت بطبيعة الحال صناعة الورق تبعاً لرواج تجارته، حتّى استورد الأوربيون الورق من الشرق الإسلامي في عهد الملك (روجر الصقلّي)[3] سنة (٤٩٥هـ ـ ١١٠٢م)،

---

١. ينظر: قصة الحضارة لول ديورانت.

٢. تاريخ التمدّن الإسلامي لجرجي زيدان.

٣. وهو روجر الثاني الصقلي (٤٥٠هـ ـ ٥٤٨هـ)، (١٠٥٩م ـ ١١٥٤م) ملك صقلية، وصقلية جزيرة ←

وأمر بكتابة كتبه بالعربية واليونانية في سنة (٥٠٢ هـ / ١١٠٩م)، وأُسّست مصانع الورق في أسبانيا وقد أُخذت من العرب، وجعل الغربيون يستوردونها من العرب، وقد ذكر القلقشندي في (صبح الأعشى) أنّ أحسن ورق شاهده البغدادي هو ورق ثخين، مع ليونة ورِقّةِ حاشية، وتناسب أجزاء، وقَطعُه وافر جدّاً[١].

أمّا ناصر خسرو الرحّالة الشهير في القرن الخامس الهجري في رحلته (سفرنامه) المعرَّبة من قبل الدكتور يحيى المنشاب، فقد وصف مدينة طرابلس قائلاً: في طرابلس يصنعون فيها الورق السمرقندي[٢].

و ورد في ترجمة جعفر بن الفضل المعروف بـ:(ابن حنزابة، ت٣٩٢هـ) أنّه كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغدَ بسمرقند ويُحمَل إليه إلى مصر في كلّ سنة، وكان في خزانته عدّة من الورّاقين، فاستعفى بعضهم فأمر بأن يحاسب ويصرف، فحمل عليه مائة دينار فعاد إلى الورّاقة وترك ما كان قد عزم عليه من الاستعفاء[٣].

و قد كتب في هذا الموضوع (يوهنس بيدرسن) في كتابه (الكتاب

← واقعة في البحر الأبيض المتوسط. والشريف الإدريسي ـ وهو عالم مسلم وأحد كبار الجغرافيين في التاريخ وله مصنفات كثيرة في علوم مختلفة(٤٩٣هـ ـ ٥٥٩هـ)،(١٠٩٩م ـ ١١٦٠م) والمولود في سبتة المغربية ـ بعد أن انتقل إلى صقلية أثناء حكم روجر الثاني الصقلي، نزل ضيفاً عليه وعاش فيها لفترة.

١. صبح الأعشى ٢: ٥١٦.

٢. سفرنامه لناصر خسرو: ٤٨.

٣. معجم الأُدباء ٧: ١٧٦.

العربي منذ نشأته حتّى عصر الطباعة) المترجم من قبل الدكتور حيدر غيبة.

كما نشرت مجلّة (العرفان) بأنّ أقدم مصنع ورق في العالم هو موجود الآن في قرية (ماجوده أزح) من بلاد اليابان، ولا يزال المصنع حافلاً منذ تأسيسه قبل ثمانمائة عام إلى الآن تُمارَس فيه صناعة الورق بواسطة الأيدي، وفي المعمل ما يقارب المئة وعاء لصناعة الورق، ويَقْدر العامل الفرد بواسطة الطشت (الوعاء) على صنع أربعمائة صحيفة يومياً، غير أنّ الانتاج ليس مترقّياً والثمن مرتفع [١].

واستعمل الآراميون قلم الحبر فدوّنوا به كتاباتهم على حلف البردي، ودوّنها الآشوريون على الآجر بقلم قصب[٢].

وذكر كرد علي أنّ في أيّام بني أُميّة عُمل الورق الكتّان وسُمّي بالخراساني، وأنّ أوّل من اخترع الورق الصينيون، كما سرد صنع الورق في البلاد الشامية[٣].

وتوسعت الدكتورة خيال محمّد مهدي الجواهري في كتابها (تاريخ المكتبات في البلدان العربية)[٤] في ذكر البلدان التي أُسِّست فيها معامل الورق.

---

١. مجلّة العرفان / المجلّد الثالث عشر ج٨ شوال سنة ١٣٤٥ هـ، عن: خزائن الكتب العربية في الخافقين: ١٥٤.

٢. العصور القديمة: ١٠٩.

٣. خطط الشام ٤: ٢٢٢.

٤. تاريخ المكتبات في البلدان العربية: ١٠٥.

ما قاله الشعراء في مدح الكتب
ومطالعتها وترتيب حوانيت الورّاقين

هلّ القرن الهجري الأوّل، وتأسّست دولة الإسلام على يد منقذ البشرية النبي الأكرم محمّد ﷺ الذي دعا المسلمين إلى طلب العلم وتدوينه، فبادر المسلمون إلى جمع الكتب على ندرتها والتي كانت تُكتَب على أدوات الكتابة المعروفة عندهم. ولا يخفى أنّ الكتابة هي دعامة الحضارات القديمة والحديثة على اختلاف عصورها وشعوبها وبلدانها، فهي التي حفظت علوم القرآن السابقة، ومهّدت للمتأخّرين سبيل التبسيط في ما أُوصل إليهم من معارف الأوّلين.

ومن أجل ذلك أمر النبي ﷺ المسلمين بتعلّم القراءة والكتابة، حتّى انتشرت بين شباب المسلمين، فأخذوا يدوّنون أعمالهم، فتولّدت لديهم فكرة صيانتها، وبازدياد تلك المعلومات وازدياد الحرص عليها، انتقل العرب من البداوة إلى الحضارة، ومن دركات الجهل إلى درجات في العلم والثقافة. ويُعزى هذا الانقلاب العظيم إلى أمرين جوهريين:

أوّلهما: الإسلام، الذي أمرهم بالسير في هذا الطريق.

ثانيهما: ما نقلوه إلى لغتهم من الثقافات التي وصلت إليهم من خارج بلادهم. وإن كان في الأمر خطورة، وكان الحكّام العبّاسيّون يهدفون إلى مسخ العقليّة الإسلاميّة لدى المسلمين، بتزريق الثقافات الغربيّة الهجينة إلى أفكارهم، لكي يبتعدوا عن معارف القرآن والسنّة، ويُبهروا بالكتب الجديدة التي شجّع بنو العبّاس على ترجمتها إلى اللغة العربيّة!

وقد أكثر شعراءهم في مدح الكتب ووصفها، وأنّ في اقتنائها عزّاً وشرفاً للناس، فكانوا يفتخرون بالحضور في سوق الكتب، وإليك أشعار بعضهم غير مرتّبة حسب القرون، قال المتنبّي:

أَجلُّ مكانٍ في الدُّنا ظَهر سابقٍ ... وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ[1]

وقال زيد بن الحسن الكندي البغدادي (٥٢٠ هـ ـ ٦١٣هـ):

لامني في اختصار كُتْبي حبيبٌ ... فَرّقَت بينه الليالي وبيني

كيف لي لو أطلتُ، لكنّ عذري ... فيه أنّ المِداد إنسانُ عيني[2]

وقد ورد في ترجمة صالح بن محمّد جزرة بسنده عن صالح بن محمّد البغدادي، أنّه قال: كان ببغداد شاعران، أحدهما صاحب حديث والآخر معتزلي، فأقبل المعتزلي يوماً فقال لي: يا بُنيَّ لمَ تكتب؟! يذهب بصرك ويحدودب ظهرك ويزداد فقرك. ثمّ أخذ كتابي وكتب عليه:

إنّ القراءةَ والتفقّه ... والتشاغلَ بالعلومِ

---

١. ينظر: ديوان المتنبّي.

٢. معجم الأدباء ١١: ١٧١ ـ ١٧٥.

أصلُ المذلّة والإضـاقة والمـــهانة والهـــمومِ

قال: ثمّ ذهب وجاء الآخر، فقرأ هذين البيتين فقال: كذّب عدوُّ الله نفسه، بل يُرفَع ذِكرك، وينتشر علمك، ويبقى اسمك مع اسـم رسـول الله ﷺ إلى يوم القيامة. ثمّ كتب هذين البيتين:

أنّ التشـاغلَ بـالدفاترِ والكـتابةِ والدراســة

أصـلُ التـقيّةِ والتـزهّد والرياسةِ والسـياسة[1]

يقول الشافعي كما في (الحضارة الإسلامية)[2]:

عِــلمي مَـعِي حَـيثمَا يَـمّمْتُ يَـتْبعُني

قَــلْبي وِعـــاءٌ لَـه لا بَـطنُ صُـنْدُوقِ

إن كنتُ في البيتِ كان العلمُ فـيهِ مَـعِي

أوكنتُ في السُّوق كان العِلْمُ في السُّوقِ

و قال أحمد بن فارس صاحب كتاب (معجم مقاييس اللغة، ت ٣٦٩هـ):

وقالوا: كيفَ أنتَ؟ فقلت: خـيرٌ تُـــقضّى حـاجةٌ ويـفوتُ حـاجُ

وإذا ازدحمت همومُ القلبِ قلنا: عسى يوماً يكـونُ لهـا انـفراجُ

نديمي هـرّتي، وسـرور قـلبي دفاترُ لي، ومعشوقي السـراجُ[3]

---

١. تاريخ بغداد ٩: ٣٢٣.

٢. كتاب الحضارة الإسلامية لأحمد زكي باشا: ٨١.

٣. معجم الأدباء ٤: ٨٠ـ٨٦. هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القـزويني الرازي، لغـوي، وهوعالم في اللغة والأدب.أقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتُوفّي فـيها وإليـها نسـبته.له مؤلفات كثيرة، وهو من العلماء الأفذاذ الذين ألفوا في عدة فنون، منها في اللغة والأدب والبلاغة والأصول والتفسير، ومن أشهرها: (معجم مقاييس اللغة).

ويقول أبو الفضل يوسف بن سليمان القرشي:

أرى كُتُباً قد طال في جمعها جُهدِي وزادَ إليها قَبْلَ تحصيلها وَجْدِي

تمنّيتُ فيها نظرةً فَحرِمْتُها وجاءَت عُقَيبَ المنع عَفْواً بلا كَدِّ

فأصبحتُ فيها ناظراً مُتَحَكِّماً جواداً بما فيها على الصادقِ الوُدِّ

أُقلِّبُها من بَعدِ غيري مُحكِّماً فيا ليت شعري مَن يُقَلِّبها بعدي[1]

وكتب المقريزي في (الخطط المقريزيّة) عند ذكره سوق الكتب بالقاهرة: وكان قد نُقل سوق الكُتبيّين من موضعه الآن بالقاهرة إلى قيسارية، وكان يعلو هذه القيساريةَ ربع فيه عدة مساكن، فتضرّرت الكتب من نداوة أقبية البيوت وفسد بعضها، فعادوا إلى السوق الأول حيث هو الآن، وما برح هذا السوق مجمَّعاً لأهل العلم يتردّدون إليه. وقد أنشدت قديماً لبعضهم هذه الأبيات:

مُجالسةُ السوقِ مذمومةٌ ومنها مجالسُ قد تُحتسَبْ

فلا تقربَنْ غيرَ سوق الجِياد وسوقِ السلاح وسوقِ الكُتبْ

فهاتيك آلةُ أهل الوغى وهاتيك آلةُ أهلِ الأدبْ[2]

ومن أوضح الأدلّة على انتشار الكتب وازدهارها بين العرب ما دوّنه المهلّب لبنيه في وصيّته، حيث قال: يا بَنيَّ لا تقوموا في الأسواق إلّا على زرّاد أو ورّاق[3].

---

١. شعراء مصر ١: ٢٢٤.

٢. الخطط المقريزية ٢: ٥٩٨ ـ ٥٩٩، والأبيات لأبي عبدالله الحسين بن محمّد بن القاسم العلوي، ذكرها البغدادي في تقييد العلم: ١٢٥.

٣. عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢١٢.

وقد عنى المهلّب بالزرّاد صانع الدروع المَزْرودة أو بائعها؛ ليدرّب بنيه على سماع أخبار الحرب، وعنى بالورّاق تاجر الكتب، يمرّنهم على تحصيل العلم في أسواق الكتب.

و قال الفقيه نصر بن عبد الرحمن الإسكندري الفَزاري:

أُقلّب كُتْباً طالما قد جمعتُها ... وأفنيتُ فيها العمرَ والعينَ واليدا

وأصبحتُ ذا ضنٍّ بها وتمسُّكٍ ... لعلمي بما قد صغتُ فيها مُنضَّدا

وأحذرُ جهدي أن تنالَ بنائلٍ ... مُبينٍ، وأن يغتالها غائلُ الرَّدى

وأعلمُ حقّاً أنّني لستُ باقياً ... فيا ليتَ شعري من يقلِّبُها غدا[1]

وقال الشيخ عبّاس القرشي:

فيا ليتَ كتْبَ الناسِ كانتْ جَميعُها ... دواوينَ مِن غُرِّ القصائدِ والشعرِ

وكانت جميعاً لي وكنتُ موفَّراً ... بكثرةِ مالي والزيادةِ في عمري

فأقضي بها يومي إلى الليلِ كلِّهِ ... وأقضي بها ليلي إلى مطلعِ الفجرِ

ولستُ أُبالي بعدَ معرفتي بها ... إذا حانَ يومي أن أُوسَّدَ في قَبري[2]

وقال السيّد محمّد بن جعفر بن عبدالله الشبّري (ت ١٣٤٦ هـ):

مَن كان في جمعِ الدراهمِ مُولَعاً ... طولَ الحياةِ وهمُّه الترصيفُ

فأنا الذي أُولِعتُ في جمعِ الطرو ... سِ، وهمّيَ التأليفُ والتصنيفُ[3]

وقال الشيخ البهائي أبياتاً يشير فيها إلى حال من صرف العمر في جمع الكتب وادّخارها على غير طائل:

---

١. الوافي بالوفيات ٢٧: ٤٥ـ٤٦.

٢. أعيان الشيعة ٧: ٤٢٤.

٣. أعيان الشيعة ٩: ٢٠٤.

على كتبِ العلوم صرفتَ مالَكْ وفي تصحيحها أتعبتَ بالَكْ
وأنفقتَ البياضَ مع السوادِ على ما ليس ينفعُ في المَعادِ
تَظَلّ من المساء إلى الصباحِ تُطالعها وقلبُك غيرُ صاحِي[١]

والشيخ البهائي يرجّح أن يصرف الإنسان عمره في العبادة مع أنّ الشيخ قضى عمره في تصفّح الكتب والاطّلاع على ما فيها حتّى وصل إلى ما هو عليه من معرفة لأكثر العلوم، وقد قال: ما خاصمني رجل ذو علم إلّا وخصمني. (يشير إلى اقتصار ذلك الرجل بعلم واحد)، وما خصمني رجل أو عالم في علوم إلّا وخصمته.

ويقول محمّد بن محمود بن الحسن البغدادي في عدم نفع الكتب مع عدم الحفظ والوعي:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجَمعُكَ للكُتْبِ لا ينفعُ
أتنطِقُ بِالجهْلِ في مجلسٍ وعِلمُك في البيتِ مُستَودَعُ![٢]

ويقول الحافظ الحميدي: أنشدني أبو محمّد علي بن أحمد بن حزم[٣] (٣٨٤هـ_٤٥٦هـ).

---

١. أعيان الشيعة ٩: ٢٤٩.

٢. معجم الأدباء ١٩: ٤٩_٥١. هو أبو عبد الله محمّد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن الحسن البغدادي، وكنيته ابن النجار (٥٧٨هـ_٦٤٣هـ)، مورّخ العصر، وله تصانيف كثيرة ومن مؤلفاته (القمر المنير في المسند الكبير) وغيره.

٣. يرجع نسبه إلى بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، و يُعدّ من أكبر شخصيات الأندلس، وهو شافعي ثم انتقل الى الظاهرية، تأثّر بابن عبد البَر وبداود بن علي الأصفهاني. أقامت عليه جماعة من المالكية، لأنه لم يتردد في تسفيه آرائهم، وقد أُحرقت كتبه علانية بإشبيلية. والحافظ الحميدي هو أحد تلامذته. ينظر: (معجم الأدباء ١٢: ٢٣٥_٢٥٧) للحموي، (سِيَر أعلام النبلاء للذهبي ١٨: ١٨٤ _ ٢١٢).

إن كـــانـــت الأبـــــدانُ نـــائيـةً   فـــنفوسُ أهـــل الظـــرف تأتـلفُ
يــــارُبَّ مُـــفترِقَينِ قـــد جـــمَعَت   قـــلبَيها الأقـــلامُ والصُّـــحفُ[١]

ويقول علي بن عبد العزيز الجرجاني[٢]:

مـــا تـــطعّمتُ لذةَ العـيشِ حـتّى   صـرتُ للـبيتِ والكـتابِ جـليسا
ليس شـيءٌ أعـزَّ عـنـدي مـن الْـ   عِــلمِ فَــلم أبـتغي سـواهُ أنـيسا
إنّـــما الذُّلُّ فـــي مـــخالطةِ النَّــا   سِ، فَـدَعْهم وَعِشْ عزيزاً رئيسا[٣]

ويقول السيّد حسين ابن السيّد حسن الحسيني الأردبيلي:

إذا غاص في بحرِ التـفكّرِ خـاطري   على دُرّةٍ مـن عاليـاتِ المـطالـبِ
حقرتُ ملوكَ الأرضِ في نيلِ مُلكِهِم   ونلتُ العُلى بالكُتْبِ لا بالكتايبِ[٤]

و ذكر الحموي[٥] نقلاً عن كتاب (التحبير) قال: سمعت الأمير أبا نـصر أحمد ابن الحسين بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الميكالي يقول: تذاكرنا المنتزَّهات يوماً وابن دريد[٦] حاضر، فقال بعضهم: أنزه الأماكن غُوطة دمشق،

---

١. وفيات الأعيان: ٣: ٣٢٧.

٢. وُلد في جرجان وتُوفي سنة ٣٩٢هـ في عهد الحاكم العباسي القادر بالله. رحل الى العراق والشام، واقتبس أنواع العلوم حتى أصبح من أعلام عصره في الأدب والشعر. وفد على الصاحب بن عباد فقرّبه واختص به وولّاه قضاء جرجان ثم قضاء الري ومنحه رتبة قاضي القضاة وألّف كتاباً سمّاه (الوساطة بين المتنبّي وخصومه) على أثـر خـلاف بـينه وبـين الصـاحب؛ وله تـفسير القـرآن، وتهذيب التاريخ.

٣. وفيات الأعيان ٣: ٢٨٠.

٤. الحصون المنيعة ٧: ٤٦١. أعيان الشيعة ٥: ٤٧١، وفيه قال: لا نعلم من أحواله شيئاً إلّا أنّنا وجدنا له هذين البيتين في مُسوَّدة الكتاب، فدلّا على أنه شاعر وأنه من أهل العلم.

٥. معجم الأدباء ١٨: ١٤٣ ـ ١٤٢.

٦. وُلد ابن دريد بالبصرة سنة(٢٢٣هـ) وتُوفّي (سنة ٣٢١هـ).

وقال آخرون: بل نهر الأبُلَّه، وقال آخرون: بل سُغْد سمرقند، وقال بعضهم: نهروان بغداد، وقال بعضهم: شعب بَوّان بأرض فارس، وقال بعضهم: نوبهار بَلْخ، فقال ابن دريد: هذه منتزهّات العيون، فأين أنتم عن منتزّهات القلوب؟

قلنا: وما هي يا أبا بكر؟

قال (عيون الأخبار) لابن قتيبة، و(الزهرة) لابن داود، و(قلق المشتاق) لابن أبي طاهر. ثمّ أنشأ:

ومَــن تكُ نُــزهتَهُ قــينةٌ   وكأسٌ تــحثُّ وكأسٌ تُــصَبّ
فــنزهتُنا واســتراحَــتُنا   تَـلاقي العـيون ودَرْسُ الكُـتبْ[1]

ويقول عبد الله بن المعتزّ[2]:

١. معجم الأدباء ١٨: ١٤٣، أعيان الشيعة: ٩: ١٥٥، مجلّة الغَري ـ السنة التاسعة / العدد ١٧ و١٨.

٢. حاكم عباسي (٢٤٧هـ ـ ٢٩٦هـ) وكان أديباً وشاعراً وقد سُمّي خليفةَ يوم وليلة، حيث آلت الحكومة العباسية إليه، لكنّه لم يلبث إلّا يوماً واحداً حتى هجم عليه غلمان المقتدر العباسي وقتلوه. وهومن الشعراء الذين بالغوا أيضاً في تنقيص أهل البيت عليهم السلام حقّهم، وله قصيدة حاقدة في ذلك، من أبياتها:

نــحن وَرِثـنا ثـياب النبي   فكـم تـجذبون بأهـدابِهـا
لكـم رَحِـم يـا بـني بنتِه   ولكـنْ بـنو العـم أولى بـها
فـمهلاً بـني عـمّنا إنّـها   عــطيةُ ربّ حــبانا بــها.

(ديوان ابن المعتزّ: ٣٠ـ٣٣).

ولله دَرّ صفيّ الدين الحلي الشاعر الموالي حيث يقول في جوابه:

ألا قُــل لشـرّ عَـبيدِ الاله   وطـاغي قـريشٍ وكـذّابِـها
وبـاغي العـباد وبـاغي العـناد   وهـاجي الكـرام ومُـغتابها
أأنت تُــفاخر آلَ النــبيّ   وتَجحدُها فـضل أحسـابِها!
بكم باهَلَ المصطفى أم بِـهِم   فَـردّ العـداةَ بأوصـابِها؟!

←

لا شيءَ أنفعُ مِن كتابٍ يُدرَسُ فيه السَّلامةُ و هوَ خِلٌّ مُؤنِسُ
رسمٌ يفيدُ كما يُفيد ذوو النُّهى أعمى أصمَّ، عن الفواحشِ أخرسُ[1]

ويقول جعفر بن محمّد الخلدي[2]:

نِعمَ النديمُ إذا خلوتَ كتابُ إن خانك الندماءُ والأصحابُ
فأيمه سرّك قد أمنتَ لسانَه أو إن يغيبك عنده مغتابُ
وإذا هفوتَ أمِنتَ غَربَ لسانِه إنّ العتاب من النديم عذابُ

ويقول الخطيب البغدادي: ومع ما في الكتب من المنافع العميمة والمفاخر العظيمة، فهي أكرم مال، وأنفس جمال، والكتاب آمنُ جليس، وأسرّ أنيس، وأسلم نديم، وأفصح كليم[3].

وما أحسن ما قال ابن يسير الرياشي[4]:

فرداً يحدِّثني الموتى وتنطِقُ لي عن علمِ ما غاب عنِّي منهمُ الكُتبُ

←

أعنكم نفى الرجسَ أم عنهمُ لطُهرِ النفوس وألبابِها؟!
وقلتَ: ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابِها
وعندك لا يُورِث الأنبياء فكيف حَضَيتم بأثوابِها؟!

الى آخر قوله، فليراجع (ديوان صفي الدين الحلي: ١٩٢).

١. تقييد العلم: ١٢٥، ديوان ابن المعتز: ١٨٥.

٢. شيخ الصوفية، أبو محمّد جعفر بن محمّد بن نصير بن قاسم البغدادي، كان يسكن محلّة الخلد، تُوفي سنة ٣٤٨هـ وله من العمر خمس وتسعون سنة (طبقات الصوفية: ٤٣٤).

٣. تقييد العلم: ١٢١.

٤. محمّد بن يسير الرياشي، من شعراء البصرة وأدبائها، وهو من خثعم وقد اشتهر بالبخل. متقلل لم يفارق البصرة ولا وفد إلى حاكم ولا شريف منتجعاً، ولا تجاوز بلده وصحبته وطبقته، وكان ماجناً هجّاءً خبيثاً (الأغاني ١٤: ٢٦٤).

هم مُـؤْنِسون وأُلَّاف غَـنِـيتُ بِـهِمْ ... فليس لي في أنيس غـيرِهم إرَبُ[١]

ويقول الشاعر علي بن هارون بن المنجّم[٢]:

إذا مـا خَـلوتُ مِـن المُـؤنِسين ... جَـعلتُ المُـحدِّثَ لي دَفـتري

فـلم أخـلُ من شاعرٍ محسنٍ ... ومـن عـالمٍ صالحٍ مُـنذِرِ

ومـن حِكَـمٍ بـين أثنائِها ... فـوائـدُ للناظرِ المفكرِ

وإن ضـاقَ صـدري بأسرارهِ ... وأودعـتُـه السرَّ لـم يُظهِرِ

وإن صرَّحَ الشعرُ باسم الحبيب ... لـم أحـتَشِمْه ولم أحـذَرِ

ونـادمتُ فـيه كـريمَ المَغيب ... لنـدمائه طـيّب المخبرِ[٣]

ويقول أبو الحسن الفارسي الفقيه:

أَنِستُ إلى التفرّدِ طـولَ عـمري ... فمـا لـي في البـريّةِ مـن أنـيسِ

جـعلتُ مُـحادِثي ونـديمَ نفسي ... وأُنسـي دفـتري بـدلَ الجـليسِ

قد استغنيتُ عـن فـرَسي بـرِجْلي ... إذا سـافـرتُ أو بـغـلٍ كـبوسِ

ولـي عُـرسٌ جديـدٌ كـلَّ يـومٍ ... بـطرحِ الهمِّ فـي أمـرِ العروسِ

فبطني سُفرتي والخَرج جسمي ... وهِمياني فـمي أبـداً وكـيسي

وبيتـي حيـث يُدركنـي مسائـي ... وأهـلـي كـلُّ ذي عـقل نـفيسِ[٤]

---

١. تقييد العلم: ١٢٣.

٢. علي بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجّم، ولد عام ٢٧٦ وتوفي عام ٣٥٢هـ، وهو من شعراء العصر العباسي، مولده ووفاته ببغداد(وفيات الأعيان ٣: ٣٧٥).

٣. تقييد العلم: ١٢٨.

٤. تقييد العلم: ١٤٤.

وقال أبو حيّان الأندلسي[١]:

أرحتُ روحي من الإيناس بـالناسِ لمّا غَنِيتُ عـن الأكيـاس باليـاسِ
وصرتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً بناتُ فكري وكُتْبـي كـان جُـلاّسي

ويقول حافظ إبراهيم الشاعر المصري:

يـا كـتابي أنت عـندي روضـةٌ فـيها الثمارُ
أقـطفُ الأزهـارَ مـنها بـاعتنـاءٍ واصـطبارِ
وأمـضّي الوقتَ فـيها بـين بـحثٍ واعـتبارِ
أنت بـالليل سـميري وصـديقـي بـالنهارِ
يـا كـتابي أنت بـابٌ للـمعـالي والفَـخارِ[٢]

وممّا قيل في الكتب ما ذكره أُميّة بن عبدالعزيز بن أبي الصلت (ت ٥٢٩هـ)، وكان الفضل قد حبسه بالإسكندرية في دار كتب الحكيمُ أرسطاطليس، فدخل عليه أبو عبدالله الشامي، وكان يختلف عليه، فرآه مُطرِقاً لم يرفع رأسه إليه على العادة، فسأله، فلم يردَّ الجواب، ثمّ قال، أي الفضل، بعد ساعة: أُكتب. وأنشدني:

قد كان لي سببٌ قد كنتُ أحسَبُ أن أحظى به فـإذا دائـي مـن السـببِ
فما مقلّـمُ أظفـاري سـوى قلمـي ولا كتائب أعدائي سـوى كُـتبي[٣]

فهذا ذمّ يراد به المدح، فالشاعر لمّا كان مكبّاً على دفاتره وكتبه وهي ترفع الإنسان وتنتشله من ظلمات الجهل، صارت كتبه سبباً لحبسه، فقد ارتفع

---

١. الكنى والألقاب ١: ٥٩ ـ ٦٠.

٢. ينظر: ديوان حافظ إبراهيم.

٣. معجم الأُدباء ٧: ٦٧ ـ ٦٨.

بها من ظلمات الجهل، وكان أعداؤه قد حبسوه من أجل انكبابه عليها، وإنّما صيّرها بمنزلة العدوّ لأنّها صارت سبباً لحبسه.

وقال محمّد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت ٢٣٠ أو ٢٣١هـ): وقد بعث أبو أيوب أحمد بن محمّد بن شجاع غلامه إليه يسأله المجيء، فعاد إليه الغلام فقال: قد سألته ذلك فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيتُ أربى معهم أتيت. قال الغلام: وما رأيتُ عنده أحداً إلّا أنّي رأيت بين يديه كتباً ينظر فيها، فينظر فى هذا مرةً وفي هذا مرة. ثم جاء ابن الاعرابي فقال له أيوب: إنّه ما رأى عندك أحداً، وقد قلتَ له: أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيتُ أربى أتيت! فأنشد:

لنا جلساءُ ما نَمَلُّ حديثهم ... أخلّاءُ مأمونون غَيباً ومَشهدا
يُفيدوننا في علمِهم علمَ ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدَّدا
فلا فتنةً نخشى ولا سُوءَ عِشرةٍ ... ولا نتّقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلتَ أمواتٌ، فما أنت كاذبٌ ... وإن قلتَ: أحياءٌ، فلستَ مفنَّدا[١]

ويقول أحمد بن محمّد الملَّقب بـ(مِسْكَوَيه) بأنّ تفاوت الناس في العقول والفضل يعرف من كتبهم، فقد قال في قصيدة هنّأ بها عميدالمُلك[٢]،

١. معجم الأدباء: ١٨: ١٩٤ـ١٩٥.

٢. عميد الملك هو لقب محمّد بن منصور، استوزره السلطان السلجوقي طغرل بك، وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقعة فيهم، هذا ما ذكره ابن الأثير في تاريخه، كما أنّه خاطب السلطان السلجوقي في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن له، قُتل يوم الأحد ١٦ ذي الحِجّة سنة ٤٥٥هـ بأمر من نظام الملك. ومن العجائب أنّه دُفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو، ودُفن جسده بقرية كندر وجمجمته بنيسابور، وحُشيت سَوأته بالتين، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر بعد أن كان رئيس عصره (الكامل في التاريخ ١٠: ٣١ـ٣٣).

باتّفاق الأضحى والمهرجان في يوم واحد، وقد تفنّن فيها:

فانظرْ إلى سِيَرِ القومِ الذين مَضَوا والْحَظْ كتابَهمُ مِن باطنِ الكُتبِ
تجدْ تَفاوتَهم في الفضلِ مختلفاً وإن تقاربَتِ الأحوالُ في النسَبِ
هذا كتاجٍ على رأسٍ يُعظّمُه وذاك كالبَعَرِ الجافي على الذَّنَبِ[1]

و يقول الشيخ ناصر البويهي[2]:

إذا رَمَقت عيناك ما قد كتَبتُه وقد غيّبَتْني عند ذاك المقابرُ
فَخُذ عِظةً ممّا رأيتَ فإنّه إلى منزلٍ صِرْنا به أنت صائرُ[3]

وقد ذكر الخطيب البغدادي بيتين لوكيع المتوفّى سنة ٣٠٦هـ، هما:

إذا ما غَدَت طَلّابةُ العلم تبتغي من العلمِ يوماً ما يُخلَّد في الكُتْبِ
غدوتُ بتشميرٍ وجِدٍّ عليهمُ ومِحبرتي أُذني ودفترُها قلبي[4]

وأنشد محمّد بن يوسف الزغبي[5]:

كُتْبي لأهلِ العلم مبذولةٌ أيديهمُ مِثلُ يدي فيها
أباحَنا أشياخُنا كُتْبَهم وسُنّةُ الأشياخِ كُتبيها

---

١. معجم الأدباء ٥: ١٠.

٢. هو ناصر بن إبراهيم بن بياع البويهي الأحسائي ثم العاملي العيناثي، عالم دين شيعي، برع في الفقه، وهو من أعقاب الملوك البويهيين، هاجر إلى جبل عامل في زمان شبابه، وسكن عيناثا حتى مات بها سنة الطاعون. وصفه الشهيد الثاني بالمحقّق، اشتغل بطلب العلم، وكان محقّقاً مدقّقاً أديباً شاعراً فقيهاً، وله حواشٍ كثيرة على كتب الفقه والأصول وغيرها، كما له مصنّفات كثيرة، تُوفّي سنة ٨٥٢هـ(أمل الآمل ١: ١٨٧ / ٢٠١).

٣. أمل الآمل ١: ١٨٧، أعيان الشيعة ١٠: ٢٠٢.

٤. تاريخ بغداد ٢: ٣١١ـ٣١٢.

٥. درّة الحجال ٢: ٣٣.

و ممّا قيل في مدح الكتب: ما قاله أبو الحسن بن أبي جرادة الذي ورد في ترجمته أنّه كتب بخطّه ثلاث خزائن من الكتب النفيسة، وخزانة لولده أبي البركات، وخزانة لابنه عبدالله المتوفى سنة (٥٤٨هـ)، فقد قال أبياتاً كتبها بلغة بليغة مزج مدادها بالذهب:

ما اخترتُ إلّا أشرفَ الرُّتبِ ... خَطّاً أُخلِّدُ منه في الكتُبِ
والخطُّ كالمرآةِ تنظرُها ... فترى محاسنَ صورةِ الأدبِ
هو وحدَه حَسَبٌ يُطال بهِ ... إن لم يكن إلّاهُ من حَسَبِ
ما زلتُ أُنفق فيه من ذهبٍ ... حتى جرى فكُتبتُ بالذهبِ[1]

ويقول شاعر:

نِعمَ المحدّثُ والرفيقُ كتابُ ... تَلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مُفشِياً للسرِّ إن أودعتَهُ ... و تُنالُ منه حكمةٌ وصوابُ[2]

قال ابن أبي جمهور المترجَم في (الكنى والألقاب)[3] في بعض إجازته، موصياً برعاية العلم والقيام بخدمته والجدّ في طلبه وكثرة الدرس والمذاكرة والحفظ وعدم الاتّكال على جمعه في الكتب:

فإنّ للكُتْبِ آفاتٍ تُفرّقُها ... اَلنارُ تُحرقها والماء يُغرقُها
والليثُ يُمْزِقُها واللصُّ يَسرقُها[4]

---

١. معجم الأدباء ١٦: ١١ـ١٧، خزائن الكتب العربية ١: ٢٨٩ ـ عن: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطبّاخ ٤: ٤٦٧.

٢. ينظر: تقييد العلم: ١٢٠.

٣. الكنى والألقاب ١: ١٩٢.

٤. الكنى والألقاب ١: ١٩٢، وهو محمّد بن علي ابن أبي جمهور الهجري الأحسائي، ولد في ←

وقيل لرجلٍ: من يُؤنِسُكَ؟ فضربَ بيده إلى كتبه وقال: هذه، فقيل: مِن الناس؟ فقال: الذين فيها[١]:

خليلي كتابي لا يَعاق وصالي ... وإن قَلَّ لي مالٌ وولّى جَماليا
كتابي عشيقي حين لم يبقَ مُعشَقٌ ... أغازلُه لو كان يدري غزاليا
كتابي جليسي لا أخاف مِلالَه ... محدِّثُ صِدقٍ لا يَخاف مِلاليا
كتابيَ بحرٌ لا يغيض عطاؤُهُ ... يُفيض علَيَّ المالَ إن غاب ماليا
كتابي دليلٌ لي على خيرِ غايةٍ ... فمِن ثَمّ إدلالي ومنه دلاليا[٢]

في فضل اقتناء الكتب نثراً

قال بعض الحكماء: الكتب أصداف الحِكم، تنشق عنها جواهر الشِّيم.
وقيل لرجل ما بلغ من شهواتك للكتب ورغبتك في قراءتها؟ قال: إذا نشطتُ فهي لذّتي، وإذا اغتممتُ فهي سلوتي.
وقال آخر: ما وَرّثَتِ الأسلافُ للأخلاق كنوزاً أفضل من الكتب، ولا خَلّف الآباء للأبناء حُلِيّاً أجمل من الأدب.
وسأل آخر عن إنفاذ المال في الكتب وترك الولد بغير عقل، فقال: إنّي

← الأحساء في قرية التهيمية سنة ٨٣٨هـ، في عائلة معروفة بالعلم والورع والتقى، هاجر إلى النجف الأشرف بعد اجتياز الدراسة الأولية. ومن تلامذته الشيخ علي الكركي والمحقّق الثاني، له ثمانية وثلاثون مؤلّفاً منها (حاشية عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية)، يقال بأنّه تُوفي سنة ٩٠١أو ٩٠٩هـ، وذكر أحد المصادر أنّ قبره في مدينة مشهد بإيران.

١. تقييد العلم: ١٢٥.

٢. تقييد العلم: ١٢٧.

أعقد لهم كتب علوم تخلّص أرواحهم لا عقد أموال أشهاهم. وقيل لآخر: فلان مات وما خلّف لوُلده إلّا كتباً! فقال: لقد خلّف لهم مآثرَ لا تعفوها الأيّام، وترك لهم حوادثَ لا تفنّدها الأعوام. وقال بعض المصنّفين في فضل الكتب واقتنائها: إعلم أنّ الكتاب قيّد على الناس علم الدِّين، وأخبار الأوّلين، مع خفّة مَحمله وصِغَرِ جثّته، صامت ما أسكته بليغ ما استنطقه، ومَن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك، ولا يدعك في أوقات نشاطك، ولا يُحوِجك إلى التجمّل له والتظلّم منه، ومن لك بذائد إن شئت جعل زيارته غِبّاً، ووروده جمّاً، وإن شئت لزمك لزوم ظلّك، فكان ظِلّ مكان بعضك، والكتاب هو الذي إذا نظرت فيه أطال متاعك، وشهد طباعك، وبسط لسانك، وجرّد بيانك وفهّم ألفاظك، وعمّر صدرك، ومنحك صداقة الملوك وتعظيم العوام، وعرفتَ به مشهداً لا تعرفه من أفواه الرجال دهراً.

وقال: الكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يقصر عنك بنوم ولا يعتريه ملل، وهو المعلّم الذي إن افتقرتَ إليه لم يحقّرك، وإن قطعتَ عنه المادّة لم يقطع عنك الفائدة، وإن عدلتَ عنه لم يدَعْ طاعتك، وإن هبّ ريح أعدائك لم ينقلب عليك، ومتى كنتَ منه متعلّقاً ومعتصماً بحبل لم يضرّك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء، ولو لم يكفّ من فضله عليك وإحسانه إليك إلّا مَنعة لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارّة بك، مع ما في ذلك في التعرّف للحقوق في فصول النظر وملامسة صغار الناس، وحضروا ألفاظهم الساقطة وأخلاقهم الروية يضمن في ذلك السلامة يوم القيامة.

ونعم الجليس، وقال في هذا المعنى: والكتاب نعم الذخر والعقدة، ونعم الجليس ونعم السيرة والنزهة، ونعم الشغل والحرفة، ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والزميل. والكتاب وعاء مُلئ علماً، وظرف حُشي ظرفاً، وإناء شُحن مزاحاً وجدّاً، وإن شئت كان أبينَ من تيجان وائل، وإن شئت ضحكتَ من نوادره، وإن شئت عجبتَ من غرائب فوائده، وإن شئت ألهمك نوادره، وإن شئت أشجَتْك مواعظه[1].

وقيل: إنّ اختيار الكلام أصعب من تأليفه، ولكلّ عالم هفوة، ولكلّ صارم نَبوّة. ويقول العتّابي: من قرض شعراً أو وضع كتاباً فقد استُهدِف للخصوم، إلّا عند من نظر فيه بعين العدل، وكلّم بغير الهوى، وقليل ما هم. لا سبيل إلى السلامة من ألسن الخاصّة والعامّة، اختيار المرء قطعة من عقله.

و قال الحسن بن عبدالله المرزباني النحوي يوصي بعض أصحابه وتلامذته: كن كما قال الخليل بن أحمد، اجعلْ ما في كتبك رأسَ مالك وما في صدرك للتفقّه.

ونُقل عن بعض الأكابر أنّه كان يحترز عن مجالسة الناس ومصاحبتهم، فقيل له في ذلك (أي سُئل عن سبب ذلك) فقال: أيُّ صاحب أفضل ممّا في صدري[2].

وقيل: الكتب بساتين العلماء.

وقد جمع الخطيب أقوال بعض الحكماء في مدح الكتب[3].

---

١. كنز الفوائد للكراجكي: ١٢٩ ـ ١٣٠.

٢. المعزّ لمن يريد العزّ ٢: ١٥٥.

٣. ينظر تقييد العلم: ١١٨.

مهنة الوراقة والنَّسخ

ما أن اهتدى الصينيون إلى صنع الورق وانتشرت صناعة الورق في بقيّة أجزاء العالم، حتّى أخذ العلماء يؤلّفون ويكتبون على الورق بدل كتابتهم على الرَّقّ والبردي والأكتاف وغير ذلك من أدوات الكتابة، فقد امتهن كثير من العلماء مهنة الوراقة واتّخذوا هذه المهنة من أجل التجارة والكسب، كما إنّ الكثير منهم أضافوا إلى الوراقة نسخ الكتب، فكانوا ينسخون الكتاب ويعرضونه للبيع في الأسواق من أجل تحصيل المعاش، ففُتحت أسواق للورّاقين في بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس وغيرها من العواصم، وعندما اتّسعت المعارف الإسلامية امتهن كثير من العلماء الوراقة: كياقوت الرومي صاحب المؤلّفات الكثيرة الثمينة، كان مع علمه الوفير ورّاقاً، وقد كتب بخطّه الكثير من الكتب زيادة على مؤلّفاته، وسعد بن علي المشهور بدلّال الكتب مؤلّف كتاب (زينة الدهر) الذي جعل ذيلاً لـ(دُمية القصر)، ومحمّد بن شاكر الكتبي صاحب (فَوات الوَفَيات) كان ورّاقاً، وابن النديم، وكذا النجاشي كان نسّاخاً. وغير هؤلاء من العلماء الذين أثْرَوُا المكتبة الإسلامية بالمؤلّفات القيّمة التي لا زال طلّاب العلم ينتهلون منها أناملهم عشرات المؤلّفات، واستنسخوا الآلاف من الأوراق وقد ذكر المسعودي في مقدّمة كتابه (مروج الذهب) فصلاً حافلاً ذكر فيه جملة صالحة من العلماء، كما ذكر الكثير من مؤلّفاتهم، وهي مقدّمة تستحقّ النظر ليتعرّف طالب العلم على ما بذله العلماء والمؤلّفون من جهود عظيمة في التأليف.

قلت: المسعودي هو الذي ألّف سبعاً وأربعين كتاباً منها (التاريخ الكبير والمتوسّط والصغير)، ومن نسّاخ الكتب: ابن مَعين، وكان يكسب معيشته من عمله كورّاق، محمّد بن سليمان الذي كان ميسور الحال ثمّ بدّد ماله قد اضطرّ أن يصبح ناسخاً بأجر، وألّف الجاحظ كتاباً في فضل الوراقة وآخر في ذمّها، وقد ورد في ترجمته أنّه كان في بعض الأحايين يكتري بعض حوانيت الورّاقين ليلاً فيقضي ليله في ذلك الحانوت للمطالعة، وكانوا يرون أنّ الاكتساب بالوراقة كسب جيّد. قال عبدالوهّاب الورّاق: قال لي أحمد بن حنبل: ما مهنتك؟ قلت: الوراقة، قال: كسب طيّب، لو كنت صانعاً بيدي لصنعت صنعتك. ثمّ قال لي: لا تكتب إلّا بواسطة، واستبق الحوانيت وظهور الأجزاء[١].

وقد ذكر المؤرّخون أنّ بغداد كان فيها سوق للورّاقين، كما ذكروا أنّ مئة حانوت كانت للورّاقين، وهكذا الحال في بقيّة الحواضر الإسلامية وكان مِن نتائج هذه المهنة أن نُسخت ملايين الكتب ممّا ألّفه العلماء. ورغم الحوادث المؤسفة التي جرت على الكتب والمكتبات فإنّ ملايين الكتب منها ما زالت محفوظة في مكتبات العالم، فمكتبات روسيا تحتفظ بمئة ألف مخطوطة أُخذت من سمرقند وبخارى وبعض المدن التابعة لروسيا، وكان في تلك المدن حركات علمية تضمّ الكثير من العلماء والمؤلفين، فحازها الروس وضمّوها إلى مكتباتهم. وهكذا مكتبات الغرب فإنّها تحتفظ بمئات الأُلوف من المخطوطات العربية وغير العربية، كمكتبة (الكونغرس) و(الأسكوريال)

١. قوت القلوب لأبى طالب المكي ٢: ٤٤٣، إحياء العلوم للغزالي ٥: ١١.

وغيرها من المكتبات رغم ما أصابها من نكبات كتابية فادحة ذكرناها في محلّها، وسيمرّ في طيّات كتابنا أو في مقدّمة كلّ قرن أسماء بعض الورّاقين. واستمرّ العمل بالنَّسخ إلى القرن الرابع عشر الهجري، فقد كان جملة من العلماء والأُدباء يمتهنون نَسْخ الكتب للبيع أو لمكتباتهم الخاصّة، نذكر منهم آل قفطان الذين عُرفوا بالضلوع في الأدب والنظم، وقد نسخ الشيخ محمّد السماوي ﷺ بقلمه أربعمائة كتاب زيادةً على مؤلّفاته الكثيرة، منها كتاب (الطليعة في شعراء الشيعة) وغيره، فنسخُ الكثير كان متعارفاً عند أكثر العلماء من ورّاقين وغيرهم.

مداد العلماء شارة عزّ

يقول أبو تمّام:

قومٌ إذا خافوا عداوةَ حاسدٍ ... سَفَكوا الدِّما بأسنّةِ الأقلامِ
ولضربةٌ من كاتبٍ بمِدادِهِ ... أمضى وأنفذُ من رقيقِ حُسامِ[1]

وكان بن مقلة يوماً على المائدة، فلمّا غسل يديه رأى على ثوبه نقطة صفراء من أثر الجلوس، فأخذ القلم وسوّدها وقال: تلك عيب، وهذا أثر صناعة. وأنشأ:

إنّما الزَّعفرانُ عِطرُ العَذارى ... ومِدادُ الدواةِ عِطرُ الرجالِ[2]

ومن بديع لغز الشعراء قول محمود قباد التونسي المتوفّى سنة ١٢٨٨ هـ ملغّزاً:

---

١. معجم الأدباء ١٧: ١٤١.

٢. نشوار المحاضرة ٣: ٢٥٤.

يـا أيُّـها الشـيخُ الذي لم يَـزَلْ   تَـزدحِم النـاسُ عـلى بـابـهِ
مـا ذو وجـوهٍ كـلُّها سُـوِّدتْ   كـان وجـيهاً عـند أربـابِهِ[١]

الحرص على الكتب

كان الأقدمون يعتبرون الكتاب خير نديم، ويحرصون على جمع الكتب، فإذا جمعوها حرصوا على حمايتها والاستفادة منها وقد حدّثنا التاريخ ـ كما ذكر الحموي[٢] ـ أنّ إبراهيم الحربي كان حريصاً على جمع الكتب والمحافظة عليها، وكان في داره دهليز فيه كتبه، وكان يجلس فيه للنَّسخ والنظر، ويترفّع عن أخذ الجوائز من الحكّام وغيرهم. وكان يعيش في فقر مدقع، وقد قال لابنته عندما دنت منه الوفاة: أُنظري إلى تلك الزاوية. فنظرت فإذا كتب، فقال لها: هناك اثنا عشر ألفَ جزءٍ لغة وغريب كتبتُها بخطّي، فإذا متُّ فوجّهي في كلّ يوم بجزء تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير[٣].

وقال بعض الشعراء:

ضِفِ الكُتْبَ يبقَ ذِكرُك واحرَصْ   أن تصونَ العلومَ والآدابا
إنّ في جوهرِ الخواطرِ عِلماً   يَلقَحُ العقلَ حكمةً وصوابا[٤]

---

١. خزائن الكتب العربية ٢: ٧٥٤.
٢. معجم الأدباء ١: ١١٨.
٣. معجم الأُدباء ١: ١١٨.
٤. تقييد العلم: ١١٩.

وعندما توفّرت الوسائل المادّية والأدبية أكبّوا على التأليف فأبدعوا فيه، ولم يتركوا باباً من أبواب المعارف إلّا وَلَجوه، ولقد أدرك البشر قيمة المكتبات وفوائدها، فاعتبروها ركناً ترتكز عليه قواعد الثقافة، وركناً تتوثّق به دعائم الحضارة، وسبيلاً مؤدّياً إلى الخير والصلاح والفلاح، فأخذوا في تأسيسها وحرصوا على حماية كنوزها.

ما قيل في بيع الكتب

يقول نعمة الحلبي (الذي ولد في حلب في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ومات سنة ١٧٦٧م) وقد اضطُرّإلى بيع كتبه[١]:

يا ربِّ قد بِعتُ كُتبي ... فحَسْبيَ الذُّلُ حسبي

لا دَرّ دَرُّ زمانٍ ... فرّقَ عنّيَ كتْبي

يا ليتني لو يُقضّى ... مِن قَبلِ ذا البيعِ نَحْبي

ويقول يحيى إسكندر المعلوف:

اِجعلوا إن متُّ يوماً كتُبي ... ورقَ الكُتبِ وقبري المكتبة

وادفنوني وادفنوا الكُتْبَ معي ... وانثروا الأوراقَ حول المرتبة[٢]

وقال شاعر:

هذا كتابٌ لو يُباع بمِثلِه ... ذهباً لَكان البائعُ المغبونا

أوَ ما من الخُسران أنّك آخذٌ ... ذهباً وتترك جوهراً مكنونا!

---

١. خزائن الكتب العربية ٢: ٧٧١.

٢. مجلّة الدستور ـ بيروت المجلّد ١٩ سنة ١٩٤١م /العدد ٨٦٣.

هذا وقد اشترى السيّد المرتضى (كتاب الجمهرة) لابن دريد فرأى أبياتاً على ظهر الكتاب بخط مالكها الأوّل أبو الحسن الفالي ، وهي[1]:

أنِستُ بها عشرين حولاً وبِعتُها ... لقد طال حزني بعدها وحنيني

وما كنتُ أخشى أنّني سأبيعها ... ولو خلّدَتْني في السجونِ دُيوني

ولكنْ لِضعفٍ وافتقارٍ وفتيةٍ ... صغارٍ عليهم تَستهلُّ شؤوني

فقلتُ ولم أملك سوابق دمعتي ... مقالةَ مكويِّ الفؤادِ حزينِ

وقد تُخرج الحاجاتُ يا أُمَّ مالكٍ ... كرائمَ مِن ربٍّ عليه ضنينِ

وعلى أثر ذلك أرجع السيّد (الجمهرة) إلى مالكها وأباحه الثمن.

إعارة الكتب

ورد في أخبار أئمّة أهل البيت عليهم السلام استحباب إعارة الكتاب لطالب العلم الذي يريد الانتفاع به ، حتّى ورد أنّ مَن منع كتابه ولم يُعِره لطالب العلم للاستفادة منه ابتلاه الله بداء النسيان. هذا إذا كان طالب العلم أميناً محافظاً على الكتاب ، يرجعه إلى صاحبه عند فراغه منه ، أمّا إذا لم يكن المستعير أميناً ولم يحافظ على نظافة الكتاب وأناقته فلا يُعار. وقد ذكر الحموي أنّ المنذر بن سعيد كتب إلى أبي علي القالي صاحب (الأمالي) يطلب منه إعارة كتابٍ في الغريب ، فقال له :

بحقِّ رِئْمٍ مُهَفْهفْ ... و صَدغِه المتُعطِّفْ

إبعثْ إليَّ جزءاً ... من الغريبِ المصنَّفْ

---

١. ينظر ترجمة السيّد المرتضى في كتاب (الغدير ٤ : ٢٦٤ ـ ٢٩٩).

فأرسل إليه الكتاب وأجابه بقوله:

وحقِّ دُرٍ مؤلَّفْ ... بِفِيك أيّ تألُّفْ
لأبعثنّ بما قد ... حوى الغريبُ المصنَّفْ
ولو بعثتُ بنفسي ... إليك ما كنتُ أسرفْ[1]

وقد أفرط فريق من جمّاعي الكتب على الإفراد في شدّة تشبّثهم بها ومحافظتهم عليها، يحجبونها عن الأبصار لكائنٍ مَن كان أن يطّلع عليها أو ينسخ شيئاً منها. وقد ضرب بعض أصحاب الكتب أنّها لمالك الكتاب أن يعيره لطالب العلم للاستفادة منه بشرط المحافظة عليه وإرجاعه إلى مالكه، فقال محمّد بن خليفة الشاعر التونسي في هذا المعنى:

ألا يا مستعيرَ الكتْبِ دَعْني ... فلي في الكُتْبِ ياصاحِ افتخارُ
إذا سلوايَ كانت في كتابي ... فإنّ إعارتي للكُتْبِ عارُ
فمحبوبي من الدنيا كتابٌ ... ومَجدي الكتْبُ لا مجدي افتخارُ
فهل شاهدتَ مجداً بِيعَ بَخْساً ... و هل أبصرتَ محبوباً يُعارُ؟!

وقد عارضه شاعر آخر بهذين البيتين:

ألا يا مالكاً للكتب عِزْها ... فما بإعارةٍ للكُتبِ عارُ
لئن أحببتَ في الدنيا كتاباً ... فمحبوبُ الأحبّةِ قد يُزارُ[2]

وقد كتب أحد الشعراء إلى صديق له يطالبه بردّ كتبه:

ما بالُ كتبي في يديك رهينةً ... حُبِسَت علَيّ إلى الزمانِ الأطول

---

١. معجم الأُدباء ١٩: ١٨٤.

٢. معجم الأُدباء ٤: ٢٧١.

اِئذَنْ لهـا فـي الاطِّـرافِ فـإنّها　　كنزٌ عليه إذا افـتقرتُ مـعوَّلي[١]

وكتب غيره إلى صديق له:

غدرتَ بحبسِ دفـترِنـا　　وعهدي بالأديـبِ ثقـة

ألستَ أحـبَّ للأُدبـاء　　أن يـرتكبـوا سـرقـة

وقال الصوري معاتباً مستعيراً كتاباً له:

مـاذا جَـناهُ كـتابي فـاستحقَّ بـهِ　　سـجناً طـويلاً وتـغييباً عـنِ النـاسِ

فاطلِقْه فـاسألْه عـمّا كـان حـلَّ بـه　　في طولِ سجنِك مِن ضُرّ و من باسٍ[٢]

وقال غيره:

لا تُـعيـرنّ كـتـاباً　　واجعل العُذرَ جـوابـا

واقبضِ الرهـنَ عـليهِ　　إنّ في الرهنِ صـوابـا

وأنشد بعضهم هذين البيتين في استعارة الكتب ووجوب ردّها إلى صاحبها فقال:

إذا استعرتَ كـتابي وانـتفعتَ بـهِ　　فاحذرْ وُقِيـتَ الردى مِـن أن تُغيّرهُ

واردُدْه لي سـالماً إنّـي شُـغِفتُ بـهِ　　لولا مـخافةُ كـتمِ العـلمِ لم تَـرَهُ[٣]

وكان أحد علماء دمشق يملك نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتابه (منافع الأعضاء) تأليف جالينوس، فكتب إليه الطبيب عزّ الدين العويدي قصيدة يلتمس أن يعيره المخطوط المذكور، وقد أورد فيها هذين البيتين:

---

١. أدب الإملاء والاستملاء: ١٩٤.

٢. الغدير ٤: ٢٣٠.

٣. صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ٤.

وامنُنْ فأنت أبو المكارم والعُلى   بكتابِ شرحِ منافع الأعضاءِ

فإعارةُ الكتْبِ الغريبةِ لم تَزلْ   مِن عادةِ العلماءِ والفضلاءِ[1]

وممّا قيل في إعارة الكتب أيضا قول محمّد بن حسن القمّي التميمي المتوفّى (ت ٦٧٣هـ):

كُتْبي لأهلِ العلم مبذولةٌ   يدي مثل يدهم فيها

فإنّها يا محسنُ كُتْبُهم   وظيفةُ الأشياع غضها

من شعر أبي عيسى بن لبون (وهو من علماء القرن الثامن الهجري) يصف مكتبة ويذكر شديد كلفه بها:

نفضتُ كفّي من الدنيا وقلتُ لها :   إليكِ عنّي فما في الحقّ اغتبنُ

من كسر بيتي لي ومن في كتبي   جليسُ صِدقٍ على الأسرار مُؤْتمَنُ

أدري به ما جرى في الدهرِ من خبرٍ   فعنده الحقُّ مفطورٌ ومُختزَنُ

وما مصابي سوى موتي ويدفنني   قومٌ وما لهمُ علمٌ بمن دُفِنوا[2]

وراح بعضهم يستنكر بيع الكتب أو حقبها، ومن هذا القبيل طالعنا بيتان في مخطوطة عنوانها (البُردة الشريفة)، أُرِّخت بعام (١٢٧٢هـ)، وقد أهديناها إلى دار الكتب اللبنانية، وإليك نصّها:

تمّ بجهدٍ وتَعبْ   بعدَ عناءٍ ونَصَبْ

فلا تَبعْ ولا تَهِبْ   ولو بوادٍ مِن ذهبْ

---

١. نفح الطِّيب ٣: ٣٣٨.

٢. نفح الطيب ٣: ٣٣٨.

النساء والكتب

ومن رزايا الكتب ما حدّثنا به التاريخ وما جرى على الألسنة ممّا حدث بين بعض النساء وأزواجهنّ، فلقد ورد في ترجمة أحمد بن علي المعروف بابن المحرّم (٢٦٤هـ ـ ٣٥٧هـ) بسنده قال: تزوّج شيخنا ابن المحرّم (...الى أن قال:) فلمّا حملت المرأة إليّ، جلستُ في بعض الأيّام على العادة أكتب شيئاً والمحبرة بين يَديّ، فجاءت أُمّها فأخذت المحبرة، فلم أشعر حتّى ضرَبَت بها الأرض وكسرتها، فقلت لها في ذلك، فقالت لي: إن هذا الشيء أضرُّ على ابنتي من ثلاثمائة ضرّة[١].

ومثل ذلك ورد في ترجمة الزهري محمّد بن شهاب، إذ كانت زوجته كلّما رأته مشغولاً بالقراءة عنها تقول: والله لَهذه الكتب أشدُّ علَيَّ من ثلاث ضرائر[٢].

وذُكِر في ترجمة المبشر بن فاتك ما جرى بينه وبين زوجته وإتلافها كتَبه، كما ذُكر في ترجمة الخليل بن أحمد الفراهيدي ﷺ ما جرى بين الليث بن سعيد و زوجته في (كتاب العين) الذي أحرقته زوجته.

وقد حدثني المرحوم الشيخ عباس المظفر أنّ الشيخ ملّا محمّد صالح المازندراني وهو من أفاضل العلماء، كان يشيد بزوجته ويذكر ما هي عليه من علم ومعرفة، فتحيّل بعض تلامذته بأن هيّأ للشيخ ثوباً جديداً ودعاه إلى منزله فألبسه الثوب الجديد وخضّب لحيته بالحناء، ثمّ ذهب إلى داره فقال

---

١. المنتظم ١٤: ١٩٣.

٢. وفيات الأعيان ٤: ١٧٧ ـ ١٧٨، مرآة الجنان ١: ٢٠٤.

لزوجته: لا تنتظري الشيخ فإنّه يدخل الليلة بزوجة جديدة. وبات الشيخ تلك الليلة في بيت تلميذه، وعندما أصبح الصباح وذهب إلى داره ونظرت إليه زوجته العالمة وعليه ثياب جديدة وقد خضّب لحيته، أيقنت بصدق ما أخبرها به تلميذه، فعمدت إلى بعض كتب الشيخ ورمتها في حوض كان في وسط البيت، فلمّا نظر إليها الشيخ تغيّر حاله وحدث ما حدث بعد ذلك.

و قد حدّثني المرحوم محمّد كاظم الكتبي[1] أنّ أحد أساتذة الجامعات تزوّج بأُستاذة جامعية، وكان إذا رجع من عمله ذهب إلى مكتبته وذهبت هي إلى مكتبتها من أجل المطالعة والتحضير معاً، وفي ذات يوم جاء إلى الدار فنظر إلى زوجته الأُستاذة وقد جمعت كتبه وكتبها ووضعتها في صحن الدار وأضرمت فيها النار وهي تتفرّج عليها، فلمّا رآها زوجها سألها عن ذلك، قالت له: إنّي رأيت أنّ هذه الكتب هي التي تمنعني وتمنعك من الاتّصال والجلوس والمحادثة فأحرقتُها!

اختراع آلة الطباعة

أشرق نور العلم الطبيعي عند اختراع المطبعة في القرن السادس عشر الميلادي، وباختراعها نما عدد المؤلّفات نموّاً لم يسبق له مثيل، وكثر المؤلّفون وكثر محبّو جمع الكتب بين الملوك والعلماء، فإنّ رجال العلم والفكر وجدوا سبيلاً لنشر أفكارهم عن طريق هذه الآلة وبعد اختراعها، فكانت خطوةً طويلة إلى الأمام في تلاقح أفكار العلماء وانتشارها.

---

١. صاحب المكتبة الحيدرية في النجف.

النبي ﷺ يأمر بتدوين الحديث

ذكرنا أنّ الإسلام أكثر دين جاء يأمر بطلب العلم ونشره، حيث جاءت الأوامر في القرآن الكريم تأمر بتدوين العلم في جميع فروعه، وكذا الحديث النبوي، لئلّا يقع الوهم في حفظه وحصول العجز عن إتقانه وضبطه، فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ** ﴾[1]؛ وإنّما أمر الله بكتابة الدَّين حفظاً له واحتياطاً عليه وإشفاقاً من دخول الريب فيه. ولمّا ادّعى الكفّار أنّ الملائكة بنات الله، أمر اللهُ نبيَّنا ﷺ أن يقول لهم: ﴿ **فَأْتُوا بِكتابِكُم إنْ كُنتُم صادقين** ﴾[2]. ولمّا قالت اليهود ﴿ **مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ﴾[3]، قال الله تعالى لنبيّنا ﷺ: ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً** ﴾[4] فلم يأتوا على ذلك ببرهان، فخاطب الله نبيّه بقوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[5]. وقال تعالى رادّاً على متّخذي الأصنام آلهة من دونه: ﴿ **أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[6]،

---

١. سورة البقرة: ٢٨٢.

٢. سورة الصافات: ١٥٧.

٣. سورة الأنعام: ٩١.

٤. سورة الأنعام: ٩١.

٥. سورة الأنعام: ٩١.

٦. سورة الأحقاف: ٤.

والأثارة والأَثَرة يراجعان في المعنى إلى شيء واحد، وهو ما أُثِر من كتب الأوّلين، وكذلك سبيل من أدّعى علماً أو حقّاً من حقوق الأملاك أن يقيم دون الإقرار برهاناً: إمّا شهادة ذوي عدل، أو كتاباً غير مُموَّه، وإلّا فلا سبيل إلى تصديقه[١].

ولمّا خطب مروان بن الحكم خطبته، فذكر مكّة وأهلها وحرمتها، ناداه رافع ابن خديج فقال له: مالي أسمعك ذكرتَ مكّة وأهلها وحرمتها، ولم تذكر المدينة وأهلها وحرمتها؟! وقد حرّم رسول الله ﷺ ما بين لابتيها، وذلك عندنا في أديم خولاني[٢]، إن شئت أقرأتُك. قال: فسكت مروان، ثمّ قال: قد سمعتُ بعض ذلك ولو لم يكن في هذا الباب، إلّا وقوع العلم ممّا كان رسول الله ﷺ يكتبه من عهود السُّعاة على الصدقات، وكتابه لعمرو بن حزم لمّا بعثه إلى اليمن، لكفى إذ فيه الأُسوة، وبه القدوة[٣].

وذكر في (شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة)[٤]: حفظ السنّة في الصدور والتدوين، حيث أنشد محمّد بن يوسف الزغبي[٥]:

---

١. تقييد العلم: ٧٠ ـ ٧١.

٢. في (القاموس المحيط) للفيروز آبادي ١: ١٢٩ ـ حرّم النبيّ ﷺ ما بين لابتَي المدينة، وهي الحرَّتان مفردها لابةوهي الأرض الملبَّسة حجارة سوداء. وللمدينة حرَّتان شرقية وغربية وهي بينهما، والأديم هو الجلد الأحمر (المدبوغ بمادة حمراء)، ومن أنواعه الخولاني، وهو نوع من الجلود التي يُكتَب عليها، والظاهر أنّه كان أوسع مواد الكتابة في أيام الجاهلية وذلك لرخص ثمنه.

٣. تقييد العلم: ٧٢.

٤. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف: ٤٩٦.

٥. ذيل وَفَيات الأعيان (درّة الحِجال في أسماء الرجال) لابن القاضي ٢: ١٧١.

إنّي سألتُ عن الكرام فقيل لي : إنّ الكـرام رهـائـنُ الأرمـاسِ
ذهب الكرامُ وجـودُهم ونَوالُـهم وحـديثُهم إلّا مـن القـرطاسِ

وقد أقسم الله تعالى بالقلم والكتاب، فقال جلّ وعلا: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[١]. ومن مننه جلّ وعلا على الإنسان أن جعله قادراً على أن يمسك القلم ويعبّر به عن مشاعره وأفكاره وقد قال سبحانه: ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٢]. وقد نهج رسول الله ﷺ نهج القرآن فروى المسلمون عنه الأحاديث الكثيرة التي أمر فيها بالتدوين والكتابة عند خوف النسيان والضياع أو غيرهما. عن أبي مدرك عن عباية بن رافع بن خديج عن رافع قال: قلنا: يا رسول الله، إنّا نسمع منك أشياء، أفنَكتبُها؟ قال: «اكتُبوا ولا حرج»[٣].

وعن رافع بن خديج، قال: مرّ علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتحدّث، فقال (نتحدّث عنك يا رسول الله) قال: «تحدّثوا، وليتبوّأ مَن كذب علَيَّ مَقعداً من جهنّم». قال: ومضى رسول الله ﷺ لحاجته ونكس القوم رؤوسهم وأمسكوا عن الحديث، وهَمَّهم ما سمعوا من رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «وما شأنُكم؟ ألا تتحدّثون؟»، قالوا: الذي سمعنا منك يا رسول الله، قال: «إنّي لم أُرد ذلك، إنّما أردتُ مَن تعمّد ذلك» قال فتحدّثنا، قال: قلت: يا رسول الله، إنّا نسمع منك أشياءَ فنكتبُها؟ قال ﷺ: «اكتبوا ولا حَرَجَ»[٤].

---

١. سورة القلم: ١ و ٢.
٢. سورة العلق: ٤، ٥.
٣. تقييد العلم: ٧٢ـ٧٣، مجمع الزوائد ١: ١٥١، وما يشابهه في كنز العمّال ١٠: ٢٣٢ / ٢٩٢٢٢.
٤. المحدّث الفاصل: ٣٦٩ / ٣٣١، تقييد العلم: ٧٣.

وقد ذكر الواقدي أنّ أوّل من كتب لرسول الله ﷺ أُبيّ بن كعب وهو أوّل من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان بن فلان فإذا لم يحضر أُبي كتب زيد بن ثابت[١].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، إنّي أسمع منك شيئاً، فأكتبه؟ قال ﷺ: «نعم».

وحدّث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قلنا: يا رسول الله، إنّا نسمع منك أشياء لا نحفظها، أفنكتُبها؟ قال: «بلى فاكتبوها»[٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قلت: يا رسول الله، أكتب ما أسمع منك؟! قال: «نعم»، قلت في الرضى والغضب؟ قال: "نعم"، ثمّ قال ﷺ: «فإنّني لا أقول إلّا حقّاً»[٣].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّه قال: يا رسول الله، أُقيّد العلم؟ قال: «نعم» (يعني كتابته)[٤].[٥]

وعن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، عمّن يُكتَب العلم؟ قال: «أوّلاً عن علي وسلمان»[٦].

---

١. أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١: ٥٠.

٢. تقييد العلم: ٧٥ ـ ٧٤ عن مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢١٥.

٣. المحدّث الفاصل: ٣٦٤ / ٣١٦، تقييد العلم: ٧٤.

٤. تقييد العلم: ٧٥، ومثله باللفظ في كنز العمّال ١٠: ٣٠٧ / ٢٩٥٣٩، وذكره ابن قتيبة في: تدوين مختلف الحديث: ٢٦٦، وذكرت هذه الأخبار في عوالي اللآلي ١: ٦٨ / ١١٩ و ١٢٠.

٥. ووردت هذه في تحف العقول عن آل الرسول: ٣٦، للحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّاني.

٦. الكامل لابن عدي ١: ١٩٥.

وعن أبي هريرة: لمّا فتح رسول الله مكّة، قام في الناس خطيباً فذكر حرمة مكّة وعدم جواز الصيد فيها، وأن لا يُقلَع شيء من نبات الحرم، وأنّ مَن قُتل له قتيل فهو مخيّر بين الفداء والقتل، إلى آخر ما قال، فقام له أبو شاة وهو من أهل اليمن فقال: أُكتبْ لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أُكتُبوا لأبي شاة».

قلت للأوزاعي: ما قوله: (اكتبْ لي يا رسول الله)؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ[1].

وحديث عمرو بن شعيب رواه الخطيب بأسانيد متعدّدة يُستدلّ بها على تواتره، وأمّا ما ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنّه قال: قلت: يا رسول الله، أسمع منك أشياء، أفأكتبها؟ قال ﷺ: «نعم، إنّه لا ينبغي لي أن أقول إلّا حقّاً»[2].

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كلّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أُريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنّك تكتب كلّ شيء تسمعه من رسول الله، ورسول الله بشر، يتكلّم في الغضب والرضى، فأمسكتُ عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «أُكتبْ، فوَ الذي نفسي بيده ما خرج منّي إلّا الحقّ»[3].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، إنّي أسمع منك أشياء

---

١. مسند أحمد ٢: ٢٣٨، صحيح البخاري ٣: ٩٤ ـ ٩٥، تقييد العلم: ٨٦.

٢. تقييد العلم: ٨٠.

٣. تقييد العلم: ٨٠ ـ ٨١، ومثله معه من محمّد بن إسحاق على السند الأوّل في (جامع بيان العلم ١: ٧٠ ـ ٧١).

أُحبّ أن أعيَها، فأستعينُ بيدي مع قلبي؟ قال: «نعم»[١].

و أخرج الحاكم في (تاريخه) بالإسناد إلى أبي بكر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن كتب علَيّ علماً أو حديثاً لم يزل يُكتَب له الأجر ما بقي ذلك العلم أو الحديث»[٢].

وقد صحّ عنه ﷺ أنّه أمر المسلمين بكتابة الأحكام التي ذكرها يوم فتح مكّة[٣]، وأنّه بعد هجرته من المدينة أمر بكتابة أحكام الزكاة ومقاديرها، فكُتبت في صحيفتين بقيتا محفوظتين في بيت أبي بكر بن قحافةوأبي بكر بن عمرو بن حزم[٤]. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن صلّى علَيّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»[٥].

و مع كلّ ما تبيّن من أنّ رسول الله ﷺ أمر بتدوين الحديث، هناك سائل يسأل: لماذا إذن مورست شتى الطرق والأساليب لمنع تدوينه من قبل عمر وأبي بكرٍ وعثمان ومَن تبعهم من بني أمية، أليست السُنّة هي التي تفصّل المجمل من القرآن، كما جاء في أكثر النصوص من الصلاة والصوم والحج والخمس وغيرها وكافة ما ورد في الأمور الفقهية، أليست السنّة هي الأصول والقواعد التي يجب العمل بها والتي حثّ رسول الله ﷺ على تطبيقها، أم كانت بدعة ورثوها من اسلافهم ورأت عقولهم خلاف ذلك؟!،

---

١. تقييد العلم: ٨١.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠٣.

٣. صحيح البخاري ١: ٣٦و ٣: ٩٤ـ٩٥.

٤. مستدرك الحاكم ١: ٣٩٥، منع تدوين الحديث: ٢٦ ـعن: تاريخ الفقه الإسلامي: ١٧٣.

٥. شرف أصحاب الحديث: ٣٦، ومحاسن الأخلاق: ٣٠٧.

ألم تنزل آية التبليغ وإكمال الدين في غدير خم فنصّب رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام بعده، فهل من المعقول أنّ رسول الله ﷺ يحدّث بما يهدي الأُمّة ثم ينهى عن تدوين ذلك بل ويمنعه؟! أَلَم منع التدوين سبباً في ضياع الحقائق، فعلى من يقع وبال ذلك؟! ألم يجدر بهم أن يجمعوا الصحابة الثقاة وهم يعرفونهم حق المعرفة ويقومون بضبط الروايات والأحاديث النبوية الشريفة؟! ألم يفتحوا الطريق بعملهم هذا إلى اعداء الإسلام للوضع والدسّ والتحريف ما شاؤوا، فعلى من تلقى تلك التبعة؟! أليس المسلمون بحاجة إلى تفسير القرآن ومعرفة أصول الأحكام والفقه؟! ألم يوجد في كتب التفسير وأصول الأحكام والفقه وغيرها والتي أُلِّفت لاحقاً خلافات جذرية متباينة؟! لماذا تشتّتت وحدة المسلمين؟ لماذا تعددت المذاهب والفرق؟ لماذا هذا كله، أليس القرآن واحداً والنبيّ هو محمّداً ﷺ ؟!

أرجع وأقول إنّ السبب في ذلك كله كان مقصوداً، لكي تخفى الحقيقة الواقعية في أحقّية أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة في خلافة رسول الله ﷺ، الذين طهّرهم الله من الدنس والرجس بشهادة القرآن الكريم، وقد نقلوا الأحاديث والروايات عن آبائهم فسجلوها واضحة جلية.

أهل البيت عليهم السلام كجدّهم يأمرون بالحفظ والتدوين

كما أنّ رسول الله ﷺ أمر المسلمين بتدوين الحديث وكتابته، وقد مرّ الكثير من الروايات في ذلك، فإنّ أولاده وأهل بيته ساروا على هذا النهج نهج جدّهم رسول الله ﷺ وهم عِدل القرآن وتراجمة الوحي والامتداد لحياة

رسول الله، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قيّدوا العلم، قيّدوا العلم» ـ مرّتين[١].

وعن حبيب بن جُري قال: قال علي عليه السلام: «قيّدوا العلم بالكتابة»[٢].

وعن الحارث عن الإمام علي عليه السلام قال: «من يشتري منّي علماً بدرهم؟»، قال فذهبت فاشتريت صحفاً بدرهم ثمّ جئت بها[٣].

و عن شرحبيل بن سعد: جمع الحسن بن علي عليهما السلام بَنيه وبَني أخيه فقال: «عليكم بالعلم، فإن لم تكونوا تحفظوه فاكتبوه»[٤]، وأمر الحسين عليه السلام شيعته بالتدوين في خطبة له في مِنى ذكرها صاحب (تدوين السنن)[٥]، وذكرها الخطيب بالسند نفسه فقال: قال الحسن عليه السلام لبنيه وبني أخيه: «يا بَنيّ إنّكم اليوم صغار قوم، أوشك أن تكونوا كبار قوم، فعليكم بالعلم، فمَن لم يحفظ منكم فليكتُبْه»[٦]. وذكرها الخطيب بلفظ: جمع الحسين بن علي عليهما السلام بنيه، على أنّه خطأ والصواب: جمع الحسن عليه السلام[٧].

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «اكتبوا؛ فإنّكم لا تحفَظون إلّا بالكتابة»[٨].

---

١. تقييد العلم: ٨٩.

٢. تقييد العلم: ٨٩ـ ٩٠.

٣. تقييد العلم: ٩١ ـ عن: تاريخ بغداد ٨: ٣٥٢.

٤. علل الحديث لأبي حاتم ٢: ٤٣٨.

٥. تدوين السنن ٢: ١٤٨. ووردت في كتاب الاحتجاج كاملةً.

٦. تقييد العلم: ٩١ ـ عن: سنن الدارمي ١: ١٣٠، وتاريخ بغداد ٦: ٣٩٦.

٧. تقييد العلم: ٩١.

٨. مستدرك الوسائل ١٧: ٢٨٥ / ٤.

وعن عبدالله بن زرارة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «احتفظوا بكتبكم؛ فإنّكم سوف تحتاجون إليها»[١].

وعن أبي بصير قال: دخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام فقال: «دخل عليّ أُناس من أهل البصرة فسألوني عن أحاديث فكتبوها»، فقال عليه السلام: «فما يمنعكم من الكتابة؟! أما إنّكم لن تحفظوا حتّى تكتبوا»[٢].

وعن المفضّل بن عمر الجعفي قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «اكتبْ وبُثَّ علمك في إخوانك، فإن متَّ فأورثْ كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلّا بكتبهم»[٣].

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً بينه وبين النار، وأعطاه الله بكلّ حرف مكتوب عليها مدينة أوسعَ من الدنيا سبع مرّات»[٤].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «اكتبوا الأحاديث واحتفظوا بالكتب فتحتاجون إليها يوماً، وإذا كتبتم العلم فاكتبوه بأسانيده، واكتبوا معه الصلاة على محمّد وآل محمّد، فإنّ الملائكة يستغفرون لكم ما دام ذلك الكتاب»[٥].

وقال أبو وضّاح: حدّثني أبي قال: كان جماعة من خاصّة أبي الحسن

---

١. الكافي ١: ٥٢ / ١٠، وعنه في بحار الأنوار ٢: ١٥٢ / ٤٠.

٢. الأصول الستّة عشر، أصل عاصم بن حميد الحنّاط: ٣٣ـ٣٤، وعنه في مستدرك الوسائل ٧: ٤٩ـ ٥٠ / ٥.

٣. الكافي ١: ٥٢ / ١١.

٤. أمالي الصدوق: ٩١ / ٦٤، وعنه في بحارالأنوار ١: ١٩٨ / ١.

٥. أعيان الشيعة ٧: ٢٦٠.

الرضا عليه السلام من أهل بيعته وشيعته ومعهم في كتبهم ألواح آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة أثبَتَ القومُ ما سمعوا منه في ذلك[١].

وكذلك ورد في أحوال الإمام الكاظم عليه السلام أنّ أصحابه كانوا يُحضرون معهم ألواحاً من (الأبنوس)، فإذا تكلّم الإمام سجّلوا ما سمعوه منه، وقد سمعوا منه دعاء الجوشن الصغير فسجّلوه، وهو الدعاء الجليل المضامين، وذلك حين أُخبر عليه السلام بتهديد موسى الهادي العبّاسي بالقتل، فجمع أصحابه وأخبرهم، فسجد ودعا بدعاء الجوشن، ثمّ تفرّقوا واجتمعوا لقراءة الكتاب الوارد من بغداد بهلاك موسى الهادي[٢].

وعن محمّد بن أبي خالد قال: قلت لأبي جعفر الثاني الجواد عليه السلام جُعِلتُ فداك، إنّ مشايخنا رَوَوا عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليها السلام، وكانت التقية شديدة، فكتموا كتبهم فلم تُروَ عنهم، فلمّا ماتوا صارت تلك الكتب إلينا، فقال: «إن حدّثوا بها فإنّها حقّ»[٣].

وقد ذكر السيّد محمّد رضا الجلالي في كتابه (تدوين السنّة الشريفة) أقوال أهل البيت عليهم السلام في التدوين حسب التسلسل، وكتابتهم للحديث وللعلوم الأُخرى[٤].

---

١. مهج الدعوات: ٢١٩ ـ ٢٢٠، وعنه في مستدرك الوسائل ١٧: ٢٩٢ / ٢٧.

٢. المجالس السَّنية ٥: ٣٤٠.

٣. الكافي ١: ٥٣ / ١٥، وعنه في بحارالأنوار ٢: ١٦٧.

٤. تدوين السنّة الشريفة: ١١٣ ـ ١٩٥.

وما كتبه أمير المؤمنين من سماعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وما قرّره وكتبه وألّفه انتقل إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام. ومن الثابت عند أئمّة أهل البيت وشيعتهم أنّ كتاب الإمام علي عليه السلام دخل في حيازة الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة أخيه الإمام الحسن عليه السلام لمّا حضره، كما في (بصائر الدرجات) دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين فدفع إليها كتاباً ملفوفاً[١].

وفي خبر آخر كانت الكتب عند الإمام علي عليه السلام، فلمّا سار إلى العراق استودعها أُمّ سلمة فلمّا مضى عليه السلام شهيداً انتقلت إلي الإمام الحسن عليه السلام، فلمّا مضى الحسن عليه السلام شهيداً انتقلت إلي الإمام الحسين عليه السلام فلمّا مضى الحسين عليه السلام شهيداً انتقلت إلي الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، وهكذا انتقلت كتبهم عليهم السلام من إمام إلى إمام، ومن حجّة إلى حجّة، وهي محفوظة عند حجّة آل محمّد (عجّل الله فرجه) [٢].

وكان علماء المسلمين يحدّثون وينشرون الحديث النبوي وعلوم الإسلام، ولا يأخذون الأجر على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله بخبرٍ ورد عن الخطيب البغدادي. قال: حدّثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي عالية قال: علّمْ مجّاناً كما عُلِّمتَ مجّاناً، فقال: تعرّضتَ بي يا أبا علي! فقلت: ما تعرّضت بك، بل قصدتك.[٣]

---

١. بصائر الدرجات: ١٦٨ / ٩، الكافي ١: ٢٩٠ ـ ٢٩١ / ٦.

٢. بصائر الدرجات: ١٨٢.

٣. تاريخ بغداد ٩: ٣٢٥.

الإمام عليّ عليه السلام يجمع القرآن
ويكتب بعض ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله

كان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يكتب ما نزل على رسول صلى الله عليه وآله من القرآن في المواد المتهيّئة في ذلك العصر، كالعُسب واللخاف والرقاع والأكتاف والأقتاب. وقد كتب القرآن ـ كما رَوَوا ـ جملة ممّن يسمّون كتّاب الوحي، وقد عدّد المؤرّخون منهم ستّة أُبي بن كعب وزيد بن ثابت ومُعاذ بن جبل وأبو الدرداء وسعد بن عبيد وأبو زيد. وقد كتب غيرهم من المهاجرين والأنصار، وفي طليعتهم الإمام عليّ عليه السلام ربيب النبي صلى الله عليه وآله وأديبه قُتل منهم في عهد النبي كثير.

قال الزنجاني: أمر النبي صلى الله عليه وآله عليّاً بجمعه وحذّر من تضييعه[1].

فالإمام عليّ عليه السلام كتب القرآن من أوّل نزوله إلى انقطاع الوحي عن رسول الله ووفاته صلى الله عليه وآله في ثلاثٍ وعشرين سنة في مكّة والمدينة، وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بجمعه، ففي رواية علي بن إبراهيم عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: «إنّ رسول الله قال لعليّ: يا عليّ، إنّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعتِ اليهودُ التوراة. وانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثمّ ختم عليه، وقال: لا أرتدي حتى أجمعه»[2].

---

١. موجز علوم القرآن: ١٥٥ ـ ١٥٦.

٢. تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني: ٤٤.

وروى العيّاشي في تفسيره في ذيل روايةٍ له: قال علي عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصاني إذا واريتُه في حفرته أن لا أخرج من شيء حتّى أجمع كتاب الله، فإنّه في جرائد النخل وفي أكتاف الإبل»[1]. فحين أتمّ الإمام عليّ عليه السلام تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وتكفينه ودفنه والناس منصرفون إلى شؤون البيعة والخلافة في سقيفة بني ساعدة، انصرف أمير المؤمنين إلى تنسيق تلك الرقاع وتنظيمها وترتيب سورِها وآياتها، وجعلها كتاباً موحّداً يحقّق ما لم يتسنّ لرسول الله تحقيقه، وعكف في بيته يجمع القرآن في مصحف واحد من الرقاع المتنوّعة غير المنتظمة، وهذا هو معنى الجمع الذي مارسه عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا الجمع من صدور الرجال كما توهّم البعض[2].

ولعلّه صلوات الله عليه سجّل ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير بعض الآيات.

وقد ذكر الكليني أنّ الإمام علياً عليه السلام قال عندما جمع القرآن: «هذا كتاب الله وقد جمعته من اللوحَين»[3]. والمقصود بالجمع جعلُه بين دفّتي المصحف لا كتابته ابتداءً، فإنّه كان مدوّناً لديه[4].

وعن عِكْرِمة قال: لمّا كان بعد بيعة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كَرِه بيعتك! فأرسِلْ إليه، فقال له: ما أقعدك عنّي؟ قال: رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه، فحدّثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلّا لصلاة

---

١. تفسير العيّاشي ٢: ٦٦ / ٧٦.

٢. تاريخ القرآن: ٤٤.

٣. الكافي ٢: ٦٣٣ / ٢٣.

٤. ينظر: موجز علوم القرآن: ١٦٥.

حتّى أجمعه، قال أبو بكر: فإنّك نَعِمًا ما رأيت[١].

وعن محمّد بن سيرين قال: لمّا توفّي النبيّ ﷺ أقسم عليّ عليه السلام أن لا يرتدي برداء إلّا لجمعه، حتّى يجمع القرآن في مصحف[٢].

و إنّ أوّل المبادرين إلى جمع القرآن في مصحف واحد هو الإمام علي سلام الله عليه، وإنّما قام بذلك دون تردّد فجمعه تنفيذاً لوصيّة رسول الله ﷺ، وهو وصيُّه و أخوه[٣].

وقد أشار عليه السلام إلى عامّ القرآن وخاصّه، ومطلقه ومقيّده، ومجمله ومبيّنه، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، ورُخصه وعزائمه، وآدابه وسننه، ونبّه على أسباب النزول في آياته البيّنات، وأوضح ما عساه يُشكَل من بعض الجهات[٤].

وقد كتب عليه السلام الجامعة، والجامعة هي كتاب طوله سبعون ذراعاً وهو إملاء رسول الله ﷺ من فلق فيه وخطّ علي بن أبي طالب عليه السلام، وفيها ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة، حتّى أنّ فيها أرش الخدش والجَلدة ونصف الجلدة، حسب قول الإمام الصادق عليه السلام[٥]. وقد جمع الدكتور رفعت فوزي عبدالمطّلب ما روي من أحاديث هذه الصحيفة

---

١. الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١: ١٦١ / ٧٥١.

٢. فضائل القرآن لابن كثير: ١٤.

٣. ينظر: موجز علوم القرآن: ١٦٦.

٤. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيّد حسن الصدر: ١٣.

٥. بصائر الدرجات: ١٦٢، باب في الأئمّة أنّ عندهم الصحيفة الجامعة التي هي إملاء رسول الله وخطّ على عليهما السلام بيده وهي سبعون ذراعاً.

متناثراً في أبواب الفقه، في كتاب أسماه (صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ) في دراسة توثيقية فقهية، وقد كانت الصحيفة عند الأئمّة من ولد علي عليهم السلام، يتوارثونها ويحرصون عليها غاية الحرص[١].

فعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «إنّ العلم فينا ونحن أهله وهو عندنا مجموع كلّه بحذافيره، وإنّه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتّى أرش الخدش إلّا هو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله ﷺ وخطِّ علي عليه السلام بيده»[٢].

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلى الصدّيقة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها رسول الله تتسلّى به عن فقده وفراقه، وهو المعروف بمصحف فاطمة على رواية الإمام الصادق عليه السلام[٣]، وعنه أنّه فيه أسماء من يملك إلى يوم القيامة، وقيل غير ذلك.

ويتّهم مَن علم لهم أو لا تقوى لهم بأنّ الشيعة عندهم مصحف آخر غير المصحف الذي هو بين أيدينا، وهذا اتّهام باطل أُلصق بهذه الطائفة، تتزلزل له السماوات، فهذه مكتباتنا وهذه بيوتنا هل وُجد فيها غير المصحف المبارك الشريف.

و قد نصّت المصادر على أنّ الإمام علياً عليه السلام كان قد دوّن كتباً أُخرى استقلّها من علم رسول الله ﷺ، فنسب الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) إلى

---

١. ينظر: منع تدوين الحديث: ٣٩٧.

٢. الاحتجاج للطبرسي ٢: ٦ ـ ٧، وعنه في بحار الأنوار ٤٤: ١٠٠ / ٩ يراجع: منع تدوين الحديث: ٣٩٧، وقرآن علي للشيخ علي الكوراني.

٣. ينظر: بصائر الدرجات: ١٧٣ ـ ١٧٤ / ٦، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ١٥.

الإمام كتاب (المحكم والمتشابه في القرآن)، والأشعري القمي (ت ٣٠١ هـ) نسب إليه كتاب (ناسخ القرآن ومنسوخه)، والحافظ ابن عقدة (ت ٣٣٣هـ) ذكر للإمام ستّين نوعاً من أنواع علوم القرآن[١].

وقيل: ألّف أمير المؤمنين عليه السلام في الديات، ذكره صاحب كتاب (بصائر الدرجات للصفار) فقال: له كتاب سمّاه (الصحيفة في الديات)، وكان يعلّقه بسيفه، وعندي نسخة منه. وقد ذكر هذه الرواية الخطيب البغدادي في (تقييد العلم)[٢]، فقال: عن الأعمش عن إبراهيم عن أبيه قال: خطَبنا علي عليه السلام فقال: «مَن زعم أن عندنا شيء نقرأه ليس في كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة»، قال: صحيفة معلّقة في سيفه فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات «فقد كذب»، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمَن أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. ومَنِ ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مَواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. وذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمَن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً»[٣].

---

١. ينظر: منع تدوين الحديث: ٤٠١.

٢. ينظر: تقييد العلم: ٨٨ ـ ٨٩، صحيح البخاري ٤: ٦٩، صحيح مسلم ٤: ١١٥، سنن أبي داود ١: ٤٥١ ـ ٤٥٢ / ٢٠٣٤.

٣. تقييد العلم: ٨٨ ـ ٨٩.

و روى عبدالرحمن بن أبي ليلى (ت ٨٣هـ) أنّه سأل الحسنَ بن علي عليهما السلام عن رأي والده في الخِيار، فأمر بإحضار صندوق وأخرج منه صحيفة صفراء تضمّ آراء عليّ في ذلك[1].

فابن أبي ليلى القاضي المعروف أراد أن يتعرّف على رأي أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام في الخِيار؛ لاختلاف آراء الفقهاء فيه، ولأنّه يعلم بأنّ رأي الإمام علي بن أبي طالب هو رأي رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأي رسول الله صلى الله عليه وآله قد نزل به الوحي عليه وهو أمر الله تعالى.

قال الشيخ أبو العبّاس النجاشي (في ترجمة محمّد بن عذافر): أخبرنا محمّد بن جعفر عن عذافر الصيرفي قال: كنت مع الحكم بن عُيَينة عند أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام فجعل يسأله وكان أبو جعفر له مُكرماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر: «يا بُنيَّ قمْ فأخرج كتاب علي عليه السلام»، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه وجعل ينظر حتّى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر: «هذا خطّ عليّ إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله». وأقبل على الحكم وقال: «يا أبا محمّد، إذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل» الحديث[2].

ويستفاد من كلّ ما تقدّم من الروايات أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام جمع القرآن ودوّن الحديث، ومنه يُعلَم وضع الرواية التي ذكرها أبو رية

---

١. العلل لأحمد بن حنبل ١: ٣٤٦ / ٦٣٩.

٢. الرجال للنجاشي: ٣٥٩ ـ ٣٦٠ / ٩٦٦، وعنه في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيّد حسن الصدر: ٢٧٩.

والمذكورة أدناه، من أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أمر الناس بمحو الحديث الذي كتبوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ! ولم يذكر مصدر الرواية، وهي هكذا مجعولة:

عن عبدالله بن يسار قال: سمعت علياً يخطب يقول: أعزم على كلّ من عنده كتاب إلّا رجع فمحاه[1].

فكيف هو عليه السلام يدوّن ثمّ يأمر بالمحو؟! وهل هذا إلّا تناقض بين الفعل والقول وعلي بن أبي طالب أصدق الناس وأعدل الناس، وأقضاهم في الناس، وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتاب ﴾[2]، وهو قادر أن يتصرّف بما شاء الله وقد قال: «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، يُفتَح لي من كلّ باب ألفُ باب[3]»، فعليّ عليه السلام جمع القرآن ودوّن وألّف، ولا قيمة لرواية أبو رية!

وقد دوّن أصحابه ما قاله في أُصول وكتب، وكان عليه السلام له رسائل كتبها ردوداً على الملحدين[4]، وبعضها أجوبةٌ لأسئلة عبدالله النجاشي والي الأهواز، وبيانات لبعض الأحكام الشرعية سُمِّيت بالجعفريّات والأشعثيّات نسبة إلى راويها ابن الأشعث[5].

---

١. أضواء على السنّة المحمّدية لمحمود أبو رية: ٤٧.

٢. سورة الرعد: ٤٣

٣. بصائر الدرجات: ٣٢٣ ـ ٣٢٤ / ٦.

٤. الذريعة ٢: ٤٨٤، منع تدوين الحديث: ٤٢٠.

٥. منع تدوين الحديث: ٤٢٠.

وقد قال رسول الله ﷺ لعليّ: يا عليّ، اكتب ما أُملي عليك، قلت: يا رسول الله، أتخاف علَيَّ النسيان؟ قال: لا، وقد دعوت الله أن يجعلك حافظاً[١].

وذكر البخاري خبر الصحيفة وهي صحيفة صغيرة تشتمل على العقل ومقادير الديات وأحكام فكاك الأسير.

فالإمام عليّ عليه السلام كان يكتب رسائل رسول الله ﷺ التي يبعثها إلى الملوك والأُمراء، وكان هو أوّل من خَطّ كلمات أسماء بيمينه. وهناك الكثير من النصوص التاريخية والروائية تدلّ على أنّ النبي ﷺ كان يُفرد وقتاً خاصاً في الليل والنهار له عليه السلام، فيسرع إليه الإمام ليكتب ما يقوله ﷺ في التفسير والأحكام والمعارف والعلوم الأُخرى.

وقد كتب العلّامة المتتبّع أحمدي الميانجي ما نصه: إنّ رسول الله ﷺ جعل لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام مع تفسيره وتأويله وناسخه ومنسوخه، كما أنه يملي عليه الأحكام والمعارف وعلي يكتب ذلك[٢].

و قال الشيخ الحرّ العاملي: تواتر النصّ بأنّ النبي ﷺ أمر أمير المؤمنين عليه السلام بجمع التنزيل والتأويل، بل بكتابة السنّة وما ألقاه إليه من الأحاديث والأحكام الشرعية، بل بكتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأمره أن يكتب ذلك لشركائه، فقال: من شركائي؟ قال: الأئمّة مِن وُلدك[٣].

---

١. الإمامة والتبصرة من الحيرة: ٥٤ / ٣٨، بصائر الدرجات: ١٨٧ / ٢٢، أمالي الصدوق: ٤٨٥ / ٦٥٩.

٢. مكاتيب الرسول ﷺ للميانجي ١: ٤٠٣.

٣. تدوين الحديث: ٥٢٣ ـ عن: الفوائد الطوسية: ٢٤٣، علل الشرائع ١: ٢٠٨ / ٨، الإمامة والتبصرة: ٥٤ / ٣٨.

و عن عائشة: دعا رسول الله بأديم وعلي بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ يُملي وعليٌّ يكتب، حتّى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه[١].

وعن أُمّ سلمة قالت: أقعد رسول الله علياً في بيتي، ثمّ دعا بجلدة شاة فكتب فيه حتّى ملأ أكارعه[٢].

كان هذا فيضاً من غيض، وهو يدلّ بوضح على أنّ علياً سلام الله عليه كان أوّل من دوّن الحديث بأمر رسول الله من بين الأصحاب المعاصرين، وكان على درجة أعلى كاملة من الدقّة والضبط في كتابته وتدوينه.

الصحابة يدوّنون الحديث النبوي

ألّف ودوّن من الصحابة غير الإمام علي عليه السلام سلمان وأبو ذرّ الغفاري، وقد قال السيّد حسن الصدر: سمعتُ من بعض المهرة من أساتذتنا في النجف الأشرف أنّ تصنيفهما كان حول سيرة النبي ﷺ مع الإمام علي عليه السلام. ويذكر الشيخ الطوسي أنّ سلمان روى حديث الجاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي ﷺ.

قال الشيخ الطوسي: أخبرنا به ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن الحِميري عمّن حدّثه، عن إبراهيم بن الحكم الأسدي، عن أبيه، عن شريك بن عبدالله، عن عبد الأعلى التغلبي، عن ابن أبي وقّاص، عن سلمان[٣].

---

١. المحدّث الفاصل: ٦٠١ / ٨٦٨، أدب الإملاء والاستملاء: ١٩.

٢. الإمامة والتبصرة: ٤٥ / ٢٨، بصائر الدرجات: ١٨٣ / ٤.

٣. الفهرست للطوسي: ١٤٢ / ٣٣٨، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٠.

وأمّا أبو ذرّ الغِفاري، وهو جندب بن جنادة، فهو أحد الأركان الأربعة، له خطبة شرح فيها الأُمور بعد النبي ﷺ أخبرنا بها الحسين بن عبدالله عن الدوري، عن الحسن بن علي البصري، عن العبّاس بن بكّار، عن أبي الأشهب، عن أبي رجاء العُطاردي قال: خطب أبو ذرّ الغفاري. وذكر الخطبة بطولها[1].

ومن المدوِّنين من الصحابة:

١. أُبيّ بن كعب (ت ٢٢هـ)، روى أبو غالية عن أُبيّ بن كعب أنّ له نسخة كبيرة في التفسير، وقد عرفنا فيما مضى اختلاف رأي أُبي مع حاكم زمانه، وأنّه كان يصرّح بعدم أعلمية ذلك الحاكم، ولم يرتض منه في التحديث وقراءة القرآن[2].

٢. مُعاذ بن جبل (ت ١٨هـ)، أرسله رسول الله ﷺ إلى اليمن، وكتب معه كتاباً في الصدقات فيه أحاديث، وكان عند موسى بن طلحة كتاب معاذ من النبي ﷺ في الصدقات، وكانت لدى ابن عائذ كتب معاذ بن جبل، وهذه النصوص مجتمعة تدلّ على تدوين معاذ ووجود مدوّناته[3].

وجاء رجل إلى عمر بن الخطّاب فقال: إنّي غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى! فتشاور عمر الناس في رجمها فقال له أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن كان لك عليها سلطان فليس لك سلطان على ما في بطنها»، فأمر

---

١. الفهرست للطوسي: ٩٥.

٢. التفسير والمفسّرون ١: ١١٥.

٣. حلية الأولياء ١: ٢٤٠.

عمر بتركها وقال كلمته المشهورة: لولا علي لهلك عمر! وقد كرّر هذه الكلمة في مناسبات شتّى أوصل الشيخ الأميني عددها إلى أكثر من ثمانين مرّة. فولدت المرأة غلاماً قد خرجت ثناياه، فعَرفَ الرجل الشَّبَه فيه، فقال: إبني وربِّ الكعبة! عمر[١].

و التعليق على الرواية يحتاج إلى كثير كلام، ولها نظائر في كتب علماء أهل السنة.

٣. فاطمة بنت قيس أُخت الضحّاك، وكانت أكبر منه بعشر سنين، وقد كتب بعض أحاديثها أبو سلمة بأخبار، منها: قال محمّد بن عمرو: حدّثنا أبو سلمة عن فاطمة بنت قيس قال: كَتبتَ ذلك فيها كتاباً، قالت: كنتُ عند رجل من بني مخزوم فطلّقني، وجاء عمر بن الخطاب فقال فيما روته في حديث السكنى: لا تدع كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا لقول امرأة لا تدري أصدَقَت أم كذبت[٢].

٤. البَراء بن عازب (ت ٧٢هـ)، قال محمّد عجاج الخطيب: كان البراء بن عازب صاحب رسول الله ﷺ يحدّث ويكتب من حوله[٣].

قال وكيع: حدّثنا أبي عن عبدالله بن حنش قال: رأيتهم يكتبون على أكفّهم بالقصب عند البَراء بن عازب[٤]، وقد جاءت عنه روايات كثيرة في فضائل علي عليه السلام وقد عرفت موقفه في البيعة.

---

١. سنن الدارقطني ٣: ٢٢٢ / ٣٨٨١، وقد نسبها إلى مُعاذ بن جبل.

٢. صحيح مسلم ٤: ١٩٨.

٣. السُنة قبل التدوين: ٣٢٠.

٤. مصنَّف ابن أبي شيبة ٦: ٢٣٠ / ١٤.

ولقد دوّن كثيراً من الصحابة حديث النبي ﷺ، وسيأتي ذكر تناقض بعض الصحابة في نهيهم عن التدوين وتدوينهم، ومن هنا يظهر ما وقع فيه أبو رية من التوهّم والخطأ حين قال: كان رسول الله ﷺ مبيّناً ومفسّراً للقرآن بفعله وقوله، ولكنّ أقواله في هذا البيان أو غيره لم تُحفَظ بالتدوين كما حُفظ القرآن، فقد تضافرت الأدلّة النقلية الوثيقة وتواتر العمل الثابت الصحيح على أنّ أحاديث الرسول ﷺ لم تُكتَب في عهد النبي ﷺ كما كان يُكتب القرآن، ولا كان لها كُتّاب يقيّدونها[1].

ومن تتّبع الموسوعات الرجالية التي أُلّفت في أسماء الصحابة أو التي كُتبت في تراجم المؤلّفين: كرجال لنجاشي، وفهرست الطوسي، يجد الكثير ممّن ألّف وجمع الحديث غير من ذكرناهم، وقد عدّ الدكتور محمّد علي المهدوي أسماء (٤٨) من الصحابة الذين كتبوا ودوّنوا[2].

أتباع أهل البيت يكتبون سماعهم ويُؤلّفون الكتب في ذلك

اتّضح ممّا ذكرناه سابقاً ممّا لا يقبل الشكّ أنّ رسول الله ﷺ أمر المسلمين بتدوين الحديث والعلم، كما أنّ أهل البيت عليهم السلام أمروا بذلك في أحاديث مستفيضة وصحيحة رُويت عنهم تزيّف رواية أبو رية التي تقول

---

١. أضواء على السنّة المحمّدية: ٤٦.

٢. ينظر: تدوين الحديث عند الشيعة الإمامية للمهدوي: ٧١. وقد ذكر أسماء (٤٨) صحابياً دوّنوا حديث النبي ﷺ بمصادرها المختلفة العاميّة، منها: مسند ابن حنبل، وأسد الغابة، وتهذيب التهذيب، وصحيح مسلم، والتاريخ الكبير، وكنز العمّال، وغيرها فلتراجع.

بأنّ عليّ بن أبي طالب نهى عن التدوين. وقد التزم الصحابة بتدوين ما سمعوه من رسول الله ﷺ من أحاديث تتعلّق بالحلال والحرام والمستحبّات والمكروهات والحِكم والتوجيهات التي تنفع البشرية إلى يوم القيامة، وقد دُوّنت أحاديثه وكلماته بأجمعها، واتّسع الأمر بعد وقعة بدر حين اشترط رسول الله ﷺ على عشرة من الأسرى أن يعلّم كلّ فرد منهم عشرة من شباب المسلمين[1]، وذلك هو فداؤه الذي أسقطه الإسلام إزاء هذا العمل الذي به ينتشر التدوين والثقافة، لا سيّما الثقافة الإسلامية التي هي أعلى الثقافات الإنسانية، والتي تعني إصلاح حياة الفرد والجماعات والدول في جميع مراحل الحياة إلى يوم القيامة، وهذا ما يشهد له أعداء الإسلام، فما ترك الإسلام شاردة ولا واردة ولا صغيرة ولا كبيرة تمرّ في حياة الفرد والمجتمع إلّا وأعطاها أحسن الحلول التي لا يتمكّن العقل البشري مهما بلغ من أن يأتي بشيءٍ منها، وهذا دليل على عالمية الإسلام وأنّه الدين الذي أراده الله للبشرية مهما طال عمرها، فهو خاتمة الأديان والشرائع جاء به النبي محمّد خاتم الأنبياء والرسل ﷺ.

اللهُ يعلم أنّ دينَ محمّدٍ ... وكتابه أقوى وأقومُ قِيلا
لا تذكِر الكُتُبَ السوالف قَبلَه ... ظهَر السراجُ فأطفِئَ القنديلا

وقد ذكرنا جملة من الصحابة الذين دوّنوا الحديث في عهده، وفي طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث دوّن وجمع القرآن، ثمّ كتب حديث النبي ﷺ وكتب الحديثَ النبوي جماعات من أتباع مدرسة أهل

---

١. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٢٢.

البيت، الذين ساروا على منهجهم، والتزموا التقوى والإيمان والسبل الموصلة إلى الله، وهذا ما طلبه الأئمة عليهم السلام من شيعتهم، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما شيعتنا إلّا مَنِ اتّقى الله»[١]، وقال عليه السلام: «إنّ مَنِ اتّقى الله قريب منّا وإن بَعُدَت لُحمته، وإنّ مَن عصى الله بعيدٌ عنّا وإن قربت لحمته»[٢].

وها نحن نذكر بعض أسماء أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من ولده، وآخرهم الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجماعات ممّن روى عن هذه السلسلة الذهبية المباركة.

١. أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام، له كتاب (السنن والأحكام والقضايا)، رواه عن الإمام علي عليه السلام خاصّة، وهذا الكتاب عند سلفنا في غاية القصوى من التعظيم[٣].

٢. عبيد الله بن أبي رافع، كاتب الإمام علي عليه السلام، كان من خواصّ شيعته، له كتاب (قضايا أمير المؤمنين عليه السلام)، وكتاب (تسمية مَن شهد الجمل وصفّين والنهروان معه عليه السلام[٤]).

٣. الأصبغ بن نُباتة، وكان من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام، عُمِّر بعده وروى عنه عهدَه للأشتر، وهو كتاب معروف، ووصيّتَه إلى ابنه محمّد بن الحنفيّة ولعلّ الصحيح إلى ابنه أبي محمّد الحسن المجتبى عليه السلام، وهي الوصية المدرجة في (نهج البلاغة) وزاد الشيخ الطوسي في

---

١. الكافي ٢: ٧٤/ ٣، وعنه في بحارالأنوار ٦٧: ٩٧/ ٤.

٢. نهج البلاغة ٤: ٢١ـ ٢٢/ ٩٦.

٣. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام للسيّد عبدالحسين شرف الدين: ١٦.

٤. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ١٨.

(الفهرست) على النجاشي أنّ له (مقتل الحسين عليه السلام) [١].

٤. الحارث الهَمْداني أبو زهير، صاحب أمير المؤمنين، له كتاب يروي فيه المسائل التي أخبر بها أميرُالمؤمنين عليه السلام اليهوديَّ، كما أنّ الحارث دوّن بعض ما سمعه عن أمير المؤمنين عليه السلام من خطبه التي خطبها على مِنبر مسجد الكوفة[٢].

٥. وألّف ربيعة بن سميع، فقال النجاشي في كتابه (فهرس أسماء المصنّفين الشيعة) عند ذكر الطبقة الأُولى: ربيعة بن سميع عن أمير المؤمنين، له كتاب في زكاة النَّعَم، ثمّ ذكر إسناده إليه[٣].

٦. وألّف سُليم بن قيس كتاباً يرويه أبان بن عيّاش، ذكره النجاشي ثمّ ذكر طريقه إلى كتاب ذكره في الطبقة الأُولى من مصنّفي الشيعة[٤].

٧. وألّف علي بن أبي رافع صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وهو خازن بيت ماله وكاتبه، وجمع كتاباً في فقه الوضوء والصلاة وسائر الأبواب[٥].

٨. وألّف ميثم التمّار صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من أكابر الشهداء في التشيّع، قتله عبيد الله بن زياد، له كتاب في الحديث ينقل عنه الشيخ أبو

---

١. الفهرست للطوسي: ٨٥ـ٨٦/ ١١٩، و عنه في مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ١٧

٢. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٢.

٣. رجال النجاشي: ٧ـ٨/ ٣، وعنه في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٢ و مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ١٦.

٤. رجال النجاشي: ٨/ ٤، وعنه في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٢ ومؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ١٦.

٥. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ١٨، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٣.

جعفر الطوسي في (أماليه)، وأبو عمرو الكشّي في كتاب (الرجال)، والطبري صاحب كتاب (بشارة المصطفى)[١].

٩. كما ألّف عبيد الله بن الحرّ الجُعفي نسخته، يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان بقي إلى أيّام المختار وكان معه، له ترجمة في (رجال السيّد بحر العلوم)[٢].

١٠. وألّف محمّد بن قيس البجلي التابعي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يرويه عن أمير المؤمنين، قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في (الفهرست): أخبرنا به به جماعة عن التَّلْعكبري[٣].

١١. وألّف يعلى بن مرّة نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكرها النجاشي في (فهرست أسماء مصنّفي الشيعة)[٤].

وبعد ما ذكرناه سابقاً هنالك طبقة ثانية من المصنّفين:

١. جمع الإمام الباقر عليه السلام وأخوه زيد الشهيد ابنا علي بن الحسين عليهما السلام شيئاً يسيراً من أدعية أبيهما السجّاد، وهي (الصحيفة السجّادية) المعروفة بزبور آل محمّد صلى الله عليه وآله، وتصدّى لجمع شيء من أدعيته من بطون الكتب بعض علمائنا وسمّاها (الصحيفة السجّادية الثانية)[٥]، وهكذا جمع ما ليس في

---

١. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٣.

٢. الفوائد الرجاليّة ١: ٣٢٤ـ٣٢٨، وعنه في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٣.

٣. الفهرست للطوسي: ١٧٦ / ٤٧٠، وعنه في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٣.

٤. رجال النجاشي: ٢٨٦ / ٧٦٢، وعنه في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٣.

٥. وهي لمحمّد بن الحسن العاملي، المشتهر بالحرّ العاملي (ت ١٠٣٣ هـ).

الصحيفتين بعضهم فسمّاها (الصحيفة السجّاديّة الثالثة)[١]، ثمّ الرابعة[٢] ثمّ الخامسة كتبها السيّد محسن الأمين. وجمع بعض طلّاب العلم في الحوزة العلمية النجفية شيئاً كثيراً من أدعيته التي لم تُدوَّن في الصحائف الخمسة، وهي في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، كما تدلّ على عظيم معرفته بالذات الربوبية ـ وهم أعرف الخَلق بذلك ـ ومن دعائه عليه السلام الذي نقله عنه صاحبه أبو حمزة الثُّمالي (رضي الله عنه) قوله: «**إلهي بِك عَرَفتُك وأنتَ دَلَلْتَني عليك، ولولا أنت لم أدرِ مَن أنت**»، وقد قال الشيخ ابن شهر آشوب في (معالم العلماء)[٣]: والصحيفة الكاملة متواترة ـ مثل القرآن ـ عند كلّ فِرق الإسلام وبها يفتخرون، ووصلتنا ممّا رواه عنه بعض تلامذته أبو حمزة الثمالي (رسالة الحقوق)، التي بيّن فيها حقوق الله على عباده وحقوق العباد بعضهم على بعض، وقد شرحها جملة من أهل العلم منهم المرحوم العالم الخطيب السيّد حسن القبانجي في مجلّدين.

٢. جابر بن يزيد الجعفي (ت ١٢٧ هـ) التابعي من أصحاب الإمام علي بن الحسين وابنه الباقر عليهما السلام، صنّف كتباً كثيرة في التغيّر والأحكام[٤]، ومن مؤلّفاته: كتاب التفسير، وكتاب النوادر، وكتاب الفضائل، وكتاب الجمل، وكتاب صفّين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين، وكتاب مقتل

---

١. وهي للمولى عبد الله بن عيسى الأفندي (ق ١٢).

٢. وهي للميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ).

٣. معالم العلماء: ٣٨.

٤. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٤.

الحسين عليهما السلام. وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «رحِمَ الله جابرَ الجُعفي، كان يَصْدُق علينا. ولعن الله المُغيرة ابن إسماعيل، كان يكذب علينا[١]»[٢].

٣. زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: له كتاب (قراءة أمير المؤمنين) رواه عنه عمر بن موسى الرجهي الزيدي، ويروي زيد عن أبيه الصحيفة الكاملة أملاءً عليه[٣]، وقد طُبع كتاب باسم (مسند زيد بن علي عليه السلام).

٤. زياد بن المنذر أبو الجارود، تابعي، روى عن الإمام علي بن الحسين السجّاد وابنه الباقر عليهما السلام في التفسير وجَمَعه في كتاب، وهو أعمى أيّام استقامته قبل تزيده، ومات سنة ١٥٠ هـ[٤].

٥. أبان بن تغلب، وهو أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح الجريري، كان عظيم المنزلة في أصحابنا جليل القدر علماً وعملاً، ومن أوثق الناس وأفضلهم، صاحب الإمام زين العابدين، وباقر علوم النبيين، وأبي عبدالله الصادق الأمين (صلوات الله وسلامه عليهم)، وقد روى عنهم علوماً جمّة وأحاديث كثيرة، وحَسْبه أنّه يروي عن الصادق فقط ثلاثين ألف حديث، كما صرّح به أئمّة الفن، وكانت له عندهم عليهم السلام حظوة وجاه كبير. قال له الباقر عليه السلام: «إجلسْ في مسجد المدينة وأفتِ الناس، فإنّي أُحبّ أن يُرى في

---

١. بصائر الدرجات: ٢٥٨ / ١٢.

٢. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٣٦.

٣. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٥.

٤. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٢.

شيعتي مِثلك». وكان إذا دخل على الصادق عليه السلام يعانقه ويصافحه ويأمر بوسادة تُثنى له، ثمّ يُقبل عليه بكلّه، قال عليه السلام يوماً لسليم بن أبي حيّة: «إئت أبان بن تغلب، فإنّه قد سمع منّي حديثاً كثيراً، فما روى لك فاروه عنّي»، وقال عليه السلام لمّا أتاه نعي أبان: «أما واللهِ لقد أوجع قلبي موتُ أبان»[1].

وكان رحمه الله مقدّماً في كلّ فنّ من العلوم، ولا سيّما علوم الكتاب والسنّة والفقه والأدب واللغة والنحو، له كتب منها: تفسير غريب القرآن، وكتاب الفضائل، وكتاب صفّين. وهو أحد القرّاء المشهورين.

وله روايات عن: أنس بن مالك والأعمش ومحمّد بن المنكدر وسمّاك بن حرب وإبراهيم النخعي، وغيرهم. وكان إذا قَدِم المدينة تقوّضت إليه الخَلق، وأُخليت له سارية النبيّ صلى الله عليه وآله وكانت مصيبة المسلمين بفقده عظيمة (رضي الله عنه) سنة (١٤١هـ). وبالجملة فإنّ عظم شأنه وكبر خطره وسموّ مكانته وثبات مقامه وغزارة علمه وكثرة عمله، أُمور كَفَتْنا الضرورة بيانها، وحسبه ما سمعت، وهنيئاً لمن نال من أئمّة الهدى بعض ذلك[2].

٦. أبو حمزة الثُّمالي، واسمه ثابت بن دينار، وكنية أبيه أبو صفيّة. كان أبو حمزة من خيار أصحابنا وشيوخهم وثقاتهم في الرواية ومعتمدهم، أخذ العلم من الإمام زين العابدين عليه السلام، وأدرك عصر الإمام الباقر ثمّ الصادق ثمّ الإمام موسى ابن جعفر عليهم السلام. له منزلته عند أهل البيت عليهم السلام معروفة، روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام الدعاء العظيم المعروف باسمه، كما روى عنه عليه السلام

---

١. رجال النجاشي: ١٠ ـ ١٣.

٢. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٣٢.

(رسالة الحقوق). تُوفّي سنة ١٥٠ هـ، وله كتاب (تفسير القرآن) وكتاب (النوادر) وكتاب (الزهد)، وذكروا له كتاباً رَوَوها بالإسناد إليه[١].

واتّسعت مدرسة أهل البيت في عصر الإمامين الباقر والصادق وكثر طلّابها والمستفيدون من الإمامين، فمن تلامذتهما:

١. يحيى بن القاسم، أبو بصير، له كتاب يرويه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، مات في حياة الصادق عليه السلام[٢].

٢. عبد المؤمن بن القاسم الأنصاري الكوفي، يُكنّى أبا عبدالله، له كتاب يرويه عن أبي جعفر الباقر، مات سنة مائة وسبع وأربعين[٣].

٣. محمّد بن مسلم الطائي، له كتاب، تُوفّي سنة مائة وخمسين[٤].

٤. زرارة بن أعيَن، له كتاب يرويه عن أبي جعفر الباقر والصادق، مات سنة مائة وخمسين[٥]، وقد ألّف العلّامة السيّد محمّد تقي الحكيم كتاباً خاصّاً في أحواله، فُقِد بعضه في حادثة سيتم التطرق إليها[٦]. وآل أعيَن جلّهم من ثقات الشيعة والرواة عن الإمامين الصادقين، ومنهم حُمران بن أعين وبُكَير بن أعين وعبد الملك بن أعين وعبدالرحمن بن أعين، ولزرارة إخوة غير مشهورين[٧].

---

١. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٣٤.
٢. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٥.
٣. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٥.
٤. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.
٥. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.
٦. طبع هذا الكتاب في سنة ١٤٣٠ هـ ونشر من قبل مسجد الكوفة المعظم.
٧. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٥١ ـ ٥٨.

٥. بسّام بن عبد الله الصيرفي، له كتاب، مات بعد المائة[١].

٦. أبو عبيدة الحذّاء، زياد بن عيسى، أبو الرجاء الكوفي، له كتاب يرويه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، ويُعَدّ من أصحابه[٢].

٧. زكريّا بن عبدالله الفيّاض، أبو يحيى، له كتاب يرويه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وهو من أصحابه[٣].

٨. ثور بن أبي فاختة، أبو جهم، له كتاب رُوي عن جماعة من الصحابة، وكتابه عن الباقر عليه السلام[٤].

٩. جحدر بن المُغيرة الطائي الكوفي، له كتاب، روى عن الباقر عليه السلام[٥].

١٠. حِجْر بن زائدة الحضرمي، أبو عبدالله، له كتاب عن الباقر عليه السلام[٦].

١١. معاوية بن عمّار بن أبي معاوية خبّاب بن عبدالله، له كتاب عن أبي جعفر الباقر وأبي عبدالله الصادق عليهما السلام، مات سنة مائة وخمسٍ وسبعين[٧].

١٢. المطلّب الزُّهري القرشي المدني، له كتاب، روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام[٨].

١٣. عبدالله بن ميمون بن الأسود القَدّاح، له كتاب عن أبي جعفر

---

١. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٢. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٣. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٤. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٥. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٦. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٧. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

٨. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٦.

الباقر عليه السلام، مات بعد المائة[١].

وأهل البيت عليهم السلام خُزّان علم الله وتراجمة وحيه، يستمدّون العلم من الله عزّوجلّ ومن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال محمّد عجاج الخطيب: وكان عند الإمام محمّد الباقر عليه السلام كتب كثيرة، سمع بعضها منه ابنُه جعفر الصادق وقرأ بعضها[٢].

وقال عبدالله بن محمّد بن عقيل بن أبي طالب: كنت أختلف إلى جابر بن عبدالله أنا وأبو جعفر معنا ألواح نكتب فيها[٣].

وأوضح أنّ جابراً كان مُوصىً من النبي صلى الله عليه وآله أن يوصل بعض الوصايا إلى الإمام الباقر عليه السلام، وقد روى أبو الجارود العبدي عن الإمام الباقر عليه السلام كتاباً في تفسير القرآن. وعند عدّة من أصحابه كتب ونسخ أُخرى عنه عليه السلام[٤]، وقد دوّن الكثير من أصحابه ما حدّث به. وقال: وقد صنّف أربعُمائةِ تلميذ من تلامذته أربعَمائةِ كتاب ممّا سمعوه منه عليه السلام، وهي المعروفة بالأُصول الأربعمائة.

أبو بكر يدوّن ويأمر بالتدوين

دوّن الحديث النبوي والوقائع والأخبار جملة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله عملاً بأوامره الكثيرة التي حثّت فيها المسلمين على التدوين، وهذا ما ورد في كثير من المدوَّنات الحديثية. ولا يُلتفَت إلى الروايات الموضوعة التي تحطّ

---

١. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٧.

٢. السنّة قبل التدوين: ٣٥٤ـ٣٥٥.

٣. تقييد العلم: ١٠٤.

٤. الفهرست لابن النديم: ٣٦، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٢٧.

من كرامة الإسلام والمسلمين، وتجعل المسلمين في الركب الأخير وتتركهم على أُمّيّتهم وجاهليتهم، كرواية: إنّا أُمّة أُمّية لا نقرأ ولا نكتب[١]، وغيرها، ورواية: إنّ العلم يُحفَظ في الصدور[٢]. وهذه الرواية وأمثالها لا تثبت أمام النقد؛ لأنّ الإسلام دين يدعو إلى العلم والحضارة، وقد تمكّن رسول الله ﷺ بنبوّته وفصاحته وهو صاحب العقل الأكمل، أن يخلق من الأُمّة الجاهلية ـ التي كانت لا تخضع لنظام ولا قانون ـ أُمّة متطّلعةً إلى المدنيّة والحضارة، وأبوبكر دوّن في عهد رسول الله ﷺ بعض الأحاديث والسنن، فقد ذكر الخطيب رواية ينتهي سندها إلى أنس بن مالك أنّ أبا بكر كتب له فرائض الصدقة الذي سنّها رسول الله ﷺ، قال المادراني: هكذا حدّثنا أبو قلابة مختَصراً[٣].

كما ذكر رواية أُخرى ينتهي سندها الطويل إلى حمّاد أنّه قال: أخذت من ثُمامة بن عبدالله بن أنس كتاباً زعم أنّ أبا بكر كتبه لأنس وعليه ختم رسول الله ﷺ حين بعثه مصدّقاً، وكتب له كتاباً فإذا فيه: هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله على المسلمين، التي أمر الله تعالى بها نبيّه ﷺ، فمن سُئِلَها من المسلمين على وجهها فليُعطِها[٤]. وساق الحديث بطوله هذا إن صحّ ذلك.

---

١. صحيح البخاري ٢: ٢٣٠، سنن أبي داود ١: ٥٢٠ / ٢٣١٩، سنن النسائي ٤: ١٣٩ عن عبدالله بن عمر.

٢. جامع بيان العلم: ٢٧٢ ـ ٢٧٥.

٣. تقييد العلم: ٨٧.

٤. تقييد العلم: ٨٧.

عمر دوّن وأمر بالتدوين

قيل بأنّه كان في بادئ الأمر يأمر بتدوين الحديث، فقد روى الخطيب البغدادي بسند ينتهي إلى عمرو بن أبي سبرة قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: قيّدوا العلم بالكتاب[١].

وفي رواية أُخرى ينتهي سندها إلى عبد الملك بن عبدالله بن أبي سفيان عن عمّه عمر بن أبي سفيان أنّه سمع عمر بن الخطّاب يقول: قيّدوا العلم بالكتاب[٢].

هذا إن صحّ أن كان عمر يأمر بذلك[٣]، إذ اشتهر عنه أنّه أحرق جميع الأحاديث التي كان الصحابة يحتفظون بها، وفيها العقائد والتفسير والأخلاق وفضائل أهل البيت عليهم السلام والأمر بتقديمهم وتولّيهم إذ هم الأفضل. ويبقى التدوين هو السبيل الصحيح والنهج الذي أمر به رسول الله وأهل بيته، والذي به تُحفَظ السنن بما تلقّاه النبيّ صلى الله عليه وآله من وحي الله تعالى، ومن أحاديث وحكم لا تستقيم حياة البشرية إلّا بها. والسنّة هي ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله أو فعله أو تقريره، واتّباع القرآن واتّباعها يعصمان الناس من الضلال، كما في حديث الثقلين الذي ورد فيه «ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً»[٤].

---

١. تقييد العلم: ٨٧ ـ ٨٨.

٢. تقييد العلم: ٨٨.

٣. روى المتّقي الهندي هذا النصّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله (كنز العمّال ١٠: ٢٤٩ / ٢٩٣٣٢).

٤. الأصول الستّة عشر: ١٦٦، بصائر الدرجات: ٤٣٣ / ٣، الكافي ٢: ٤١٤ ـ ٤١٥ / ١.

وقد جمع عمر الأحاديث المتعلّقة بجمع الصدقات ودوّنها[١]، وكان ذلك الكتاب عند حفصة ثمّ عند آل أبي الخطّاب[٢]، وهذا ما استدلّ به العلماء كراراً، واستعرض عبد الله بن عمر هذه الرواية أيضاً.

كما كتب عمر شيئاً من كتب أهل الكتاب وواجه منعاً نبوياً صارماً، فعن خالد بن عرفطة أنّ عمر قال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثمّ جئت به في أديم فقال لي رسول الله: ما هذا في يدك يا عمر؟! قلت: يا رسول الله كتاب انتسخته لنزداد به علماً إلى علمنا. فغضب رسول الله حتّى احمرّت وجنتاه. ثمّ نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغَضِب نبيّكم؟ السلام، السلام!! فجاؤوا حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «يا أيّها الناس، إنّي قد أُوتيتُ جوامعَ الكَلِم وخواتيمه، واختُصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاءَ نقيّة، فلا تتهوّكوا[٣] ولا يقربنّكم المتهوّكون»! قال عمر: فقمت فقلت رَضِيتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً. ثمّ نزل رسول الله ﷺ[٤]. وكأنّ عمر أراد أن يستدرك بما قرأته، فعرض إسلامه إنقاذاً لنفسه من الفضيحة.

وعن عبدالله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطّاب فقال: يارسول الله، إنّي مررت بأخ لي من اليهود فكتب لي جوامع من التوراة، قال: أفلا أعرضها عليك! فتغيّر وجه رسول الله، فقال عبد الله بن ثابت: نسخ الله عقلك ألا ترى

---

١. سنن الدارمي ١: ٣٨٢، الكفاية في علم الرواية: ٣٩١.
٢. التمهيد لابن عبدالبرّ ٢٠: ١٣٩.
٣. التهوّك: السقوط في هوة الردى (كتاب العين ٤: ٦٥، غريب الحديث لابن سلام٣: ٢٩).
٤. تقييد العلم: ٥١ ـ ٥٢.

ما بوجه رسول الله؟! فقال عمر: رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد رسولاً[١].

وهذا ما يدلّ على أنّ عمر كان قد اختلط باليهود اختلاطاً عميقاً، وكتب كثيراً من كتبهم، وأنّه كان يقرأ ويكتب معهم، فأحبّ ما ورد عنهم[٢].

أبابكر وعمر ثمّ مَنَعا من تدوين الحديث!

ذكرنا أنّ أبابكر وعمر أمراً في بادئ الأمر بتدوين الحديث، إلّا أنّهما بعد ذلك ارتأيا واجتهدا في منع الصحابة من التدوين وتضييق الخناق عليهم ومعاقبة مدوّنهم، فقد أحرق أبوبكر خمسمائة حديث نبوي كانت محفوظة عنده وقد كتبها هو بيده.[٣]

جاء في (تذكرة الحفّاظ) للذهبي: ومن مراسيل ابن أبي مَليكة أنّ أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيّهم فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله أحاديثَ تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تُحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمَن سألكم فقولوا: «بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحِلّوا حلاله وحرِّموا حرامه»[٤].

أمّا عمر فقد جمع الصحابة واستشارهم في تدوين الحديث فأشاروا

---

١. المصنّف لعبد الرزّاق ٦: ١١٣ / ١٠١٦٤، مسند أحمد ٣: ٤٧٠ ـ ٤٧١.

٢. ينظر: منع تدوين الحديث: ١٠٦.

٣. تذكرة الحفّاظ ١: ١ ـ ٥، الرياض النضرة ١: ١٩٩ ـ ٢٠٠، حُجّية السّنة: ٣٩٤.

٤. تذكرة الحفّاظ ١: ٢ ـ ٣ حجّية السنّة: ٣٩٤. وقد جمع الروايات صاحب كتاب (منع تدوين الحديث) عن رسول الله ﷺ من كتاب من حياة الخليفة عمر بن الخطّاب لعبدالرحمن بن أحمد البكري: ٢٨٧ ـ ٢٩٤.

عليه بالتدوين، إلّا أنّه ارتأى واجتهد كصاحبه، واقتضت سياسته أن يرسّخ سياسة صاحبه بالمنع. روى حافظ المغرب ابن عبد البرّ والبيهقي في (المدخل) عن عروة أنّ عمر أراد أن يكتب السُّنن فاستفتى أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك. ورواية البيهقي: فاستشار، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهراً ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنت أُريد أن أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كُتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي واللهِ لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً. ورواية البيهقي: لا أُلبس كتاب الله بشيء أبداً[١]. وكتب بمنع التدوين إلى الأقطار. ومما تبين أنهما منعا تدوين الحديث النبوي كما منع عثمان بعد ذلك أن يُتَحَدَّث إلّا بما كان في عهد أبي بكر وعمر.

هذا عرض لروايات التدوين والمنع، فإن كان رسول الله ﷺ قد أمر بالتدوين فقد خالفاه بالمنع وإن كان ﷺ قد أمر بالمنع فقد خالفاه بالتدوين. أمّا ما ذكره أبو رية وغيره من المبرّرات فهي لا تصمد أمام النقد والبحث، وللقارئ أن ينظر في الآراء.

وعن أبي وهب قال: سمعت مالكاً يحدّث أنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يكتب هذه الأحاديث وكتبها، ثمّ قال: لا كتاب مع كتاب الله[٢].

قال محمود بن لبيد: سمعت عثمان على المنبر يقول: لا يحلّ لأحد يروي حديثاً عن رسول الله ﷺ لم يُسمَع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر[٣].

---

١. جامع بيان العلم ١: ٦٤، ينظر: أضواء على السنة المحمدية لأبو رية: ٤٦ ـ ٤٧.
٢. كنز العمّال ١٠: ٢٩٢ / ٢٩٤٧٥ ورواه ابن عبدالبرّ في كتاب (جامع بيان العلم وفضله) ١: ٦٤.
٣. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٣٦، كنز العمّال ١٠: ٢٩٥ / ٢٩٤٩٠.

وجرى على سيرة الثلاثة صنيعهم معاوية، قال رجاء بن حياة: كان معاوية ينهى عن الحديث، يقول: لا تُحدَّثوا عن رسول الله[١].

و روى ابن عَدِيّ عن إسماعيل بن عبيد الله أنّ معاوية نهى أن يُحدَّث عن رسول الله ﷺ بحديث إلّا حديثاً ذُكِر على عهد عمر فأقرّه عمر[٢].

وكان عمر قد أخاف الناس في رواية الحديث عن النبي ﷺ، كما في صحيح مسلم.[٣].

روى ابن عساكر كان معاوية يقول على منبر دمشق، إيّاكم والأحاديث عن رسول الله ﷺ إلّا حديثاً ذُكر على عهد عمر[٤].

و قد تجرّأ الحجّاج الثقفي فختم على بعض الصحابة لأجل منعهم من رواية الحديث، فقد روى ابن الأثير الجزري قال: قد ختم الحجّاج في يد جابر بن عبدالله وفي عنق سهل بن سعد الساعدي وأنس بن مالك يريد إذلالهم، وأن يتجنّبهم الناس ولا يسمعوا منهم![٥]

الوضّاعون للحديث النبوي

ذكر المدائني في كتاب (الأحداث) إجراءات معاوية في منع الأحاديث التي ذكرت فضائل الإمام علي عليه السلام وأهل بيته، وتشجيعه على وضع الحديث

---

١. تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١٦٧.

٢. الكامل لابن عدي ١: ١٩.

٣. الكامل لابن عَدِي ١: ١٩، تذكرة الحفاظ ١: ٧.

٤. تاريخ مدينة دمشق ٢٩: ٢٧٤.

٥. الاستيعاب ٢: ٦٦٤، أسد الغابة لابن الأثير ٢: ٣٦٦.

في فضائل مُختلَقة لبعض والصحابة[١] غير علي وأصحابة، وبذله الأموال والإقطاعات على ذلك [٢]. وقد دفعت هذه الإغراءات بعضَ الصحابة أن ينضموا إلى معاوية وينفذّوا ما طلبه منهم من رغباته وما تقتضيه سياسته، ومنهم سَمُرة بن جُندُب[٣] وكان معاوية قد أعطاه من بيت المال أربعمائة ألف على أن يخطب سمرة في أهل الشام بأن هاتين الآيتين من قوله تعالى: ﴿ و مِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * و إِذَا تَـوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ﴾[٤]

---

١. رواية ابن أبي الحديد فيها تفصيل أكثر، فقد ذكر أنّ معاوية كتب كتاباً إلى عمّال الأقطار يأمرهم بأن يأمروا من عندهم من الصحابة بأن يضعوا له أحاديث في فضائل الشيخين وأصدر أمراً بجعل الحديث في فضائل الخلفاء الثلاثة خاصّة وذم أهل بيت النبي ﷺ خصوصاً أميرالمؤمنين علياً صلوات الله عليه(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤ـ٤٦) فرَوَوا له الكثير من الأحاديث وهو يجيزهم بالمال الكثير، ولا ندري أكانوا يكتبون الحديث ويقرؤونه على معاوية أو يَرْوون له الحديث حفظاً، فإن كانوا يكتبون الحديث ويقرؤونه عليه فذلك مخالف لأمره بعدم التدوين وبأمر أبي بكر وعمر وعثمان، وإن كانوا يروون له حفظا فبين ذلك وبين منع التدوين أكثر من خمسين سنة، فقد مات وقتل الكثير منهم وبقي ما رووه في صدورهم، بقي بعضه محفوظا فكُتب بعد حظر التدوين. وقد سأل يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون الإمامَ الجواد ؈ فبيّن الإمام زيفها ووضعها، وسيأتي لاحقاً بيان تفاصيل ذلك.

٢. تدوين السنة الشريفة: ٤٩٤.

٣. كان معاوية قد ولّى زياد على الكوفة والبصرة، وكان يقضي الأخير شتاءه في البصرة وصيفه بالكوفة، فإذا خرج الى الكوفة استخلف سمرة بن جندب عليها، وقد قَتَل الأخير ثمانية آلاف من الناس كما ذكر محمّد بن عقيل العلوي في كتابه(النصائح الكافية لمن تولّى معاوية: ٧٦)، وسمرة بن جندب صاحب قضية النخلة في بيت الأنصاري التي قال رسول الله ﷺ على أثرها: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، فصارت قاعدة عامة يسير عليها الفقهاء.

٤. سورة البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

أنّهما نزلتا في علي بن أبي طالب عليه السلام حاشاه. وقد وجد بعض الذين دخلوا في الإسلام من أجل التشويه والطعن فيه كوهب بن منبّه اليماني وكعب الأحبار وتميم بن أوس الداري وغيرهم، مجالاً لوضع ما وجدوه في كتبهم فصاروا يحدّثون عن الأنبياء والمرسلين بما سمعوه من مشايخهم وطالعوه في كتبهم، ليشتغل المسلمون سماع ما يبثّون لهم من الخرافات من أجل صرفهم عن التوجّه القرآن والسنة[١]. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم بأنْ سوف تظهر فئة تكذب وتفتري عليه، فقد سأل يحيى بن أكثم قاضي القضاة في عصره الإمامَ أبا جعفر الجواد عليه السلام عن جملة الروايات الموضوعة، فبيّن عليه السلام وضعها ومخالفتها للكتاب والسنة، قال له: ما تقول في الحديث الذي روي عن جدك، أنّه قال بأنّ جبرائيل نزل على رسول‌الله صلى الله عليه وآله وقال: يا محمّد، إنّ الله يُقرئك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو راضٍ عني، فإني راضٍ عنه! فقال عليه السلام ليس بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: «قد كثُرت علَيَّ الكذّابة وستكثر، فمن كذَبَ عليّ متعمّداً فَلْيَتّبوأْ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف ذلك فلا تأخذوا به»[٢]، وليس يوافق هذا الخبرُ كتابَ الله، قال تعالى:

﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

---

١. ينظر: الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني: ١٠.

٢. الاحتجاج ٢: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

الْوَرِيدِ ﴾[١]. ثم قال يحيى بن أكثم: وقد رُوي أنّ مَثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرائيل وإسرافيل في السماء، فقال عليه السلام: وهذا يجب أن يُنظَر فيه؛ لأنّ جبرائيل وميكائيل مَلَكان لله مقرَّبان لا يعصيانِ الله قطّ ولم يفارقا طاعةً لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّوجلّ وإن أسلما بعد الشرك، وكان أكثر أيامهما بالشرك بالله، فمحال أن يشبّههما بهما. وقال يحيى: وقد رُوي أنهما سيّدا كهول أهل الجنة، فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً؛ لأنّ أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادّة الخبر الذي قال فيه رسول الله في الحسن والحسين بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنة»[٢]. وهناك غيرها من الأحاديث الموضوعة فليراجع المصدر.

وما أكثر من كَتب من العلماء والكُتّاب في الوضع والموضوعات، فبعض الوضاعين وضعوا الأحاديث تزلّفاً وطمعاً في عطايا الحكّام، وبعضهم اندسّوا فوضعوا تشويهاً لصورة الإسلام، ومن أجل ذلك استعمل العلماء الجرح والتعديل لمعرفة الصحيح من الأحاديث.

قال أبو رية: كان من آثار تأخير تدوين الحديث وربط ألفاظه بالكتابة الى ما بعد المائة الأولى من الهجرة وصدر كبير من المائة الثانية أنِ اتّسعت أبواب الرواية، وفاضت أنهار الوضع بغير ضابط ولا قيد[٣].

---

١. سورة ق: ١٦.

٢. الاحتجاج ٢: ٢٤٥ ـ ٢٤٧.

٣. أضواء على السنّة المحمدية: ١١٨.

يقول الذهبي: إنّ المتوكّل أشخص الفقهاء والمحدّثين، وكان فيهم مصعب بن الزبير وإسحاق بن أبي أسرائيل وإبراهيم بن عبد الله الهروي وأبو بكر عبد الله وعثمان ابنا محمّد بن أبي شيبة، فقُدِّمت بينهم الجوائز وأُجريت عليهم الأرزاق، وقد أمرهم المتوكّل أن يجلسوا للناس ويحدّثوا بالأحاديث التي فيها الردّ على المعتزلة والجهمية في الرؤية، فجلس عثمان في مدينة أبي جعفر المنصور ووضع المنبر واجتمع عليه نحو ثلاثين ألفاً من الناس، وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في مسجد الرصافة، وكان أشدَّ تقدّماً من أخيه عثمان فاجتمع عليه نحو ثلاثين ألفاً أيضاً[١]. والرؤية إنّما تكون للمقابل أو ما في حكمه، وهو المخصوص بذوات الأوضاع، وكيف يحكم عاقل بأنّنا نرى ما ليس في جهة ولا يشار إليه، والله منزَّه عن ذلك[٢].

والأحاديث في التشبيه والتجسيم كثيرة، وقد اعتمد عليها ابن تيمية وغيره جهلاً، وتعدّى الأمر ذلك بأن وضعوا أحاديث نالوا فيها من قدسية أعظم مخلوق خلقه الله تعالى وبعثه الى هداية البشر وعصمه من الزلل، إذ قال تعالى: ﴿ **يأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً** ﴾[٣]، وقال عزّوجلّ: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾[٤]، وهذا بدوره كان المنطلق في

١. سير أعلام النبلاء ١١: ١٢٥.

٢. المجالس السَّنيّة ٥: ٥٤٨.

٣. سورة الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.

٤. سورة التوبة: ٣٣.

وضع الروايات والقصص والأفلام المدعومة من قبل اليهود ومن سار في ركبهم، والتي تُسيء الى النبيّ الأعظم ﷺ.

الصحابة المانعون من تدوين الحديث كانوا يدوّنون

أمر أبوبكر وعمر بالتدوين ثمّ منعا ذلك، وهناك بعض الصحابة مَن رُوي عنهم ما يستفاد منه المنع عن التدوين، وفي الوقت نفسه وردت أخبار صريحة بأنّهم كانوا دوّنوا الحديث، وهذا تناقض -إن صحّ- لا يليق برجال صحبوا رسول الله ﷺ وعايشوا سيرته، وهو الأُسوة الحسنة للمسلمين. وروايات المنع مذكورة عن جماعةٍ، منهم:

١. أبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ)[1]:

وهو صحابي جليل، ذكر الخطيب البغدادي تسع روايات عن أبي سعيد الخدري والراوي عنه أبو نضرة، وإليك منها: عن أبي نضرة العبدي قال: قلنا لأبي سعيد: لو كتبتم لنا فإنّا لا نحفظ، قال: لا نكتبكم ولا نجعلها مصاحف، كان رسول الله ﷺ يحدّثنا فنحفظ، فاحفظوا عنّا كما نحفظ عن نبيّكم.

وعن أبي نضرة العبدي قال: قلنا لأبي سعيد الخدري: اكتبنا، قال: لن نكتبكم، ولكن خذوا عنّا كما كنّا نأخذ عن نبيّكم ﷺ. وكان أبو سعيد يقول:

---

١. هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، روى عن النبي ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم، وقد روى عن النبي ﷺ حيث قال شعبة عن أبي سلمة: سمعت أبا نضرة عن أبي سعيد رفعه: «لا يمنعنّ أحدَكم مخافةُ الناس أن يتكلّم بالحقّ إذا رآه وعَلِمه» (مسند أحمد ٣: ٤٤).

تحدّثوا؛ فإنّ الحديث يذكّر بعضه بعضاً[١]. وأمّا بقيّة الروايات فهي متّفقة في المؤدّى والمنع من التدوين.

نقول: أمّا أبو نضرة العبدي، فهو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي وقيل البصري المتوفى سنة (١٠٨هـ وقيل ١٠٩هـ)، وقد أورده العقيلي في (الضعفاء) ولم يَحتجَّ به البخاري[٢].

وأمّا أبو سعيد الخدري، فقد جاء عنه أنّه قال: ما كنّا نكتب غير القرآن والتشهّد[٣]. واحتمل الأعظمي أنّه كتب بعض الأحاديث النبوية إلى عبدالله بن عبّاس. وهذه النصوص تخالف ما اشتهر عنه من أنّه روى عن رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عنّي، ومن كتب غير القرآن فليمحُه»[٤]. وفي الصحيحين من طريق عطاء بن يزيد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعَنَّ أحدَكم مخافةُ الناس أن يتكلّم بالحقّ إذا رآه أو عَلِمه»، قال أبو سعيد: فحملني ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملأت أُذنيه ثمّ رجعت[٥]. وأبو سعيد الخدري لم يبايع عليَّ بن أبي طالب عليه السلام خلافاً لما قاله رسول الله ﷺ: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع علي»[٦]، فأين الحقّ الذي أُمِر أن يتكلم به إذا رآه أو عَلِمه، وحمله على الذهاب الى معاوية ليوبّخه؟!

---

١. تقييد العلم: ٣٦ـ٣٧.

٢. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٦٨ـ٢٦٩.

٣. مصنَّف ابن أبي شيبة ١: ٣٢٦ـ٣٢٧ / ١٠، تقييد العلم: ٩٣، كنز العمّال ٨: ١٥٢ / ٢٢٣٤٣.

٤. مسند أحمد ٣: ١٢، صحيح مسلم ٨: ٢٢٩.

٥. مسند أحمد ٣: ٨٤، منتخب مسند عبد بن حميد: ٢٧٥ / ٨٦٩، الإصابة في تميّز الصحابة للعسقلاني ٣: ٦٦.

٦. تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٢، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٤٩.

٢. عبدالله بن مسعود (ت ٣٢ هـ):

أحد حفّاظ القرآن وفقهاء الصحابة، فقد رُوي عنه أنّه روى عشر روايات ينهى فيها عن التدوين:

الأُولى: كره فيها كتابة العلم، عن أبي الشعثاء المحاربي أنّ ابن مسعود كره كتابة العلم.

والثانية: تدلّ على أنّ ولده عبدالرحمن كان يكتب ما سمعه، ولكنّ أباه قد دعا بأُجانة فيها ماء فغسله.

والثالثة: تدلّ على أنّ ولده قد كتب صحيفة فمحاها ابن مسعود[1].

والرابعة: عن حُصَين بن عبدالرحمن عن قرّة قال: بينما نحن عند عبدالله إذ جاء ابن قرّة بكتاب قال: وجدتُه بالشام فأعجبني فجئتك به، قال: فنظر فيه عبدالله ثمّ قال: إنّما هلك مَن كان قبلكم باتّباعهم الكتب وتركِهم كتابهم. قال: ثمّ دعا بطشت فيه ماء فماثه فيه ثمّ محاه.

والخامسة: رُوي عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه بأنّه أصاب هو وعلقمة صحيفة، وعندما جاءا بها إلى عبدالله بن مسعود قال: يا جارية، إئْتِيني بطشت فيه ماء. فجعل يمحوها بيده ويقول: نحن نقصّ عليك أحسنَ القَصص....

والسادسة: روى مضمونَ سابقتها نفسَه.

والسابعة: يرويها عبدالرحمن بن الأسود: قد جِيء بصحيفة إلى ابن مسعود وفيها أخبار أبي الدرداء، فقال: يا جارية، إئتيني بأجانة مملوءة بماء.

---

١. تقييد العلم: ٣٩.

فجاءت بها، فجعل يدلكها ويقول: ﴿الر ، تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ المُبِينَ﴾ .

والثامنة: قد وردت عن أبي الشعثاء سليم بن الأسود، كان هو وعبدالله بن مرداس فرأيا صحيفة فيها قصص وقرآن مع رجل من النخع، فقال: فإنّما أَهلك أهل الكتابين قَبلَكم مِثلُ هذه الصحيفة وأشباهها. إلى أن قال: فأُنشد الله رجلاً عَلِم مكان صحيفة إلّا أتاني بها، فوَ الله لو علمتها بدير هند لانتقلت إليها.

والتاسعة: فإنّ راويها يقول: دخلت المسجد فرأيت جماعة عندهم صحيفة يقرؤونها وفيها حمد وثناء على الله، فأعجبتني، وعندما جاء الراوي إلى ابن مسعود في المسجد وجد الصحيفة في يده، فقال: ألا إنّ فيما هذه الصحيفة فتنة وضلال وبدعة [١]. فإذا كان في هذه الصحيفة ذكر وحمد وثناء على الله، أفي ذكر الله فتنة وضلال وبدعة؟! وأمّا الرواية الأخيرة فتؤدّي مضمون سابقتها، ولا داعي لذكرها.

وقد ذُكر في (جامع بيان العلم) عن معن قال: أخرج لي عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنّه خط أبيه بيده [٢].

فكيف يمنع من التدوين وهو يكتب الحديث بخط يده؟!

كما روى الراوي أنّ ابن مسعود أُتي إليه بصحيفة فيها: سبحان الله ولا إله إلّا الله والله أكبر، فاعتبر هذه الصحيفة بدعة وفتنة وضلالاً [٣].

والذي يظهر من هذه الروايات أن ابن مسعود اجتهد كما اجتهد أبوبكرٍ

---

١. تقييد العلم: ٥٣ ـ ٥٦.

٢. جامع بيان العلم وفضله ١: ٧٢.

٣. سنن الدارمي ١: ١٢٤، كتب التراث لحكمت بشير ياسين: ٢١.

وعمر، فأمر ـ إن صحّت هذه الروايات ـ بغسل ما في تلك الصحف، وحتّى الصحف التي فيها تمجيد الله والقرآن والتسبيح، وكانت عنده نسخ من الحديث، كما إنّ تلامذته قد اهتمّوا أيضاً بتدوين العلم ونشره وطلبه[١].

وقد ورد في أخبار أُخرى أنْ كان مع ابن مسعود نُسخ ومخطوطات في الحديث والفقه[٢].

وأوضح من كلّ ذلك دلالةً موقفُ عمر الذي اتّخذه تجاه ابن مسعود وجماعة آخرين بسبب رواية الحديث وكتابته، حتّى أودعهم السجن[٣]، وممّا ذكرنا يتّضح اهتمام ابن مسعود وعزمه على كتابة ورواية الحديث.

٣. أبو موسى الأشعري (ت ٤٢هـ):

أمّا أبو موسى الأشعري وهو عبدالله بن قيس، فقد كان والياً على البصرة في أيّام عمر وعثمان، ثمّ ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام على الكوفة، وكان يخذّل الناس عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وقد عُرف ببغضه لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ففي روايةٍ عن أنس بن مالك قال: ما كنّا نعرف الرجل لغير أبيه إلّا ببغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٤]. وورث البغض عنه ابنُه أبو بردة الذي قبّل يد قاتل عمّار وقال له: لا تَمسُّك النار أبداً[٥]!

---

١. تاريخ بغداد١٣: ٢٣٤، تهذيب الكمال ٢٧: ٤٥٤.

٢. تاريخ الفتوى ٣: ١٥.

٣. المحدّث الفاصل: ٥٥٣ / ٧٤٥، تذكرة الحفّاظ ١: ٧.

٤. مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٠.

٥. شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩٩.

وقد اختاره أهل العراق حكماً، واختار معاوية للتحكيم عمرو بن العاص، فخدعه ابن العاص لمّا صعد المنبر فخلع عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يريد اختيار عبدالله بن عبّاس للتحكيم فلم يمكّنه أهل العراق من ذلك. وقد ذكر له الخطيب البغدادي ستَّ روايات يمنع فيها أبوموسى من تدوين الحديث، وأوّل الروايات هي ما ورد عن ولده أبي بردة قال: كتبت عن أبي كتباً كثيرة فمحاها وقال: خذ عنّا كما أخذنا[1].

كما روى ولده أبو بردة عن أبيه قال: كان أبو موسى يحدّثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها، فحدّثنا يوماً بأحاديث، فقمنا لنكتبها فظنّ أنّا نكتبها، فقال: أتكتبان ما سمعتما منّي؟ قلنا: نعم. قال: فجيئا به فدعا بماء فغسله وقال: احفظوا عنّا كما حفظنا[2].

والروايات الستّة كلّها مروية عن ولده أبي بردة.

وبعكس ما ذكره أبو بردة وردت روايات تصرّح بأنّ أبا موسى دوّن الحديث، حيث جاء في (مسند أحمد) أنّ أبا موسى الأشعري كتب لابن عبّاس مجيباً على رسالته:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي[3].

وقال بكر بن عبدالله أبو زيد: له صحيفة مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا[4].

---

١. تقييد العلم: ٣٩.

٢. تقييد العلم: ٤٠.

٣. مسند الطيالسي: ٧١، مسند أحمد ٤: ٣٩٦، السنن الكبرى للبيهقي ١: ٩٣.

٤. معرفة السنّة: ١٨٢.

وجاء عنه أنّه قد دافع عن تدوين السنّة الشريفة.

و كان أبو موسى يكتب الحديث، وقد كتب نسخة بطلب من عبدالله بن عبّاس تشتمل على أحاديث سمعها عن رسول الله ﷺ.[١]

٤. أبو هريرة (ت ٥٩هـ):

اختُلِف في اسمه على نيف وثلاثين قولاً، وقد اشتهر بكنيته، وهو صحابي معروف أسلم بعد الهجرة بسبع سنين[٢]، وروى عن النبي ﷺ آلافاً من الأحاديث مع أنّ صحبته كانت قصيرة.

وقد ذكر الخطيب أربع روايات في المنع عن تدوين ومؤدّاها واحد، وإليك الرواية الأُولى: قال: إنّ مروان في زمن ولايته على المدينة أراد أن يُكتبه حديثه، فأبى وقال: أروي كما روينا. فلمّا أبى عليه تغفّله، فأقعد له كاتباً لقناً ثقفاً ودعاه، فجعل أبو هريرة يحدّثه ويكتب الكاتب حتّى استفرغ حديثه أجمع، ثمّ قال مروان: تعلم أنّا قد كتبنا حديثك أجمع؟! قال: وقد فعلتم! قال: نعم، قال: فاقرأه عليّ. فقرأه عليه، فقال أبو هريرة: أما إنّكم قد حفظتم، وإن تطعني تَمحُه، قال: ثمّ محاه[٣].

وروايتان صريحتان منطوقهما: لا نكتم ولا نكتب[٤]. وكان أبو هريرة معروف بالكذب والوضع والتدليس، فقد كان الإمام علي عليه السلام ذامَّ

---

١. مسند الطيالسي: ٧١، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ٤٦٥ـ٤٦٦.

٢. الكنى والألقاب ١: ١٧٩.

٣. تقييد العلم: ٤١.

٤. تقييد العلم: ٤٢.

الرأي فيه، حيث روي عنه أنّه قال: «ألا إنّ أكذب الناس ـ أو قال: أكذب الأحياء ـ على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي»[١].

وقال مرّة: «لا أحدَ أكذبُ عليَّ من هذا الدوسي وعلى رسول الله ﷺ»[٢].

وكما أنّ أبا هريرة كان يدلّس في الحديث فينسب كلَّ ما سمعه من أحد إلى رسول الله ﷺ كان يضع الحديث خصوصاً في ذمّ الإمام علي عليه السلام[٣]. وفي الوقت الذي يروون عنه منع التدوين، فقد روى الفضل بن حسن بن عمر بن أُميّة الصيمري عن أبيه قال: تحدّثت عند أبي هريرة بحديث فأنكره، فقلت: إنّي قد سمعته منك! فقال: إن كنتَ سمعته منّي فهو مكتوب عندي[٤].

وفي حديثه ما يؤدّي نهج التعبّد وفيه ما يخاف ذلك[٥].

كما روى ذات يوم أحدُ التابعين، وهو بشير بن نهيك، حديثاً لم يعرفه أبو هريرة، وهنا قال التابعي بأنّه سمعه منه، فردّ أبو هريرة بأنّ الحديث مكتوب لديه إن صحّ ذلك. ويحكي التابعي بعد هذا أنّه صحب أبا هريرة حيث شاهد في بيته كتباً فيها أحاديث كثيرة لرسول الله ﷺ، وكان الحديث المشار إليه فيها[٦].

---

١. شرح نهج البلاغة ٤: ٦٨.

٢. المسترشد: ١٧٠ / ٣٨، الصراط المستقيم ٣: ٢٤٨.

٣. أبو هريرة شيخ المضيرة: ٢٣٦.

٤. العلل لأحمد بن حنبل ٢: ٥٩١ / ٣٨٠٧، المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١١، جامع بيان العلم وفضله ١: ٧٤.

٥. منع تدوين الحديث: ١٨٤.

٦. السنن الدارمي ١: ١٢٧، وانظر: تدوين السنة الشريفة ٢٢٨ ـ ٢٢٩، والتراث العربي ١: ٢٣٣.

وقد أسرد صاحب كتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة)[١] في ترجمته كلاماً مفصّلاً حول سيرته، وإليك قسم منه: أسلم بعد الهجرة بسبع سنين، بعد واقعة خيبر التي حدثت في صفر، صحب النبيّ ﷺ سنة وسبعة أشهر، أُقصيَ إلى البحرين، وقد ذكر أبو محمّد بن حزم أنّ مسند ابن مخلَّد قد احتوى من حديث أبي هريرة على (٥٣٧٤) حديثاً، روى البخاري منها (٤٤٦) حديثاً[٢]، ولا نعلم عدد الأحاديث التي رواها غير ابن مخلَّد ولا كثير من الروايات التي رواها البخاري، ولابدّ أن يُنظَر فيها، منها رواية البخاري عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ، قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليضمّه، فإنّ في أحد جناحيه داءً وفي الآخر دواء، وهو يقوّم الداء»[٣]. وقد كتب أحد دكاترة مصر مقالاً في (مجلّة الدكتور) المصرية كذب هذا الحديث، وذكر أنّ الذباب لا يحمل في جناحيه إلّا الداء، فهو حديث مكذوب على رسول الله ﷺ، وذكر ذلك الدكتور أنّ أكثر الأحاديث التي رواها البخاري عن أبي هريرة لا تقف أمام النقد والتحليل، ولو أنّ أبا هريرة صحب رسول الله في هذه المدّة القليلة ليل نهار لما تمكّن أن يروي عنه هذه الآلاف من الأحاديث.

٥. عبدالله بن عبّاس (ت ٦٨ ﻫ):

روى عنه الخطيب خمس روايات في المنع عن التدوين، أوّلها: أنّ رجلاً

---

١. أبو هريرة شيخ المضيرة ٧١ ـ ٧٣.

٢. أضواء على السنّة المحمّدية: ٢٠٠.

٣. صحيح البخاري ٤: ١٠٠.

من أهل نجران سأله عن مسألة، فأُعجب ابن عبّاس بحسن مسألته، فقال الرجل: اكتبْه لي، فقال ابن عبّاس: إنّا لا نكتب العلم[١].

والرواية الثانية: قال فيها ابن عبّاس: إنّا لا نكتب في الصحف إلّا الرسائل والقرآن، والرواية الثالثة: مرويّة عن طاوس اليماني، قال: كنّا عند ابن عبّاس وكان سعيد بن جبير يكتب، قال: فقيل لابن عبّاس: إنّهم يكتبون، قال: اكتبوا. ثمّ قام وقال: لولا حسن خُلقه لمَنعه من القيام. وأمّا الراوية الأخيرة: فهي: أخبرني الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير أنّ ابن عبّاس كان ينهى عن كتاب العلم، وأنّه قال: إنّما أَضَلَّ مَن قبلكم مَن كتب[٢].

وخلاف ذلك وردت روايات تصرّح بأنّ ابن عبّاس كان يدوّن الحديث، وقد وصل إلينا منه تفسير القرآن والروايات الكثيرة في شتّى المواضيع، وهاك رواية ابن سعد: قالت سلمى: رأيت عبدالله بن عبّاس ومعه ألواح يكتب عليها من أبي رافع شيئاً مِن فعل رسول الله ﷺ[٣]، وكان يحملها معه. واشتهر عنه أنّه ترك حين وفاته حِملَي بعير مِن كُتبه[٤]، كما جاءت عنه نصوص تؤكّد لزوم تقييد العلم بالكتاب.

وإذا كان ابن عبّاس قد منع عن التدوين، فكيف وصل إلينا منه تفسيره، وكيف يترك بعده حملي بعير؟! وكيف وقف من منع الحديث موقفاً صلباً، بعد أن عارض منع التدوين حيث أُثر عنه قوله: تذاكروا هذا الحديث لا

---

١. تقييد العلم: ٤٢.
٢. تقييد العلم: ٤٢ـ٤٣.
٣. الطبقات الكبرى ٢: ٣٧١.
٤. الطبقات الكبرى ٥: ٢٩٣، تقييد العلم: ١٣٦.

ينفلت منكم، فإنّه ليس مثل القرآن مجموع محفوظ، وإنّكم إن لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم، ولا يقولَنّ أحدُكم: حدّثتُ أمس فلا أُحدّثُ اليوم، بل حدّثتَ أمسِ، ولْتُحدِّث اليوم، ولْتَتحدَّثْ غداً[١].

وهذا يدل على تشدده في معارضة المانعين، ولا غرو، فإنّه تلميذ علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان أوّلَ المعارضين للمنع، قولاً وعملاً[٢].

٦. عبد الله بن عمر بن الخطّاب (ت ٧٤هـ):

هو ممّن لم يبايع الإمام عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام وبايع يزيد بن معاوية، ثمّ بايع قَدَم الحجّاج لعبد الملك بن مروان[٣].

فقد روى الخطيب روايتين لا يستفاد منهما المنع، الأُولى: عن سعيد بن جُبَير قال: كتب إليّ أهل الكوفة مسائل ألقى فيها ابن عمر، فلقيتُه، فسألته من الكتاب، ولو علم أنّ معي كتاباً لكان الفصل بيني وبينه، أمّا الرواية الثانية[٤]: فهي قوله: كنّا إذا اختلفنا في شيء كتبتُه حتّى ألقى به ابن عمر، ولو علم بالصحيفتين التي معي لكان الفصل بيني وبينه.

ويستفاد منهما أنّ ابن عمر منع من تدوين الحديث، والروايتانِ لا يستفاد منهما ذلك، فسعيد بن جبير ذكر النتيجة قبل ذكر المقدّمة، فإنّه لو عرض

---

١. سنن الدارمي ١: ١٤٧، تذكرة الحفّاظ ٣: ٩٦٥.

٢. تدوين السنّة الشريفة: ٥٦٦.

٣. القول الصراح في البخاري: ١٦٧ ـ ١٦٩، من الحياة الخليفة عمر بن الخطّاب لعبد الرحمن أحمد البكري "أنّ أباه أقام عليه حدّ شرب الخمر": ٦٨.

٤. تقييد العلم: ٤٣ ـ ٤٤، ومثله في المعنى في: جامع بيان العلم ١: ٦٦، الطبقات الكبرى ٦: ٢٥٨.

على ابن عمر كتابة الصحيفتين وسمع جوابه بالنفي أو الإثبات لكان جوابه الفصل، ولكنّه لم يعرض عليه الصحيفتين، فتبقى روايات الأمر بالتدوين، وتُرفَع اليد عن الروايتين التي يستفيد الخطيب منهما المنع، فابن عمر أمر بالتدوين ودوّن الحديث، وكان سعيد بن جبير كاتباً لابن عبّاس، وكان الأَولى به أن يسأل ابن عبّاس عمّن اختلفوا فيه من الحديث.

وقد ذكر المحدّثون أن ابن عمر كان يدوّن الأحاديث النبوية ويجمعها[١].

وكانت معه كتب ونسخة من الحديث ينظر فيها قبل أن يأتي إلى الملأ[٢].

وأيضاً كانت معه من كتاب الصدقات لأبيه التي هي في الحقيقة نسخة من كتاب الصدقات للنبي ﷺ[٣].

وقد كانت ترده أسئلة من الناس، فكان يجيب عنها بالكتابة[٤].

وكان أحياناً يكتب أحاديث عن النبي ﷺ ويرسلها إلى أصحابه[٥].

وروى الواقدي عن جماعة قالوا: كان كتاب نافع الذي سمعه من ابن عمر صحيفةً كنّا نقرؤها[٦].

وممّا يلفت النظر أنّ الروايات الآمرة بتقييد العلم ينتهي سندها إلى رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ كان يأمر بالتدوين، كما في رواية أبي شاة

---

١. دراسات في الحديث النبوي ١: ١٢٠.

٢. التاريخ الكبير ١: ٣٢٥، تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ٤٦٠.

٣. الأموال لأبي عبيد: ٣٩٣.

٤. مسند أحمد ٢: ٤٥.

٥. مسند أحمد ٢: ٤ و ١٥٢.

٦. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي ٧: ٤٨٩.

وغيرها، أمّا روايات النهي فلم ترد فيها حتّى رواية واحدة يتّصل سندها إلى النبي ﷺ، وهذا دليل على وضع روايات المنع، وقد كثر الوضّاعون والكذّابون في عصره ﷺ، حتّى قال ﷺ: «ألا وأنّه قد كَثُرت علَيّ الكذّابة، وستكثر، فمَن كذب علَيّ متعمّداً فليتبوّأ مَقعدَه من النار!»[1]. والحديث عن الوضع والوضّاعين يحتاج إلى كلام طويل، وقد كتب العلماء وألّفوا فيه كتباً، ومنها من كتب العامّة(اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، ووظّف فمعاوية الأموال الطائلة لمن يختلق حديثاً عن رسول الله ﷺ في الطعن في علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام.

وقد حصر الأُستاذ روّاس قلعهچي في موسوعة (عبدالله بن عمر) ما خالف عبدالله أباه عمر، وإليك تلك المسائل[2]:

١. كان عمر يرى جواز التظلّل للمُحْرِم بحجّ أو عمرة، وكان ابن عمر يرى عدم جواز ذلك له.

٢. كان عمر يرى جواز الغناء بما هو مُحَلَّل للمُحْرِم بحجّ أو عمرة، وكان ابن عمر يرى عدم جواز ذلك له.

٣. يرى عمر أنّ للمُحْرم أن يأكل ممّا صاده الحلال إذا لم يأمره هو بذلك أو يصيده له، أمّا ابن عمر فكان لا يفتي بذلك.

٤. كان عمر يمنع بيع الأرض الخراجية، وكان ابن عمر يجيز ذلك.

٥. كان عمر يرى وجوب استبراء الأمَة المباعة مِن قِبل البائع، ثمّ من قِبل

---

١. الاحتجاج ٢: ٢٤٦.

٢. ينظر: منع تدوين الحديث للسيّد علي الشهرستاني: ٢٥٦.

المشتري، أمّا ابن عمر فكان يوجب استبراءَها من قِبل المشتري فقط دون البائع.

٦. كان عمر يرى جواز قتل الأسرى، وكان ابن عمر لا يجيز قتلهم.

٧. كان عمر يرى أنّ مَن نوى الإقامة في السفر ثلاثة أيّام عليه أن يُتمّ صلاته، بينما كان ابن عمر يرى أنّه لابدّ أن ينوي الاقامة اثني عشر يوماً!

٨. كان عمر يرى جواز الشرب بالإناء المضُبَّب بالفضّة، بأن يضع الشارب فمه في غير موضع الضبّة، وكان ابن عمر إذا سُقي به كسره!

٩. كان عمر لا يجيز بيع الأشياء المتنجّسة التي يمكن الانتفاع بها، وكان ابن عمر يرى جواز ذلك.

١٠. كان عمر يوجب المساواة بين الأولاد في العطيّة، وكان ابنه يجيز المفاضلة بينهم في العطية.

١١. كان عمر يثبت حرمة المصاهرة بالتسرّي، وكان ابن عمر لا يثبتها به.

١٢. كان عمر يكره صلاة سُنّة الطواف في أوقات الكراهة، وكان ابن عمر لا يكره ذلك.

١٣. كان عمر يجيز ذلك في هَدْي التمتّع والقِران الشاة، وكان ابنه لا يجيز في ذلك غير البقرة أو الجزور.

١٤. كان عمر يوجب الزكاة في حُليّ النساء، وكان ابن عمر يقول: زكاة الحُليّ إعارته.

١٥. كان عمر يرى أنّ الخُلْع طلاقٌ بائن، وكان ابن عمر يرى الخلع فسخاً لا طلاقاً.

١٦. كان عمر يرى أنّ عِدّة المختلعة كعِدّة المطلّقة، وكان ابن عمر يرى أنّ الواجب في الخُلع الاستبراء لا العدّة.

١٧. كان عمر يرى جواز المسح على الخِمار في الوضوء! وكان ابنه لا يبيح ذلك.

١٨. كان ابن عمر يرى أنّ الجنين من الشاة إذا خرج من بطن أُمّه بعد ذبحها (وقد تمّ خلقه ونبت شعره) يُذبَح، أمّا عمر فكان يرى أنّه إن خرج ميّتاً من بطن أُمّه وكان حركته بعد خروجه حركة المذبوح فهو حلال أكلُه، وإن خرج حيّاً فلا يحلّ أكله إلّا بعد ذبحه.

١٩. كان عمر يرى أنّه لا يثبت الرضاع بالمصّة والمصّتين، وكان ابن عمر يرى ثبوت الرضاع بمصّة واحدة!

٢٠. كان عمر يرى أنّ المدبّر يُعتَق من رأس المال، وكان ابن عمر يعتقه من الثُّلُث، ويرى أنّه وصية كالوصايا.

٢١. كان عمر يرى أنّ المُحلّل لا حدّ عليه! وكان ابن عمر يرى التحليل زنا.

٢٢. كان عمر يعتبر نكاح العبد بغير إذن سيّده مخالفة لا حدّ فيها، وكان ابن عمر يعتبره زنا ويقيم فيه حدّ الزنا.

٢٣. كان عمر يرى أنّ سجود التلاوة لا يُلزِم إلّا مَن قرأ آية السجدة أو سمعها قصداً، وكان ابن عمر يوجب السجود على كلّ سامع لها وكلّ قارئ.

٢٤. كان عمر يجيز الغناء أو سماع الغناء بشروط! وكان ابنه لا يبيح الغناء بحال.

٢٥. كان عمر لا يرى صيام يوم الشكّ، وكان ابنه يرى صيامه إذا كان في السماء قَتَر.

٢٦. كان عمر يرى أنّ المسافر يصلّي الوتر على الأرض لا على ظهر الدابّة، وكان ابنه يرى جواز صلاته على الدابّة.

٢٧. كان عمر يُقنت في صلاة الصبح، وكان ابن عمر يعتبر القنوت في صلاة الصبح بدعة!

٢٨. كان عمر يرى أنّ ما يدركه المسبوق من صلاته مع الإمام هو أوّل صلاته، وكان ابن عمر يراه آخر صلاته.

٢٩. كان عمر يرى أنّ أحقّ الناس بالصلاة على الميت وليُّه، وكان عبدالله ابن عمر يرى أنّ أحقّ الناس بالصلاة عليه هو الأمير!

٣٠. كان عمر يرى أنّ شهر رمضان لا يثبت إلّا بشاهدين، وكان ابنه يرى ثبوت شهر رمضان بشاهد واحد.

٣١. كان عمر يكره صيام الدهر، وكان ابن عمر يصومه.

٣٢. كان عمر يرى أنّ الطلاق بألفاظ الكناية -إذ نوى فيه الطلاق- لا يقع به إلّا طلقة واحدة، أمّا ابن عمر فكان يرى أنّ الكنايات الظاهرة في الطلاق يقع الطلاق بها ثلاثاً، وغير الظاهرة فيه فيقع بها من الطلاق بحسب ما نواه المطلِّق!

٣٣. كان عمر يرى أنّ المطلَّقة البائن لها النفقة في العدّة، أمّا ابن عمر فكان يقول: لا نفقة لها.

٣٤. كان عمر يثبت نسب ولد المتسرّى بها من سيّدها بثبوت وطئه لها، أمّا ابن عمر فإنّه كان لا يثبت نسب ذلك الولد منه إلّا أن يدّعيه.

٣٥. كان عمر يرى أنّ امرأة المفقود يطلّقها وليُّه إذا انتهت مدّة تربّصها، أمّا ابن عمر فيرى أنّه لا حاجة إلى طلاق الوليّ.

٣٦. كان عمر يرى أنّ الميّت يُكفَّن في ثلاثة أثواب، أمّا ابن عمر فيرى أنّه يُكفَّن في خمسة أثواب.

٣٧. كان عمر يرى أنّ الواجب في كفّارة النذر هو الواجب في كفّارة اليمين، أمّا ابن عمر فكان يرى أنّ الواجب فيه كفّارة اليمين المؤكّدة.

٣٨. كان عمر يرى أنّ اليمين واحدة وكفّارتها واحدة، أمّا ابن عمر فكان يرى أنّ اليمين على نوعين: مؤكّدة وغير مؤكّدة، وكفّارة كلّ نوع تختلف عن كفّارة النوع الآخر.

٣٩. كان عمر يشترط الإشهاد لصحّة عقد النكاح، أمّا ابن عمر فإنّه لا يشترط لصحّة عقد النكاح الإشهادَ عليه[١].

ولعلّ عمر إنّما لم يعهد الخلافة لولده عبدالله كما عهدها إليه أبو بكر، كما لم يجعله من أهل الشورى؛ للاختلاف بينهما، وعندما عوتب عمر على عدم جعل ابنه أحدَ أعضاء الشورى الستّة تعلّل بأنّ ابنه عبدالله لا يعرف الفقه والأحكام! وقال لمن عاتبه على ذلك: قاتَلَك الله! واللهِ ما أردتَ اللهَ بهذا، ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟![٢]

أسباب منع أبي بكرٍ وعمر للتدوين:

ادّعى أبوبكر بأنّ التدوين يوجب اختلاف الصحابة في الحديث ثمّ يكون الناس من بعدهم أشدّ اختلافاً كما ورد ذلك في (تذكرة الحفّاظ):

---

١. ينظر: منع تدوين الحديث: ٢٥٦ ـ ٢٥٩، مُستشهدا بـ«موسوعة فقه ابن عمر»: ٣٣ ـ ٣٩.

٢. تاريخ الطبري ٣: ٢٩٢، الكامل لابن الأثير ٣: ٦٥، شرح نهج البلاغة ١: ١٩٠.

من مراسيل ابن أبي مليكة: أنّ الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيّهم فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه[١].

فخشي من اختلاف الصحابة في حديث رسول الله ﷺ، وأنّ من سيأتي بعدهم سيختلفون أكثر من اختلافهم. وكان الواجب على أبي بكر أن يأخذ الصحيح من أحاديث النبي ﷺ فيثبّتها، وذلك مدعاة لعدم الاختلاف. وأمّا قوله: فلا تحدّثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، ففيه مخالفة صريحة للنبيّ ﷺ الذي دعا الأُمّة للتمسّك بالثقلين، إذ لا يمكن للمسلم أن يرجع في أحكامه ومشاكله إلى القرآن وحده، وحديث الثقلين الذي يرويه الخاصّة والعامّة صريح في ذلك، فالركون إلى الكتاب وحده يوجب الضلال، والركون إلى السنّة وحدها يوجب الضلالة أيضاً، لقوله ﷺ: «ما إن تمسّكتم بهما لن تَضِلّوا بعدي أبداً»[٢]، ومبنى أبي بكر كمبنى صاحبه القائل: حَسْبُنا كتاب الله[٣]، وهذا ما تمسّك به الخوارج بعد ذلك فجعلوا شعارهم: لا حكم إلّا لله.

وأمّا عمر فقد علّل سبب المنع بقوله: وإنّي ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم كتبوا كُتباً، فأكبّوا عليها فتركوا كتاب الله تعالى، وإنّي والله لا أُلبس كتاب الله

---

١. تذكرة الحفّاظ ١: ٢ـ٣، حجّية السنّة: ٣٩٤.

٢. بصائر الدرجات: ٤٣٣ / ٣، الكافي ٢: ٤١٤ـ٤١٥ / ١.

٣. مسند أحمد ١: ٣٢٥، صحيح البخاري ٥: ١٣٧ـ١٣٨.

بشيء أبداً[١].

ومن تعاليل عمر في المنع (خفتُ أن يختلط كتاب الله بالسنّة فإنّ من كانوا قبلكم أكبّوا على كتبهم وتركوا التوراة أو الإنجيل)، فالإسلام جاء إلى البشرية بأحكام تتناسب مع تكامل الأمة، وأحكامه ناسخة لأحكام الديانات الأُخرى، والأُمّة التي بُعث فيها رسول الله ﷺ تميّز الآية من الرواية، فكان الواجب على عمر أن ينهى المسلمين عن جعل القرآن خلف ظهورهم تاركين العمل به، ولا يمنعهم من تدوين السنّة التي هي مكمّلة للقرآن. وأمّا قوله: خفت أن يختلط القرآن بالسنّة، فغير مُوجَّه؛ لأنّ القرآن الكريم أوّلاً دُوِّن وكُتب من قبل جماعة، وثانياً فإنّ أُسلوب القرآن متميّز بأنّه كلام الخالق، ولعلّ أكثر المسلمين يميّز بين القرآن والسنّة، حيث إنّ النصّ القرآني بصياغته الخاصّة وبلاغته المتميّزة وجذبته الروحية ممّا لا يخفى على أحد، وممّا لا يمكن الخلط بينه وبين الحديث[٢].

فمنعُ أبي بكرٍ وعمر للتدوين حَدَّ من تناقل الحديث عن رسول الله ﷺ، وضيّق الخناق على كلّ مَن له رواية عن رسول الله ﷺ[٣].

و ذلك المنع للتدوين ليس بالجديد، فقد خطّطوا له مسبقاً قبل أن يقول القائل حسبنا كتاب الله! وطبّقوا ما دبّروه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهذا ممّا أوجب اختلاف الصحابة في الفتاوىٰ والآراء، بل في فتاوى وآراء الصحابي

---

١. المصنَّف لعبدالرزّاق ١١: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ / ٢٠٤٨٤، تقييد العلم: ٤٩، جامع بيان العلم ١: ٦٤.

٢. منع تدوين الحديث: ٣٧ ـ ٣٨.

٣. منع تدوين الحديث: ٤٤.

الواحد، فمنعُ التدوين وفتح باب الاجتهاد بشكل جدّي في حدوث التضاربات والاختلافات في فتاوى وآراء الصحابي الواحد، أنتجا القول بمشروعية الاختلاف وتعدّدية الآراء عند الصحابة مع تعارضها مع الإسلام، وبالتالي حجّيتها جميعاً والقول بعدالة الصحابة جميعاً بالرغم من انحراف الكثير منهم[١].

وكان من أسباب المنع خوف انتشار الأحاديث النبوية التي تبيّن بوضوح أحقّية أهل البيت بالخلافة[٢]، والأحاديث النبوية التي وردت في فضائل الإمام علي بن أبي طالب والزهراء والحسن والحسين وبقيّة العترة الطاهرة عليهم السلام، والتي سمعها الصحابة الأوّلون من رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرةً ودوّنوها.

وكان أبوبكر وعمر يظنّان أنّ منع التدوين يطمس الأحاديث النبوية التي وردت في أحقّية أهل البيت عليهم السلام ولزوم اتّباعهم ووجوب إدارة شؤون الأُمّة من قبلهم، وقد خابوا في ذلك، ورحم الله الشاعر حيث قال:

لقد كَتَمتْ أخبارَ آلِ محمّدٍ ... مُحبّوهمُ خوفاً وأعداؤُهم بغضا

وقد شاعَ مِن بينِ الفريقَينِ جملةٌ ... بها ملأ اللهُ السماواتِ والأرضا[٣]

وعوتب المتنبي على عدم مدحه لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال:

وتركتُ مدحي للوصيّ تعمّداً ... إذ كان نورا مستطيلاً شاملا

وإذا استطال الشيءُ قام بنفسِهِ ... فصفاتُ ضوءِ الشمسِ تَذهب باطلا[٤]

---

١. ينظر: منع تدوين الحديث: ٥٠٢.

٢. ينظر: منع تدوين الحديث: ٥٣٥.

٣. ينظر: أعيان الشيعة ٣: ٦٢٧.

٤. ينظر: أعيان الشيعة ٢: ٥١٥.

وقال آخر:

إن يَحسُدوك على عُلاك فإنّما مُتسافِلُ الدرجاتِ يَحسُد مَن علا[١]

ويقول تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

منع التدوين في خلافة عثمان ومعاوية

انفضّت الشورى بقبول عثمان ما شرطه عليه عبدالرحمن بن عوف من عدم قبول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والشرط هو العمل بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين، فقد ألزم عثمان نفسه على السير عليها وعدم مخالفتها، لذا قال في الحديث وتدوينه: لا يحلّ لأحد أن يروي حديثاً لم يُسمَع به في عهد أبي بكر وعهد عمر[٣]، ولقد أخرج من المدينة من لم يتمكّن الخروج منها، ومنع أبا ذرّ من رواية الحديث النبوي، فإنّ أبا ذرّ كان يوماً جالساً عند الجمرة الوسطى، وكان الناس حوله يسألونه ويجيبهم، فوقف إلى جانبه رجل فقال له: ألم تُنَه عن الفُتيا؟! فرفع رأسه إليه فقال: أَرَقيبٌ أنت عليّ ؟! لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن تُجهزوا عليّ لأنفذتها[٤].

---

١. ينظر: الغدير ٦: ٣٨٨.

٢. سورة التوبة: ٣٢.

٣. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٣٦، كنز العمّال ١٠: ٢٩٥ / ٢٩٤٩٠.

٤. الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٥٤، سنن الدارمي ١: ١٣٦ ـ ١٣٧.

لقد تحوّلت الدولة الإسلامية في أيّام عثمان إلى دولة ملكية، وصارت الحياة العامّة في عصر عثمان تسير نحو تغيير السنن وسائر الأوضاع فانتقلت مظاهر الخلافة إلى مظاهر المُلك من نعيم وترف وفسق ومجون ولهو وجمع الأموال والتزايد من العقار والضياع، وكلّ ذلك من مال المسلمين، فأعطى مروان بن الحكم خُمس غنائم أفريقيا، وأعطى الحكم طريد رسول الله ﷺ مائة ألف درهم، وأعطى الحرث بن الحكم بن العاص ثلاث مائة ألف، وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف، وأعطى عبدالله بن سراح أخاه من الرضاع ما أفاء الله على المسلمين من فتح افريقيا، وأعطى أبا سفيان بن حرب مئتي ألف درهم، وأقطع مروان فدكاً التي منعت منها فاطمة الزهراء بضعة الرسول ﷺ، وهكذا حوّل الأمويّون الخلافة إلى مُلكٍ عضوض[1].

ولم ينتقد هذه السياسة علناً إلّا الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري، فقد كان يرفع صوته بالنقد لذلك الإنحراف، فكان يقرأ بين الناس قوله تعالى: ﴿ والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]. فرُفع ذلك إلى عثمان، فبعث إليه مولَيين ومعهما مائتا دينار، وقال لهما: إنطلِقا إلى أبي ذرّ فقولا له: «إنّ عثمان يُقرئك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بها على ما نابك، فقال أبو ذرّ: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟! فقالا: لا، قال: إنّما أنا رجل من المسلمين يَسعُني ما يسعهم، لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت في يومي هذا وأنا من أغنى الناس، فإنّ تحت هذا الإكاف رغيفاً من شعير، فما أصنع بهذه

---

١. أبو ذرّ الغفاري، لعبد الله السبيتي: ١٢٥.

٢. سورة التوبة: ٣٤.

الدنانير؟! لا واللهِ حتّى يعلم الله أنّي لا أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غنياً بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وعترته الطيبين الطاهرين الهادين المهديين الراضين المرضيين، الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون[1].

وعلى أثر ذلك أبعده عثمان إلى الشام؛ ليكون تحت سيف معاوية؛ لصراحته وكشفه للستار وفضحه للحكومة وروايته لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله[2]. وعندما أُبعد إلى الشام لم يَحِد عن نهجه في المدينة، فقد كان يحدّث الناس بما سمعه من رسول الله، خصوصاً في مناقب الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام هذا، وهو الموثَّق الصادع في حديثه، فقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، من ذي لهجةٍ أصدقَ من أبي ذرّ»[3]. و مع شدّة التضيّق والمراقبة عليه يقول الأحنف بن قيس:

أتيت الشام، فإذا رجل لا ينتهي إلى سارية إلّا فرّ أهلها، يصلّي ويخفّف صلاته، قال: فجلست إليه وقلت له: من أنت؟ قال: أنا أبو ذرّ، فقلت له: أنا الأحنف بن قيس، قال: قم عنّي لا أعديك بشرّ، فقلت له: كيف تعديني بشرّ؟! قال: إنّ هذا (يعني معاوية) نادى مناديه ألّا يُجالسَني أحد[4].

ولم يمتنع أبو ذرّ من نقد سياسة الحكّام وإفشاء ما سمعه من رسول الله، فقد مرّ يوماً على معاوية وهو يبني (قصر الخضراء)، فقال له أبو ذرّ بدل أن يبارك له ببناء القصر: إن كان هذا من مالك فهو الإسراف، وإن كان من مال

---

١. أبو ذرّ الغفاري لعبد الله السبيتي: ١٢٦.

٢. تدوين الحديث عند الشيعة الإمامية: ١١١.

٣. أبو ذرّ الغفاري: ١٢٦.

٤. طبقات الكبرى: ٤: ٢٢٩.

المسلمين فهو الخيانة[١].

وكان إذا مرّ على قصور معاوية وأهل الشام، يقول صارخاً: أتتكم القطار، تحمل النار! اللهمّ العنِ الآمرين بالمعروف التاركين له، اللهمّ العنِ الناهين عن المنكر المرتكبين له[٢].

ولم يمتنع أبو ذرّ من نشر حديث رسول الله ﷺ وقد كان يسير في أزقّة الشام رافعاً صوته قائلاً: أمَا واللهِ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليٌّ قاتلُ الكفرة، قائد البررة، منصوراً من نصره، مخذولاً من خذله». وبهذا تمكّن أن ينشر التشيّع في جبل عامل، ويقال بأنّ معاوية نفى أبا ذرّ إليها، وهناك بثّ دعوته فتقبّلها أهلها، ولأبي ذرّ هناك مسجدان: مسجد في الصرفندة، وآخر في ميس[٣].

و من هناك كتب معاوية إلى عثمان بما كان يقوم به أبو ذرّ من نشر أحاديث النبي ﷺ بين أهل الشام، ونشر الوعي الإسلامي الصحيح بينهم، فأُعيد إلى المدينة على ناقة بغير غطاء ولا وقاء، ثمّ كان مصيره الأخير أن يموت في الربذة[٤]، وهي قرية يهودية، كما أخبره بذلك رسول الله ﷺ إذ

---

١. وعّاظ السلاطين لعلي الوردي: ٦١.

٢. أبي ذرّ الغفاري: ١٣٤.

٣. أبو ذرّ الغفاري: ١٣٩. الصرفند: قرية تُطلّ على البحر، بين صور وصيدا. والميس: قرية تُطلّ على الحولة.

٤. الربذة: بفتح أوله وثانيه، وذال معجمة مفتوحة أيضاً، جبل عند الربذة، قالوا: وبه سُمِّيت الربذة. قال أبو عمرو: سألت ثعلباً عن الربذة، فقال: سألت عنها ابن الأعرابي فقال: الربذة الشدة، يقال: كنّا في ربذة فانجلت عنّا، وفي كتاب العين: الربذ خفّة القوائم في المشي، وخفة الأصابع في

←

قال: «يا أبا ذرّ، تعيش وحدك، وتموت وحدك»[١]، فمات فيها وليس عنده إلّا ابنته ذرّة.

وأمّا معاوية فقد نهج منهج عثمان والشيخين، فنهى أن يُحدَّث عن رسول الله ﷺ بحديث إلّا حديثاً ذُكر على عهد عمر فأقرّه عمر[٢].

وقد ذكر ابن عساكر أنّ معاوية كان يقول على منبر دمشق: إيّاكم والأحاديثَ عن رسول الله، إلّا حديثاً ذُكر على عهد عمر[٣].

وفي (صحيح مسلم) عن الحصبى قال: سمعت معاوية يقول: إيّاكم وأحاديثَ إلّا حديثاً كان في عهد عمر، فإنّ عمر كان يخيف الناس في الله عزّ وجلّ[٤].

و روى ابن عساكر أيضاً أنّ معاوية كان ينهى عن التحدّث عن رسول الله مطلقاً[٥].

وقد سمح الحكّام لبعض الصحابة الذين كانوا يسيرون في ركابهم ويدورون حول فلكهم، أن يُحدّثوا عن رسول الله ﷺ بما يتّفق مع هوى

← العمل، تقول: إنه لربذة، والربذات: العهون التى تُعلَّق في أعناق الابل، والربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضى الله عنه، واسمه جُندُب بن جنادة، وكان قد خرج إليها مغاضباً لعثمان بن عفان، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢هـ (معجم البلدان ٣: ٢٤).

١. من لايحضره الفقيه ٤: ٣٧٥ / ٥٧٦٥.

٢. الكامل لابن عدي ١: ١٩، تذكرة الحفّاظ ١: ٧.

٣. تاريخ دمشق ٢٩: ٢٧٤.

٤. الكامل لابن عدي ١: ١٩، تذكرة الحفّاظ ١: ٧.

٥. تاريخ دمشق ٥٩: ١٦٧.

الحاكمين، وفي طليعتهم عائشة، فقد كانت تتمتّع ـ ولأسباب خاصّة ـ بحقّ الفُتيا، إذ كانت محوراً لذلك[١].

كما سُمح لابن مسعود، وكان يفتي الناس ويروي الحديث[٢].

وكذلك عبدالرحمن بن عوف، كان مجازاً في رواية ما سمعه عن رسول الله ﷺ والإفتاء على ضوئه[٣].

وكان أبو موسى الأشعري أيضاً يمتاز بذلك[٤].

وكذلك أبو هريرة!

كما كان لزيد بن ثابت دورٌ في الإفتاء، فكان رئيساً للقوّة القضائية والفُتيا والقراءة في عهد عمر وعثمان[٥]، وكان عثمانياً، ولم يشهد مع الإمام علي عليه السلام شيئاً من حروبه[٦].

وقد ذكرنا حديث ابن عبد البرّ بسنده أنّ زيد بن ثابت روى أمام معاوية حديثاً فمحاه.

وذكر ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) بعضَ ما مُنيَ به آل البيت من الأذى والاضطهاد، ومرّت عليهم المحن من هنا وهناك، وقد روى أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه: «يا فلان، ما لقينا من ظلم

---

١. الطبقات الكبرى ٤: ١٨٩، مسند أحمد ٥: ١٨٥.
٢. المصنّف لعبد الرزّاق ٨: ٣٨، أخبار القضاة ١: ٨٣.
٣. حياة الصحابة ٣: ٤٩٦.
٤. مسند أحمد ٤: ٥٣٤.
٥. الطبقات الكبرى ٢: ٣٥٩ـ ٣٦٠.
٦. أُسد الغابة ٢: ٢٢٢.

قريش إيّانا وتظاهرهم علينا، وما لقيَ شيعتنا ومحبّونا من الناس. إنّ رسول الله ﷺ قُبِض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أُخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجتنا، ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قُتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثمّ غُدر به وأُسلم، ووثب عليه أهل العراق حتّى طُعن بخنجر في جنبه، ونُهبت عسكره، وعُولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادَعَ معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حقّ قليل. ثم بايع الحسينَ عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعتُه في أعناقهم وقتلوه ثمّ لم نزل -أهل البيت- نُستذَلّ ونُستضام، ونُقصى ونُمتَهن، ونُحرم ونُقتّل ونخاف، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا. ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورَوَوا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله لِيُبغّضونا إلى الناس، وكان عِظمُ ذلك وكِبَره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتّلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقُطّعت الأيدي والأرجل على الظِنّة، وكان مَن يُذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدمت داره. ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجّاج فقتلهم كلَّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنّةٍ وتُهمة، حتّى أنّ الرجل لَيُقال له زنديق أو كافر أحبُّ إليه من أن يقال شيعة عليّ، وحتّى صار الرجل الذي يُذكر بالخير -ولعله يكون ورعاً صدوقاً-

يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض مَن قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنّها حقّ، لكثرة من قد رواها ممّن لم يُعرَف بكذب ولا بقلّة ورع».

وروى أبو الحسن علي بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن بَرِئتِ الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة مَن بها من شيعة عليٍ عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة، وضم إليه البصرة، فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف، لانّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام، فقتلهم تحت كل حَجَر ومَدَر، وأخافهم وقطّع الايدى والأرجل، وسمّل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرّفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألّا يُجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا مَن قِبلَكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يَرْوون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقرّبوهم وأكرموهم، واكتبوا الى بكلّ ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لِما كان يبعثه إليهم معاوية من الصِّلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمّال معاوية فيروي

في عثمان فضيلةً أو منقبةًإلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمُناقِضٍ له في الصحابة، فإنّ هذا أحبُّ إليّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحُجّة أبي تراب وشيعته وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقُرِئت كتبه على الناس، فرُوِيت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مُفتعَلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بِذِكر ذلك على المنابر، وأُلقيَ إلى معلّمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى رَوَوه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه! وشفع ذلك بنسخة أخرى: مَنِ اتّهمتُموه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به واهدموا داره! فلم يكن البلاء أشدَّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتّى أنّ الرجل من شيعة عليٍّ عليه السلام لَيأتيه مَن يثق به فيدخل بيته فيُلقي إليه سرَّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة لَيكتُمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليةً القرّاء المراؤون،

والمستضعفون الذين يُظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث لِيحظَوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان فقَبِلوها وَروَوها وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لَما رووها ولا تديّنوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ عليه‌السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبقَ أحد من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض. ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه‌السلام، ووليَ عبد الملك بن مروان فاشتدّ على الشيعة، وولّى عليهم الحجّاجَ بن يوسف فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض عليّ وموالاة أعدائه، وموالاة مَن يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ من عليّ عليه‌السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له، حتّى أنّ إنساناً وقف للحجّاج ـ ويقال أنّه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب ـ فصاح به: أيّها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني عليّاً، وإنّي فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج! فتضاحك له الحجّاج وقال: لَلُطف ما توسّلتَ به، قد ولّيتُك موضع كذا. وقد روى ابن عَرَفة المعروف بنِفطَوَيه، وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر ـ وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعِلَت في أيّام بنى أميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يُرغمون به أنوف بني هاشم[1].

---

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٣ ـ ٤٦.

الكتابة والتأليف في غير الحديث النبوي

عندما منع أبوبكر وعمر تدوين الحديث أصبحت حركة العلم وتدوين الحديث بطيئة، إلّا أنّ التأليف في غير الحديث التزم به كثير من العلماء، فقد ألّف بعض أهل العلم في ذلك العصر الكتب في غير الحديث إذ لم يصدر منع من الحاكمين لهم عن التأليف والتدوين، فقد حرص الأوائل على تتبّع وتدوين بعض الثقافات غير الدينية؛ حفظاً عليها من الضياع بعد موت أصحابها لينتفع الناس بها مقروءة لا مرويّة، فقد ألّف صحار العبدي كتاب (الأمثال)، وترك كعب الأحبار كتاباً في تاريخ الإسكندر، وألّف وهب بن منبَّه كتاباً في تاريخ المتوَّجين من ملوك حِمْيَر، وهما وإن كان يهوديَّينِ دخلا إلى الإسلام، وقد دسّ بعض الأحاديث في علوم التفسير، واستحضر معاوية من اليمن عبيدَ بن شرية الجرهمي إلى دمشق، وسأله عن الأخبار المتقدّمة وملوك العرب والعجم، وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، إلى غير ذلك ممّا طرحه معاوية من أسئلة، فكان عبيد يجيبه إجابات مستفيضة مفيدة، ممّا جعل معاوية يأمره بهذه المعلومات أن تدوّن وأن تنسب إلى مدوّنها عبيد بن شرية[1]، مع أنّها معلومات غير ضروريّة.

وألّف خالد بن يزيد بن معاوية أكثر من كتاب في الكيمياء والعلوم والمعملية، ذكر منها ابن النديم: كتاب الحرارات، وكتاب وصيّته لابنه في الصنعة، وكتاب الصحيفة الكبير، وكتاب الصحيفة الصغير، هذا فضلاً عن

---

١. الفهرست لابن النديم: ١٠٢.

ديوان شعر كبير[1].

وألّف زياد ابن أبيه كتاباً في الأنساب، طعن فيه على العرب أنسابهم لما لقيه من عنت منهم بسبب مولده من سفاح!

وكان ابن شهاب الزهري يجلس في بيته ويحيط نفسه بـالكتب يـضعها حوله[2]، ولاشكّ في أنّ بعض هذه الكتب كانت له ومن تـصنيفه والبـعض الآخر لغيره من المصنّفين، فهو تابعي من أكابر الرواة الحفّاظ الفقهاء، وكان يحفظ ألفَين ومائتي حديث نصفها مسند، وكان الزهري يطوف في البلدان ومعه ألواح وصحف يكتب عليها كلّ ما يسمع.

ولم تكن تلك الكتب من الكتب التي يدوّنون فيها الحديث؛ لأنّ تدوين الحديث منعه أبوبكرٍ وعمر، كذا أعرض أتباع مدرسة الخلفاء عن تـدوين الحديث تنفيذاً لأمرهما، أمّا التأليف في بقيّة فروع العلم ومنها التاريخ، فقد ألّفوا في ذلك كما أسلفنا. و أمّا أتباع مدرسة أهل البيت فقد دوّنوا الحـديث تنفيذاً لأوامر النبي ﷺ وألّفوا في بقية فروع العلم، حيث ألّف سلمان فضلاً عن تدوين الحديث النبوي كتاباً في حديث الجاثليق الرومي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي ﷺ، كما بيّنا ذلك، وقد أخبرنا به ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الصفّار عن الحميري عمّن حدّثه، عن إبراهيم بن الحكم الأسـدي عـن أبيه عن شريك بن عبدالله عن عبد الأعلى التغلبي عن أبي وقّاص عن سلمان الفارسي[3].

---

١. الفهرست لابن النديم: ٤١٩.

٢. وفيات الأعيان ٤: ١٧٧ ـ ١٧٨.

٣. الفهرست للطوسي: ١٤٢ / ٣٣٨.

وألّف أبو ذرّ الغفاري جُندبُ بن جنادة (أحد الأركان الأربعة) خطبة يشرح فيها الأُمور بعد النبي ﷺ، أخبرنا بها الحسين بن عبيد الله عن الدوري عن الحسن بن علي البصري عن العبّاس بن بكّار عن أبي الأشهب عن أبي رجاء العُطاردي، وذكر الخطبة بطولها[1]. والظاهر أنّ العطاردي سجّل ما سمعه من أبي ذرّ من الأُمور التي حدثت بعد النبي ﷺ، كما إنّ (كتاب سليم بن قيس) دوّن فيه الوقائع التي وقعت بعد وفاة رسول الله ﷺ ممّا سمعه عن سلمان والمقداد وأبي ذرّ، لا في خصوص الإمامة كما ذكر السيّد شرف الدين[2]، وقد وصل إلينا (كتاب سليم بن قيس) بأُعجوبة.

وألّف عبيد الله بن أبي رافع كتاباً في قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاباً تسمية من شهد الجَمل وصِفّين والنهروان معه عليه السلام.

ووضع أبو الأسود الدُّؤَلي صاحب الإمام علي عليه السلام مبادئ علم العربية أخذها من الإمام علي عليه السلام، كما صحب الأئمّة الحسن والحسين وزين العابدين عليهم السلام، وهو من خواصّ أصحابهم، وشهد مع الإمام علي عليه السلام وقعتَي الجمل وصفّين، وهو بصري وُلد قبل الهجرة بستّ عشرة سنة وتوفّي بالبصرة سنة ٦٩ هـ، وهو أوّل من أعرب القرآن، وله ديوان شعر كبير، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم عقلاً، وقد أبلى في وقعة الجمل بلاءً حسناً، وبذلك نصرة مشكورة، وهو القائل يومئذ لعامل أمير المؤمنين:

يــابــن حــنيفٍ قــد أتــيتَ فــانفِرْ   وطــاعِنِ القــومَ وجــالدْ واصــبرْ[3]

---

١. الفهرست للطوسي: ٩٥ / ١٩٠.

٢. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام لعبد الحسين شرف الدين الموسوي: ١٦.

٣. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٢١ ـ ٢٢.

قال الأزهري في أوّل التصريح: وقد تظافرت الروايات على أنّ أوّل من وضع النحو أبو الأسود، وأنّه أخذه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال أبو عبيدة معمَّر بن المثنّى وغيره: أخذ أبو الأسود النحوَ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن خَلِّكان: وقيل لأبي الأسود: مِن أين لك هذا العلم؟ يعنون النحو، فقال: لُقِّنتُ حدوده من علي بن أبي طالب عليه السلام. ثمّ قال: وإنّما سمّي النحو نحواً لأنّ أبا الأسود قال: استأذنتُ علياً عليه السلام أن أضع نحوَ ما وضع[1].

ومثله ما قاله المعتزلي في أوّل (شرح نهج البلاغة)، قال: ومن العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأُصوله، من جملتها: الكلامُ كلُّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف. ومن جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجرّ والجزم. وهذا يكاد يُلحَق بالمعجزات؛ لأنّ القوّة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط[2].

ثمّ إنّ أوّل من أشار إلى تحرّك الأرض هو الإمام عليّ عليه السلام حيث قال في خطبته المعروفة بخطبة الأشباح، وهي (من خطب نهج البلاغة): [3]«فلمّا سكَنَ هَيجُ الماءِ من تحتِ أكنافِها وحَمْلِ شَواهقِ الجبالِ الشُّمَّخِ البُذَّخِ على أكتافِها فَجَّرَ ينابيعَ العيونِ مِن عَرانينِ أُنوفِها»، إلى أن قال: «وعدّلَ حركاتِها

---

١. مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٢٥.

٢. شرح نهج البلاغة ١: ٢٠ ـ المقدمة.

٣. نهج البلاغة ١: ١٧٤، الخطبة ٩١.

بالراسياتِ مِن جَلامِيدها».

وهذا صريح بأنّها تتحرّك حركة معتدلة، وفيه أشار إلى أنّ النبع يكون من الجبال كما يقوله أهل العصر، وقال عليه السلام[1]: «فَسَكَنَت (أي الأرض) على حركتها (أي على حركة الجبال) مِن أن تَميدَ بأهلِها، أو تَسيخَ بحِملِها».

وهذا كسابقه؛ لأنّ معناه أنّها مع حركتها سكنت من الميدان بسبب الجبال.

وقد أملى الإمام زين العابدين عليه السلام على ولده الباقر عليه السلام الصحيفة الكاملة في الدعاء، وهي زبور آل محمّد صلى الله عليه وآله، ومن قرأها يعرف بأنّ هذا الكلام في الدعاء والمناجاة لا يصدر إلّا من أهل بيت العصمة، وكتبها زيد عليه السلام عن أبيه من إملائه[2].

وقد ألّف أتباع أهل البيت عليهم السلام في شتّى فروع العلم والمعرفة المئات بل الآلاف من الكتب، يمكن الاطّلاع على مؤلّفاتهم بالرجوع إلى: رجال النجاشي، والفهرست للشيخ الطوسي، وبقيّة كتب الرجال. وقد ذكرنا أسماء بعض من المؤلّفين الذين دوّنوا الحديث وألّفوا في غيره ممّن عاش في هذا القرن، وقد ألّفوا في: تفسير القرآن وغريبه، والغزوات والسِّيَر، والزهد والمراد بالزهد تطبيق قوله تعالى: ﴿ **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾[3]، وعلم الطريقة، يقول ابن أبي الحديد ومن العلوم: علم الطريقة والحقيقة، وأحوال التصوّف. وقد عرفتَ أنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام، إليه ينتهون، وعنده

---

١. نهج البلاغة ٢: ١٩٢ـ١٩٣، الخطبة ٢١١.

٢. ينظر: مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام: ٣٠.

٣. سورة الحديد: ٢٣

يقفون وقد صرّح بذلك: الشِّبلي والجُنَيد وسَرِيّ وأبو زيد البِسطامي وأبو محفوظ الكرخي، وغيرهم.

ويكفيك دلالةً على ذلك الخرقةُ التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يُسندونها بإسناد متّصل إليه عليه السلام[1].

وهكذا اجتمع طلاب العلم ورُوّاده على الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام فسمعوا منه أنواع العلوم وألّفوا الكتب بذلك، وعندما جاء دور الإمام الصادق عليه السلام التف عليه روّاد العلم من أصحاب أبيه وغيرهم، فسمعوا منه الحديث وأستفادوا من علومه، وهم عليهم السلام خزّان علم الله وتراجمة وحيه.

حوادث الإحراق والدفن والفصل للحديث النبوي وكتب العلم في هذا القرن

أبوبكر يحرق خمسمائة حديث نبوي!

قالت عائشة: جمع أبي الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلّب كثيراً، قالت: فغمّني أمره، فقلت: أتتقلّب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح قال: أَي بُنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك. فجئتُه بها، فدعا بنار فحرقها، فقلت: لِمَ أحرقتها ؟ قال: خشيتُ أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني فأكون قد نقلت ذاك، فهذا لا يصحّ، والله أعلم[2].

---

١. شرح النهج البلاغة ١: ١٩ المقدّمة.

٢. تذكرة الحفّاظ ١: ٥.

نتساءل: أوّلاً ـ هل إنّ أبا بكر جمع تلك الأحاديث في عصر رسول الله ﷺ أو بعد وفاته ﷺ؟فإذا كان قد جمعها في أيّام حياته ﷺ، فهل جمعها بأمر منه ﷺ أم لا؟ أمّا الرواية فلا يستفاد منها أنّ أبابكرٍ جمع الأحاديث في عصر النبي ﷺ أو بعده، وإذا كان قد جمع تلك الأحاديث في عصر رسول الله ﷺ، فكان الواجب عليه أن يسأل رسول الله ﷺ عن تلك الأحاديث ويعرف الصحيح منها أو غير الصحيح، فيُبقي ما صحّحه رسول الله ﷺ ويَحذف الباقي. وإذا كانت الأحاديث كلّها صحيحة، كان الواجب عليه أن يحتفظ بها وهو القريب من رسول الله ﷺ، وكان الصحابة يرجعون إلى النبي ﷺ ويسألونه عن كلّ صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة. إذن فأبوبكر قصّر في عدم سؤاله رسولَ الله ﷺ عن تلك الأحاديث، ويحتمل قد سمعها من النبي ﷺ مباشرة. وإن كان قد دوّنها بعد رسول الله ﷺ، وهذا ما لا يستفاد من الحديث، فإن كان قد سمع النبيَّ وهو ينهي عن التدوين فتدوينه للحديث مخالفة، وإذا سمع النبي وهو يأمر بتدوين الحديث، فقد خالف رسول الله ﷺ أيضاً بإحراقه تلك الأحاديث. وإذا كان دوّن تلك الأحاديث بعد وفاة رسول الله ﷺ وقد سمع النبيَّ يأمر بمنع التدوين، فقد خالف النبيَّ بإحراقها. وقد روى النووي في (تهذيبه) قال: روى الصديق عن النبي ﷺ (١٤٢) حديثاً، أورد منها السيوطي في تاريخ الخلفاء (١٠٤)، والذي منها في البخاري ٢٢ حديثاً وفي مسلم حديث، وحديث في السنن الأربعة، وستّة في الترمذي، وحديث في أبي داود. ولعلّك لا تنسى أنّ أبا بكر كان نسّابة يحفظ أنساب القبائل كلّها، فإذا كان هو والحفظة قد عنى بحفظ

أحاديث الرسول لجاءتنا عنهم ثروة عظيمة [1] من الأحاديث التي لا يرقى إليها الشكّ، وإنّ ممّا يلفت النظر حقّاً أن نجد مثل أبي بكر على ما أُوتي من قوّة الحفظ ينصرف عن حفظ أحاديث رسول الله ﷺ وما حفظه منها لا يرويه، وما جمعه يعود فيحرقه.

ولا ندري كيف وصلت تلك الأحاديث ولم يحرقها؟! فإحراقه للأحاديث لا يستند إلى أيّ دليل شرعي، ولعلّه هو الذي توفّي في السنة الثالثة عشرة من الهجرة لثمان بقين من جمادى الآخرة فقام بعملية الإحراق في أُخريات أيّام حياته، لقوله لابنته عائشة حين رأته يتقلّب ليلته وقال: خشيتُ أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدّثني، فأكون نقلت ذلك. فقد نقل الأحاديث عمّن يثق به، ثمّ عدل عن التوثيق إلى الشكّ، ثمّ أحرق الأحاديث! ثانياً إنّ أبا بكر على هذا يحتاج إلى واسطة بينه وبين رسول الله ﷺ وهو الملازم لرسول الله ﷺ وملازمته للنبيّ لا تحتاج إلى واسطة بينه وبينه، خصوصاً لمن يدّعى أنه من أوائل من أسلموا وإذا كان الراوي ثقة مأموناً، فكيف نُسقط مروياته عن الاعتبار ولا نأخذ بها بمجرّد احتمال الكذب وإذا كان ذلك فلازمه إنكار حُجّيّة الثقة، فلا يمكننا الاعتماد على خبرِ أيِّ ناقل؛ لاحتمال الكذب فيه. والتخوّف من الكذب لا يسوّغ لأبي بكر إهمال الحديث، وكان ينبغي عرضها على النبي أو أصحابه ليتثبّت من صحّتها أو

---

١. ينظر: شيخ المضيرة أبو رية: ١٢٧.

عدمها، والعلم مطلقاً لا يستساغ محوه، فكيف بكلام النبي الكريم ﷺ! والمرويّات ممّا لا يجوز إحراقها بحال من الأحوال، خصوصاً وأنّ أكثرها ممّا فيه اسم الله وأحكامه التي لا يجوز إهانتها بتاتاً، وكان أمامه سبل أُخرى كمحوها بالماء أو دفنها في الأرض.

عمر يجمع الأحاديث النبوية ويأمر بإحراقها

روى الخطيب البغدادي بسنده عن القاسم بن محمّد، أنّ عمر بن الخطّاب بلغه أنّه قد ظهر في أيدي الناس كتب، فاستنكرها وكرهها وقال: أيّها الناس، إنّه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأَحبُّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يَبقينّ أحد عنده كتاب إلّا أتاني به فأرى فيه رأيي. قال: فظنّوا أنّه يريد ينظر فيها ويقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار! ثمّ قال: أُمنيّة كأُمنيّة أهل الكتاب[١]!

و عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر قال: إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطّاب، فأنشد الناسَ أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها[٢].

وعن يحيى بن جعدة قال: أراد عمر أن يكتب السُّنّة، ثمّ بدا له أن لا يكتبها، ثمّ كتب إلى الأمصار: مَن كان عنده شيء فَلْيَمحُه.[٣]

---

١. ينظر: تقييد العلم: ٥٢.

٢. طبقات ابن سعد ٥: ١٨٨.

٣. تقييد العلم ٥٢ ـ ٥٣، كنز العمّال ١٠: ٢٩٢ / ٢٩٤٧٦.

بحث مقتضب وتعليق

وردت أخبار كثيرة في منع عمر الصحابةَ عن تدوين الحديث وعن جمع السنن والآثار، وحظر عليهم رواية الحديث عن رسول الله ﷺ مطلقاً، وحبس أعلامهم في المدينة لكي لا يذيعوا الأحاديث في الآفاق.

فعن عبدالرحمن بن عوف قال: واللهِ ما مات عمر حتّى بعث إلى أصحاب رسول الله ﷺ فجمعهم في الآفاق: عبدالله بن حُذَيفة، وأبي الدرداء، وأبي ذرّ وعُقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الآفاق ؟! قالوا: أتنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت[1].

وأخرج الطبراني عن إبراهيم بن عبدالرحمن أنّ عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري، فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله. حبسهم بالمدينة حتّى استشهدوا[2].

ولا أدري أكان عمر ضنيناً على انتشار الحديث النبوي الذي هو بعد الكتاب في الرتبة والعمل، وحاجة الأُمّة إلى السنّة لا تقصر عن حاجتها إلى ظاهر الكتاب. وإذ كان رأى أُناساً لعبوا بوضع أحاديث على النبي الأقدس، فأراد قطع جرائم التقوّل عليه، فإن كان هذا أو ذاك فما ذنب مثل أبي ذرّ الذي

---

١. تاريخ دمشق ٤٠: ٥٠٠، كنز العمّال ١٠: ٢٩٢ ـ ٢٩٣ / ٢٩٤٧٩.

٢. المعجم الأوسط ٣: ٣٧٨، تذكرة الحفّاظ ١: ٧، مجمع الزوائد ١: ١٤٩ وصحّحه محشي الكتاب وقال: هذا صحيح عن عمر من وجوه كثيرة، وكان عمر شديداً في الحديث. ولمزيد الاطّلاع راجع: الغدير ٦: ٢٩٤ وما بعدها.

نوّه النبي ﷺ بصدقه بقوله: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء، على رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ»[١] ؟! أو مثل عبدالله بن مسعود، أو مثل أبي الدرداء. و لماذا لم يُحبَّ مجالستهم لمكانتهم من رسول الله ﷺ وما يتحلّون به من فضائل وعلم، إن قلنا: إنّه لم يحبسهم، ولا شكّ أنّ منفعتهم للدين والمسلمين خارج المدينة أكثر من منفعتهم أيّام بقائهم، لا سيّما الصحابة الذين كانوا في المدينة كثيرون، وبإمكان عمر أن يجالسهم ويستفيد منهم.

والروايات المتقدّمة يُستفاد منها أنّ رأي عمر في الأحاديث ـ سواء اعتمدنا على الرواية التي تقول أنّه حرّقها، أو الرواية التي تقول كتب إلى الأمصار يأمرهم بمحوها ـ هو عدم التدوين، ولا يخفى ما قد يترتّب على هذا من المفاسد التي لا تُتلافى أبداً[٢]. فليت أبابكر وعمرَ صبّرا نفسَيهما مع الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسائر الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه من آل محمّد ﷺ والخِيرة من أصحابه، فيحبسهم عليه السلام على جمع السنن والآثار النبوية وتدوينها في كتب يرثها عنهم مَن جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين فتابعيهم في كلّ خلف من هذه الأُمّة، شأن الذِكر الحكيم والفرقان العظيم، فإنّ في السنّة ما يوضّح متشابه القرآن، ويبيّن مجمله ويخصّص عامّه ويقيّد مطلقه، ويوقف أُولي الألباب على فهمه، فبحفظها حفظه، وبضياعها ضياع الكثير من أحكامه. فما كان أَولاهما بعناية أبي بكرٍ وعمر واستفراغ وسعيهما في ضبطها وتدوينها، ولو فعلا ذلك لعصما الأُمّة والسنّة من معرّة الكذّابين بما افتروه على

---

١. مسند أحمد ٢: ٢٢٣، مستدرك الحاكم ٣: ٣٤٢.

٢. النصّ والاجتهاد: ١٤٢.

رسول الله ﷺ، إذ لو كانت السنن مدوّنة منذ ذلك العصر في كتاب تقدّسه الأُمّة لأُرتج على الكذّابين باب الوضع، وحيث فاتهما ذلك كثرت الكذّابة على النبي ﷺ ولعبت بالحديث أيدي السياسة، وعاثت في السنّة الدعاية الكاذبة ولا سيّما على عهد معاوية وفئته الباغية، حيث سادت فوضى الدجّالين وراج سوق الأباطيل[1].

وقد التفت إلى ذلك سليمان بن عبد القوي بن سعيد بن الصفي، المعروف بابن أبي عبّاس الحنبلي الطوفي، المولود سنة ٦٥٧هـ والمتوفّى في رجب ببلدة الخليل سنة ٧١٦هـ[2]، فاتّهمه الحنابلة بالرفض حين كان بمصر، وضُرِب فتركها وسار إلى قوص وألّف فيها مكتبةً من مؤلّفاته ـ كما ورد ذلك في ترجمته[3].

قال ابن رجب في (طبقات الحنابلة) : لم يكن له يد في الحديث، وفي كلامه تخبيط كثير، وكان شيعياً منحرفاً من السنّة. وصنّف كتاباً سمّاه (العذاب الواصب على أرواح النواصب). قال : ومن دسائسه الخفية أنّه قال في (شرح الأربعين) : إنّ أسباب الخلاف الواقع بين العلماء تَعارضُ الروايات والنصوص، وبعض الناس يزعم أنّ السبب في ذلك عمر بن الخطّاب؛ لأنّ الصحابة استأذنوه في تدوين السنّة فمنعهم مع علمه بقول النبي ﷺ : اكتبوا لأبي شاة، وقوله ﷺ : قيّدوا العلم بالكتاب. فلو ترك الصحابةَ يدوّن كلٌّ منهم ما سمع من النبي ﷺ لأنضبطت السنّة، فلم يبق بين

---

١. النص والاجتهاد: ١٤٢ ـ ١٤٣.

٢. الدرر الكامنة ٢: ٢٤٩.

٣. أعيان الشيعة ٧: ٣٠١ ـ ٣٠٢.

آخـــر الأُمّـــة وبـين النـبي ﷺ إلّا الصـحابي الذي دُوّنت روايـته؛ لأنّ تـلك الدواوين كانت تتواتر عنهم كما تواتر البخاري ومسلم.[١]

كوفي يعلوه عمر بالدرّة[٢] فيعاهده على إحراق ما عنده من كتب

عن إبراهيم النخعي قال: كان بالكوفة رجل يطلب كتب دانيال، فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطّاب أن يُرفَع إليه، فلمّا قدم على عمر علاه بالدرّة، ثمّ جفل يقرأ عليه: ﴿ **الر تلك آياتُ الكتابِ المبين** ﴾، حتّى بلغ ﴿ **الغـافلين** ﴾ [٣]، قال: فعرفت ما يريد، فقلت: يا أمير دَعْني، فو اللهِ لا أدع عندي شيئاً من تلك

---

١. أعيان الشيعة ٧: ٣٠٢.

٢. الدرّة: الدرة بكسر الدال، عصا كان يحملها عمر لإقامة الحدود، ولها نوادر ذُكرت في صحاح الكتب والمسانيد، فقد روى مالك بن أنس في كتاب (الموطأ ٢: ٢/٧١٩) أنّ عمر ضرب يهودياً لأنه مدحه، أفيهودي يمدحه يستحق الضرب؟! وفي (المصنّف) لابن شيبة الكوفي ٦: ٢/٥٠٢، قال: حدثّنا أبو بكر قال: حدّثنا مسهر عن الشيباني عن حسان بن مخارق قال: بلغني أنّ عمر بن الخطاب ساير رجلاً في سفر وكان صائماً، فلّما أفطر أهوى إلى قربة لعمر فيها نبيذ قد خضخضها البعير، فشرب منها فسكر، فضربه عمر الحد، فقال له: إنّما شربتُ من قربتك، فقال له عمر: إني جلدتك لسكرك! وهنا يتبين الصبح لكل ذي عين، «فالخليفة» هو صاحب النبيذ والمالك لها، فلمّا جاء ذلك الصائم المسكين ليشرب منها ـ لأنها مِلك «للخليفة» و«الخليفة» مسلم! وقاعدة اليد جارية في هذه المسألة ـ فما كان من الخليفة إلّا أن يعاقب المسكين على سكره غير المتعمّد أصلاً، ونسي أن يعاقب نفسه إذ هو الحائز لذلك النبيذ. وهناك نوادر كثيرة وردت في مصادرها، ومن أراد التفاصيل فليراجعها: المحلّى لابن حزم ٣: ٣، وسنن الدرامي ١: ١٣٢ ـ ١٣٣، والسنن الكبرى للبيهقي ٩: ٢٨٠، والمصنَّف لعبد الرزّاق الصنعاني ٩: ٤٣٦، العقد الفريد ٣: ٤١٦، أحكام القرآن للجصّاص ٢: ٥٦٥، حاشية سنن البيهقي لابن التركماني ٨: ٣٠٦، كنز العمّال ٣: ١١٠، وغيرها.

٣. سورة يوسف: ١ ـ ٣.

الكتب إلّا أحرقتها[1].

وقد ذكرها الخطيب البغدادي بزيادة، وهاك نصَّها:

عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالساً عند عمر إذ أُتيَ برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان ابن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم. فضربه بقناة معه، فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟! فقال له عمر: اجلس. فجلس، فقرأ عليه: ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾[2]، فقرأ عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال له الرجل: مالي يا أمير؟! فقال: أنت الذي نسختَ كتاب دانيال؟ قال: مُرْني بأمرك أتّبعه، قال: انطلق فامحُه بالحميم والصوف الأبيض، ثمّ لا تقرأه ولا تُعِرْه أحداً من الناس، فلئن بلغني عنك أنّك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأُنهكنّك عقوبة! ثمّ قال له: اجلس. فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثمّ جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ: ما هذا في يدك يا عمر؟ قلت: يا رسول الله كتاب انتسخته لنزداد به علماً إلى علمنا. فغضب رسول الله ﷺ حتّى احمرّت وجنتاه، ثمّ نُودي بالصلاة جامعة، فقال الأنصار: أغَضِب نبيّكم ﷺ؟! السلاحَ السلاح. فجاؤوا حتّى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال: «أيّها الناس، إنّي أُوتيتُ جوامعَ الكلام وخواتيمه واختُصر لي

---

١. المصنّف للصنعاني ٦: ١١٤ / ١٠١٦٦، كنز العمّال ١: ٣٧٤ / ١٦٣٢.

٢. سورة يوسف: ١ـ٣.

اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية، فلا تتهوّكوا ولا يقربكم المتهوّكون».
قال عمر: فقمت فقلت: رضيتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً. ثمّ نزل رسول الله ﷺ[١].

فالرواية الأُولى تقول بأنّ الرجل كوفي، وأمّا الرواية الثانية فتذكر أنّ الرجل من أهل السوس، ولا ندري أي الروايتين أصحّ. ثمّ إنّ الرجل سواء إن كان كوفياً أو من أهل السوس، فقد ضربه عمر بالدرّة لأنّه كتب كتاب دانيال!

و لا أدري: أكتابة كتاب دانيال يستوجب أن يعاقب الكاتب ويعلوه عمر بالدرّة ويقيم عليه الحد؟! والحدود لها مقادير، فالإمام عليه السلام اطّلع على أعرابي يشتري من كوفي ثوباً بسبعة دراهم، واشترط عليه الكوفي أن لا يعطيه دراهم لا مغموزة ولا مقطوعة، وكان شرطهم ذلك، فأخذ الأعرابي الثوب وأعطى الكوفي درهماً مغموزاً من الدراهم، وعندما علم الإمام علي عليه السلام بما جرى بينهما، صاح: «معاشرَ المسلمين خذوه». فحملوه على الأعناق وجاؤوا به إلى مسجد الكوفة، فضربه الإمام علي عليه السلام أربع عشر درّة، هذا هو الحدّ الشرعي بلا زيادة ونقصان، ولا شكّ أنّ الإمام عليه السلام أخذ ذلك من الجامعة التي قال الإمام الصادق عليه السلام أنّ فيها: «جميع ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة، حتّى أنّ فيها أرشَ الخدش والجلدة ونصف الجلدة»[٢]، فكيف علاه عمر بالدرّة وضربه ثلاثاً؟!

فالرواية الأُولى فتقول بأنّه علاه بالدرّة، والثانية تقول بأنّه ضربه بقناة معه

---

١. تقييد العلم: ٥١ ـ ٥٢.

٢. الإرشاد ٢: ١٨٦، الاحتجاج ٢: ١٣٤، وعنهما في بحار الأنوار ٢٦: ١٨ / ١.

ثمّ ضربه ثلاثاً، ونحن لا ندري أنّ الحد على كتابة كتاب دانيال هل هو في الرواية الأُولى أو الثانية!

وأمّا دانيال فهو حكيم ونبي غير مرسل، وكتُبه كُتب حكمة وقد طبعت له المطابع كتاباً يذكر فيه بعض تنبؤات في رؤيا الهلال وفي حوادث الجو والطبيعة كالخسوف والكسوف وعلامات البرد والحرّ والشهور وكتابة هذه الأشياء التي يزداد بها الإنسان علماً لا تستوجب أن يضربه عمر عليها بالدرّة، بخلاف استنساخ التوراة والإنجيل إذ هما كتابان محرّفان. وأمّا عمر فقد استنسخ شيئاً من كتب أهل الكتاب، وكتب أهل الكتاب التوراة والانجيل، وكلاهما محرّفان، ولذلك منعه رسول الله ﷺ.

عمر يخرّق كتاباً فيه من علوم الفرس وكلاماً معجباً

قرّب عمر رجلاً وجد كتاباً عند فتح المدائن فيه كلام مُعجِب، حيث قال ذكر ابن أبي الحديد: أتى رجل من المسلمين إلى عمر فقال: لمّا فتحنا المدائن أصبنا كتاباً فيه علم من علوم الفرس وكلام مُعجِب فدعا بالدرّة فجعل يضربه بها، ثمّ قرأ: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ** ﴾[1] ويقول: ويلك! أقَصَص أحسن من كتاب الله تعالى؟! وقد أهلك مَن كان قبلك لأنّهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتّى دُرِسا وذهب ما فيها من علم[2].

---

١. سورة يوسف: ٣.

٢. شرح نهج البلاغة ١٢: ١٠١ ـ ١٠٢، كنز العمّال ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٤ / ١٦٣١.

وفي بعض الروايات جعل يضربها حتّى تمزّقت.

إنّ اتلاف كتب الضلالة أمرٌ مشروع بل واجب إذا كانت تقع في يد الجاهل أو مَن يُخشى عليه أن يفتتن بها، وللعالم أن يقتنيها للردّ عليها. وهذا الكتاب الذي وجده الرجل عند فتح فارس وفيه شيء من علوم الفرس وكلام معجب حسب الرواية، فإذا كان ما في ذلك الكتاب علم محض وكلامٌ معجب فضربه الكتابَ وتمزيقه يعدّ جنايةً على العلم، ثمّ إنّ الرجل لا ذنب له إذ جاءه بالكتاب الذي عثر عليه عند الفتح، فلماذا علاه بالدرّة؟!

عمر يأمر بإحراق كتب فارس

لمّا فتح المسلمون بلاد فارس كتب إليه سعد بن أبي وقّاص أن قد أصاب المسلمون من كتبهم، فأراد أن يستأذن عمر في شأن الكتب ونقلها للمسلمين، فكتب إليه عمر: اطرحوها في الماء، فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله تعالى بأهدى منها، وإن يكن ضلال فقد كفانا الله تعالى. فطرحوها في الماء أو في النار، فذهبت علوم الفرس[١].

إنّ الكتب التي عثر عليها المسلمون بعد الفتح الإسلامي لا شكّ أنّها كانت تمثّل حضارة الدولة الفارسية، فقد توغّل الفرس في العراق وحصلوا على الكثير من تراث البابليين والسومريين زيادة على ما كُتب من العلوم في العصر الإسلامي إلى فتح فارس، كما إنّ الفرس توغّلوا وحصلوا على تراث غير ما حصلوا عليه في العراق: كمصر والشام وتركيا واليونان وارمينيا

---

١. تاريخ ابن خلدون ١: ٤٨٠، كشف الظنون ١: ٦٧٩.

وآذربيجان وأفغانستان وباكستان والهند وجورجيا وأُوزبكستان وبلاد ما وراء النهر كافّة، فالعالم آنذاك كان مستعمراً لإمبراطوريّتين عظيمتين وهما: الإمبراطورية الفارسية والإمبراطوريّة اليونانية، والمستعمر يتصرّف بمستعمرته، فحضارات تلك البلدان ومؤلّفات علمائهم كان الكثير منها موجوداً في الامبراطورية الفارسية، وتلك الكتب تمثّل حضارة تلك البلدان في جميع فروع العلم: كالطب والهندسة والتاريخ وحكم الحكماء، وما شاكل ذلك من العلوم التي كانت شائعة آنذاك وعندما أمر عمر بطرح تلك الكتب في الماء أو إحراقها كان قد جنى على أفكار العلماء وأتلف ثمرات عقولها، ولو وصلت تلك الكتب إلى روّاد العلم لانتفع بها العلماء خير انتفاع، وكم ترك الأوّل للآخر، وعمر جنى على عقول الأوائل.

وقال ابن خلدون في تاريخه: فالعلوم كثيرة، والعلماء في أُمم النوع الإنساني متعدّدون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر ممّا وصل، فأين علوم الفرس التي أمر عمر بمحوها عند الفتح[1]!

فتح مصر

توجّه جيش المسلمين في السنة التاسعة عشرة للهجرة أو العشرين ـ بعد فتح بيت المقدس ـ إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص في ثلاثة آلاف وخمسمائة على رواية البلاذري[2]، وأمّا اليعقوبي فيذكر أنّ عدد الجيش كان

---

١. تاريخ ابن خلدون ١: ٣٨.

٢. ينظر: فتوح البلدان للبلاذري ١: ٢٤٩.

أربعة آلاف، فسار عمرو بن العاص من تلقاء نفسه إلى مصر لفتحها[1]. أمّا السيوطي فذهب إلى القول بأنّ ابن العاص سار بأمر من عمر، وكان سبب فتح مصر أنّ عمرو بن العاص اجتمع بعمر بن الخطّاب سنة ثماني عشرة وقدّم عمر بن الخطّاب الجابية، فقام إليه عمرو بن العاص[2] فخلا به فقال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أسير إلى مصر؟ وحرّضه عمرو عليها وقال: إنّك

---

١. ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ١٤٧ ـ ١٤٨.

٢. عمرو بن العاص بن وائل، أبوه العاص جزّار قريش وقد أُلحق به، ولّاه عمر على قيادة الجيش لفتح مصر، فتح مصر سنة عشرين للهجرة، حضر وقعة صفّين مع معاوية، وقد برز يوم صفّين وبرز إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرج عمرو سَوءتَه! فصرف أمير المؤمنين وجهه عنه. يقول الشاعر في ذلك:

أفي كلِّ يومٍ فارسٌ تَندبونَه ... به عورةٌ وسطَ العُجاجة بادية

(شرح ابن أبي الحديد ٨: ٩٦).

و قال أبو فراس الحمداني:

و لا خيرَ في دفعِ الردى بمذلّةٍ ... كما ردّها يوماً بسَوءَته عَمْرو!

(مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٦٠، شرح ابن ميثم البحراني ٢: ٢٧٢).

وهو الذي أعدّ حيلة رفع المصاحف لمعاوية، فاختاره معاوية للتحكيم لَمّا اختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يريد اختيار ابن عبّاس فلم يوكله أهل العراق في ذلك، وقد حدث ما حدث من أمر التحكيم. وكان قد طلب من معاوية إذا تمّ له الأمر أن يولّيه مصر ويعطيها إليه طعمة، وكتب إليه يطالبه بذلك، فأقرّه معاوية على ولاية مصر ولم يزل بها أميراً إلى أن مات يوم عيد الفطر سنة ٤٣ هـ. قال ابن ميثم البحراني في كتابه (شرح نهج البلاغة): كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص: «مِن عبدالله علي أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص شانئ محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله في الجاهلية والإسلام، سلام على مَنِ اتّبع الهدى، أمّا بعد: فإنّك قد جعلتَ دِينَك تَبَعاً لِدُنيا امرئٍ ظاهرٍ غَيُّه، مهتوكٍ سِترُه، يشين الكريمُ بمجلسه، ويُسفِّه الحليمَ بخِلطته، فاتّبعتَ أثَرَه، وطَلَبتَ فضله، اتّباع الكلب للضرغام، يلوذُ بمخالبه وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته...» (شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٥: ٨٥، الكتاب ٣٩).

إن فتحتها كانت قوّة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأهلها أعجزهم عن القتال والحرب. فتخوّف عمر بن الخطّاب على المسلمين وكره ذلك، فلم يزل عمرو بن العاص يعظّم أمرها عند عمر بن الخطّاب ويخبره بحالها ويهوّن عليه فتحها، حتّى ركن عمر بن الخطّاب لذلك، فأذن له في المسير. وسبب قوّة رجاء عمرو ابن العاص في أنّ الله يفتح مصر على يديه قصّة جرت له في أيّام الجاهلية[١].

وكان مسير عمرو إلى مصر في سنة تسع عشرة، فنزل العريش ثمّ أتى الفرماء وبها قوم مستعدّون لِلقتال وعلى رأسهم المقوقس، فحاربهم فهزمهم وحوى عسكرهم، ومضى قدماً إلى الفسطاط فنزل جنان الريحان، وقد خندق أهل الفسطاط، وكان اسم المدينة البونة، فسمّاها المسلمون فسطاطاً لأنّهم قالوا: هذا فسطاط القوم ومجمعهم، وقوم يقولون إنّ عَمراً ضرب بها فسطاطاً فسُمِّيت بذلك[٢]. وجاء المدد إلى المسلمين من المدينة في عشرة آلاف ويقال في اثني عشر الفاً، ومعهم: الزبير بن العوام وخارجة بن حذافة العدوي وعمير بن وهب الجمحي. والذي يظهر في رواية البلاذري أنّ حصناً كان في الفسطاط علاه الزبير بسُلّم صَعِد عليه حتى أوفى وهو مجرِّد سيفه، فكبّر وكبّر المسلمون واتبعوه، ففتح الحصن عنوة على يديه، واستباح المسلمون ما فيه. وقد اختلف المؤرّخون، فمنهم مَن قال:

---

١. ينظر: الفتوحات الإسلامية لأحمد بن زيني دحلان ١: ٦٥. والرواية واضحة الوضع، وإن صحت فإنّ الله ينصر دينه ولو بالرجل الفاسق، وقد ذكرها السيوطي أيضاً في (حسن المحاضرة)، والرواية طويلة لا يسع المجال لذكرها.

٢. ينظر: فتوح البلدان للبلاذري ١: ٢٤٩.

إنّ مصر فُتِحت عنوة، وقيل: فُتحت صلحاً، وقيل: فُتح بعضها عنوة وفتح بعضها صلحاً[1].

وسار الجيش من الفسطاط يريد الاسكندرية، وصارت لهم القبط أعواناً، واستعدت الروم وجاشت، وقدم إليهم من أرض الروم جمع عظيم، ثمّ التقوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، ثمّ هزمهم الله، ثمّ التقوا بالكربون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوماً، ثمّ فتح الله يومئذ على المسلمين، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة حتّى بلغوا الإسكندرية.

فتح الإسكندرية

لمّا فتح عمرو بن العاص مصر أقام بها، ثمّ كتب إلى عمر بن الخطّاب يستأمره في الزحف إلى الإسكندرية، فكتب إليه يأمره بذلك، فسار إليها في سنة إحدى وعشرين واستخلف على مصر خارجة بن حذافة بن غانم، وكان من دون الإسكندرية من الروم والقبط قد تجمّعوا له، وقالوا: نغزوه بالفسطاط قبل أن يبلغنا ويروم الاسكندرية، فلقيهم بالكربون وقتل مقتلة عظيمة[2]. وقد استخلف عمرو بن العاص على الفسطاط ـ عندما سار لفتح الإسكندرية ـ عبدَالله بن حذافة. وكانت في الإسكندرية منارة هي من عجائب الدنيا، فيها مرآة ينظرون فيها إلى تحرّكات جيوش الروم في القسطنطينية، وقد ذكرها الحموي في (معجم البلدان)[3]، وذكر عجائبها

١. ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي ١: ٦٦.

٢. ينظر: فتوح البلدان للبلاذري ١: ٢٥٩.

٣. معجم البلدان ١: ١٨٦.

السيوطي، وقد بقيت إلى زمن الوليد ثمّ احتال الروم في هدمها[١].

مكتبة الإسكندرية منذ تأسيسها حتّى فتح الإسكندرية

إنّ هذه المكتبة سُمّيت بدار آثار الإسكندرية وكلّيتها العلمية، أقام جدرانها (بطليموس سوتير) في أجود بقاع الإسكندرية هواءً وأحسنها منظراً ورواءً، وقد أُنشئت هذه المكتبة قبل الميلاد بثلاثمائة سنة، وأتمّ بناءَها ابنه (بطليموس فيلادلف) السالك على قدم أبيه، بأحسن طراز على أيدي الصنّاع الماهرين والمهندسين العظام، وقد حشر إليها من نفائس الكتب وذخائر مجهودات العقول وجواهر القرائح والأفكار مما يُدهش الواقفَ عليها والمطالع لأخبارها. والغرض من إقامة معالم هذه الدار ثلاثة أُمور:

١. صيانة ثمرات العقول والأفكار الإنسانية من أن تغتالها أيدي الضياع أو تعبث بها أنامل التبديل والمسخ.

٢. إنماء تلك الثمرات واستثمار فوائدها على مقتضى ناموس الترقّي.

٣. نشرها بين العالم وإشرابها للعقول لتحسين حال الحياة الإنسانية.

وكان الغرض من إنشاء هذه المكتبة إيصال الثقافة اليونانية إلى بلاد مصر، وكان ممّا يسّر لهذا الملك بلوغَ مرامه أنّه أحاط نفسه بجمهرة من العلماء والأُدباء الذين لمع نجمهم في ذلك العصر فقرّبهم من نفسه، وأرسل

---

١. ينظر: حسن المحاضرة ١: ٤٣.

الفلاسفة المقيمين في جميع بلاد اليونان، مَثَلُه في هذا الباب مَثَلُ الإسكندر الكبير مِن قَبله. وطوّرها(بطليموس الثاني ٢٨٥ ـ٢٤٦ق.م)،(وبطليموس الثالث ٢٤٦ ـ ٢٢١ق.م)، وولّى (بطليموس) أمر المكتبة رجلاً يُعرف بابن مرّة(زميرة)، وتقدّم إليه بالاجتهاد في جمع الكتب لها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها وترغيب تجّارها، ففعل. ثمّ قال الملك لعامله زميرة: هل بقي في الأرض من كتب العلم ما لم يكن عندنا؟ فقال له زميرة: قد بقي في الدنيا شيء في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وسند الروم. فعجب الملك من ذلك، وقال له: دُم على التحصيل، فلم يزل على ذلك إلى أن مات الملك[1].

وقد أُحرقت المكتبة قبل الميلاد بثمان وأربعين سنة، فلقد جاء إلى الإسكندرية (يوليوس قيصر) فاتحاً بإسطول وجيش، وكان ممّا توسّل به هذا الفاتح لإحراز النصر أن أشعل النيران فيها، وأرسل ما يزيد على مائة وعشرين سفينة من الأسطول المصري الراسي في ميناء الإسكندرية ليمنع بذلك أصحابه من الاستفادة منها، فعمل الريح في اتّساع مدى هذا الحريق فأُتلفت دار الصناعة أي صناعة السفن كما أُحرق ما جاورها من المباني. وذكر (بلو تارك) أنّ من بين هذه المباني التي دمّرها الحريق مكتبة الاسكندرية العظمى، وكانت هذه المكتبة تحوي نحواً من أربعمائة ألف لفّافة منوّعة ومن نحو سبعين لفّافة مفردة والمراد باللفّافة: ما حوت مصنّفاً واحداً لمؤلّف واحد والمنوّعة: خلاف ذلك، فإنّ لفّافتها الواحدة تحوي

---

١. أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي: ٢٣٢.

جملة كتب فهي كالمجموع الخطّي في عرفنا اليوم. وكانت الإسكندرية تحوي مكتبة ثانية، وهي التي أسّسها ـ على أرجح الأقوال ـ (بطليموس الثاني)، وكان في أيّام عزّها زهاء ثلاثة وأربعين ألفَ كتاب من لفائف البردي، وقد تعرّضت هذه المكتبة إلى التدمير في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد، حيث هُدّم معبد (السرابيوم)، ثمّ امتدّت يد التدمير إليها فنُقل بعض كتبها إلى مدينة القسطنطينية وأُتلف بعض آخر وتشتّت الباقي. كان ذلك في سنة ثلاثمائة وإحدى وتسعين بعد الميلاد، وفي ذلك السنة دخلت مكتبة (السرابيوم) في خبر كان، وهذا الحادث يؤيّده جملة من المؤرّخين اليونان.

والظاهر من كثير من المؤرّخين أنّ مكتبة الإسكندرية أُعيد تأسيسها بعد وقوع الحريق الثاني سنة ٣٦٦ بعد الميلاد، فجُمعت إليها الكتب الكثيرة أيّام البطالسة واستمرّت في النمو إلى الفتح الإسلامي.

وقد ذكر إسماعيل مظهر[١] بعد أن عرض لأقوال بعض العلماء في إمكان تحويل المعادن إلى ذهب، وأنّ علوم اليونان انتقلت إلى مدرسة الإسكندرية، وتوسّع الكهنة الذين كانوا يدرسون العلوم في الاشتغال بعلم الكيمياء، وزعموا أنّهم حوّلوا المعادن إلى ذهب في أوّل عصور المسيحية كثيراً من مجئ الاستطلاع والطامعين في الغنى العاجل، حتّى اضطُرّ الإمبراطور (سارويس) و(دويو قلنانوس) أن يأمرا باعدام كلّ كتب الكيمياء، لكن نجت منها طائفة وصلت إلى يد العرب.

---

١. في تاريخ الفكر العربي: ٧٨.

مكتبة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامي

لمّا فتح عمرو بن العاص الإسكندرية اتّصل به يحيى النحوي المصري الإسكندراني (تلميذ شاواري)، وكان أُسقفاً في كنيسته الاسكندرية بمصر ويعتمد مذهب النصارى اليعقوبية، ثمّ رجع عمّا يعتقده النصارى في التثليث لمّا قرأ كتب الحكمة واستحال عنده جعلُ الواحد ثلاثة والثلاثة واحد. ولمّا تحقّقت الأساقفة بمصر رجوعه عزّ عليهم ذلك فاجتمعوا إليه وناظروه، فغلب عليهم وزيّف طريقتهم، فعزّ عليهم جهله واستعطفوه وآنسوه وسألوه الرجوع عمّا هو عليه وتركَ إظهار ما تحقّقه، وناظرهم عليه فلم يرجع، فأسقطوه عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت. وعاش إلى أن فتح عمرو بن عاص مصر والإسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى له مع النصارى، فقال له عمرو: وما الذي تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة في الخزائن الملوكية، وقد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون إليها ولا نفع لكم بها، فقال له: ومَن جمع هذه الكتب وما قصّتها؟ فقال له يحيى: إنّ (بطليموس فيلادلفوس) من ملوك الإسكندرية لمّا ملك حبّب إليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن فجُمعت؛ أمّا بقيّة رواية القفطي التي ذكرناها في عنوان مكتبة الاسكندرية عند فتح الاسكندرية ففيها:

وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كلّ من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم إلى وقتنا هذا، فاستكبر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه، وقال: لا يمكنني أن آمر فيها بأمر إلّا بعد استئذان عمر بن الخطّاب. وكتب

إلى عمر وعرّفه قول يحيى الذي ذكرناه، واستأذنه ما الذي يصنع فيها، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأمّا الكتب التي ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدّم بإعدامها[١]!

تعليق على رأي عمر في المكتبة

كتب ابن العاص إلى عمر يأخذ رأيه في أمر المكتبة، وهكذا فعل ابن العاص بما هو متعارض من رجوع القائد إلى الخليفة، فأجابه عمر بقوله: أمّا الكتب التي ذكرتها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب عنها غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها. وكان الأولى بعمر أن يستشير المسلمين في مصير المكتبة، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾[٢]، و ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[٣]. والإسلام يريد من الخليفة أن لا يستبدّ في إصدار الأمر، لِما في ذلك من وجود مفسدة، خصوصاً إذا أشار الخليفة بغير الصواب، فتقع اللائمة عليه، وبخلافه إذا استشار المسلمين. وعمر لم يعمل بالاستشارة التي استعملها رسول الله صلّى الله عليه وآله فقد استشار المسلمين يوم بدر وأُحد وغيرهما من الوقائع. ولا شكّ أنّ أمر المكتبة يهمّ المسلمين، فهي مكتبة تضمّ حضارة الرومان في جميع جوانبها، فالمكتبة مكتبة عامّة وما فيها من رقائق ورفوف هو نتاج لعقول آلاف العلماء، والإسلام في مِثل

---

١. أخبار العلماء في أخبار الحكماء للقفطي: ٢٣٣.

٢. سورة آل عمران: ١٥٩.

٣. سورة الشورى: ٣٨.

هذه المكتبة حكمه الخاصّ، فهو يحرّم اقتناء كتب الضلال خصوصاً على عوامّ الناس، أمّا العالم فله أن يقتني تلك الكتب من أجل أن يردّ عليها، فكان على عمر أن يأمر ابن العاص بعزل كتب الضلال وإبقاء ما في المكتبة من كتب العلم والأدب والفلسفة والحكمة والهندسة والرياضيات والفلك، وغير ذلك من العلوم التي كانت شائعة عند اليونان آنذاك، من أجل أن يستفيد منها المسلمون، ولكنّه لم يعمل بالقاعدة، فأمر قائده عمرو بن العاص بإتلاف المكتبة، كما في رواية القفطي، فرأي عمر لا يقف أمام النقد.

قال الأميني: ليس النظر في كتب الأوّلين على إطلاقه محظوراً، ولاسيّما إذا كانت كتباً علميّةً أو صناعيّة أو حِكَميّة أو أخلاقيّة أو طبّية أو فلكيّة أو رياضيّة إلى أمثالها، وأخصّ منها ما كان معزوّاً إلى نبيٍّ من الأنبياء عليهم السّلام كدانيالَ إن صحّت النسبة ولم يطرقه التحريف ـ نعم، إذا كان كتابَ ضلال من دعاية إلى مبدأٍ باطل، أو دين منسوخ، أو شبهةٍ موجَّهة إلى مبادئ الإسلام، يحرم النظر فيه للبسطاء القاصرين عن الجواب والنقد، وأمّا مَن له منّة الدفع أو مقدرة الحِجاج فإنَّ نظره فيه لإبطال الباطل وتعريف الناس بالحقِ الصراح من أفضل الطاعات.

و لا منافاةَ بين كون القرآن أحسنَ القَصص وبين أن يكون في الكتب عِلمٌ ناجع، أو حكمةٌ بالغة، أو صناعةٌ تفيد المجتمع، أو علومٌ يستفيد بها البشر، وإن كان ما في القرآن أبعدُ من ذلك مغزىً، وأعمق منتهى، وأحكم صنعاً، غير أنَّ قِصر الأفهام عن مغازي القرآن الكريم ترك الناس لا يستنبطون تلك العلوم، مع إخباتهم إلى أنّه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، فالمنع عن النظر في تلك الكتب جنايةٌ على المجتمع وإبعادٌ عن العلوم، وتعزير الناظر

فيها لا يساعده قانون الإسلام العامّ كتاباً وسنَّة.

و اللهُ يعلم ما خَسِره المسلمون بإبادة تلك الثروة العلميّة في الإسكندريّة وتشتيتها في بلاد الفرس من حضارة راقية، وصنايع مستطرفة لا ترتبطان بهدًى أو ضلال كما حَسِبه «الخليفة» في كتب الفرس، ولا تناطان بموافقة الكتاب أو مخالفته كما زعمه في أمر مكتبة الإسكندرية العامرة، وما كان يضرُّ المسلمين لو حصلوا على ذلك الثراء العلمي؟! فأوقفهم على ثروة ماليّة، وبَسطةٍ في العلم، وتقدّمٍ في المدنيّة، ورقيٍّ في العمران، وكمالٍ في الصحّة، وكلٌّ منها يستتبع قوّةً في المُلك، وهيبةً عند الدُّول، وبذخاً في العالم كلّه، وسَعةً في أديم السلطة، فهل يفتّ شيءٌ من ذلك في عضد الهدى، أو يثلم جانباً من الدِّين؟! نعم أعقب ذلك العمل الممقوت تقهقراً في العلوم، وفقراً في الدنيا، وسمعةً سيئةً لحقت العروبة و الإسلام، وفي النقّاد مَن يحسبه توحّشاً، وفيهم من يعدُّه من عمل الجاهلين، ونحن نكل الحكم فيه إلى العقل السليم والمنطق الصحيح.

على أنّ «الخليفة» كان يَسَعه أن ينتقي من هذه الكتب ما أوعَزْنا إليه ممّا يُنجع المجتمع البشري، ويُتلف ما فيه الإلحاد والضَّلال، لكنّه لم يفعل، ومضى التاريخ كما وقعت القصَّة.[١]

ومثله قول عمر عند مرض النبي ﷺ: حَسْبُنا كتابُ الله! فقد جاء في (صحيح البخاري) بسنده إلى عبيد الله بن عبدالله بن مسعود عن ابن عبّاس قال: لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبي ﷺ:

---

١. الغدير ٦: ٣٠١ـ٣٠٢.

«هَلُمّ أكتبْ لكم كتاباً لا تَضلّوا بعده»، فقال عمر: إنّ النبي قد غلب عليه الوجع! وعندكم القرآن، حَسْبُنا كتاب الله. فاختلف مَن في البيت فاختصموا، منهم مَن يقول: قرّبوا يكتبْ لكم النبي كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم ﷺ: «قوموا». قال: عبدالله بن مسعود: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزية كلَّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم[1]!

وروى البخاري في: باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من (صحيحه) قال: حدّثنا قبيصة عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس أنّه قال: يوم الخميس! وما يوم الخميس!! ثمّ بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال: واشتدّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس. وفي الرواية قال عمر: هجر رسول الله![2] وكأنّه لم يسمع قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ** ﴾[3] وقوله: ﴿ **إنَّه لَقولُ رَسُولٍ كريمٍ * وما هوَ بقول شاعرٍ قليلاً ما تُؤمِنُون** ﴾[4] و ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى** ﴾[5].

ومِثل رأي عمر في مكتبة الإسكندرية رأيه في كتب الفرس، فإنّ الأحكام الإسلامية لا تُؤخذ من القرآن فقط، بل من القرآن والسنّة، فالقرآن والسنّة، كما في الحديث المعروف بالثقلين، فالقرآن ملازم للعترة والعترة ملازمة للقرآن، وعدم الضلال يكمن في التمسّك بهما. وحديث الثقلين يُعدّ من

---

١. صحيح البخاري ٧: ٩.

٢. صحيح البخاري ٤: ٣١، وعنه في النصّ والاجتهاد ١٥٠ ـ ١٥١.

٣. سورة التكوير: ١٩، ٢٠.

٤. سورة الحاقة: ٤٠، ٤١.

٥. سورة النجم: ٢، ٣.

أشهر الأحاديث التي رواها الفريقان، ولفظه حسب رواية زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتابَ الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدا علَيّ الحوض»، وقد ورد هذا الحديث في جملة من نصوص العامّة[١]، وعشرات المصادر من الفريقين تذكر الحديث بلفظ (وعترتي أهل بيتي)، فذِكر أهل البيت معناه ذكر للسنّة؛ لأنّهم لا يأتون إلّا بها، فكلُّ ما عندهم مأخوذ بواسطة النبيّ ﷺ أي بواسطة السنّة، ومَن روى الحديث بلفظ (وسُنّتي) لا نعرف له وجهاً؛ لأنّ حديث التمسّك بالثقلين متواتر في جميع طبقاته، والكتب التي حفلت به أكثر من أن تحصى[٢].

وإذا كان النبيّ ﷺ قد قال: وسنّتي ـ على رواية مالك فالنَّبي ﷺ قد خلّف سنّته عند هذه الأُمّة، أفتُدوَّن السنّة ثمّ تُحرق وتُغسل؟! فإلى مَن ترجع الأُمّة بعد ذلك؟! فإن قالوا إلى حفظ الحفّاظ، فالحافظ وإن حفظ الحديث النبوي وحَفِظه من بعده تلميذه، فلابدّ أن تقع الزيادة والنقصان في الحديث، وبذلك يقع الاختلاف الذي خشي منه عمر. ولو أنّ حفّاظ القرآن ماتوا بطاعون جارف أو بحرب ضروس ـ كما حصل واقعة في الحَرّة[٣] حيث قُتل

---

١. مسند أحمد ٣: ١٤، والمعجم الكبير للطبراني ٣: ٦٥ ـ ٦٦ / ٢٦٧٩، وكنز العمّال ١: ١٨٦ / ٩٤٤.

٢. الأُصول العامّة للفقه المقارن: ١٧١.

٣. ينظر دائرة المعارف الإسلامية ٧: ٣٦٣: إنّها وقعت سنة ٦٣ هـ، وكان أهل المدينة قد ثاروا على عثمان بن محمّد بن أبي سفيان عامل يزيد بن معاوية، بعد أن رأى بعضُ أهل المدينة مِن يزيد ما لا يصلح، وقال صاحب (أُسد الغابة ٣: ١٤٧): فخلعوا يزيد بن معاوية وبايعوا لعبد الله بن الزبير، فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي، وهو الذي سماه الناس بعد واقعة الحرة مجرماً، فأوقع في أهل المدينة وقعةً عظيمة!

فيها سبعمائة صحابي فإلى مَن ترجع الأُمّة؟! وهذه نكبة واضحة على الإسلام والكتاب والسنّة.

و حصل ما حصل في أمر مكتبة الاسكندرية وكتب الفرس، ولا شكّ أنّ الهداية من الضلال تأتي بالتمسّك بالكتاب والعترة والسنّة النبوية الشريفة، وهي قول المعصوم أو فعله أو تقريره، وهي أوضح من أن يطول فيها الحديث، ولولاها لما اتّضحت معالم الإسلام، ولَتعطّل العمل بالقرآن، ولَما أمكن أن يُستنبط منه حكم بكلّ ما له من شرائط وموانع؛ لأنّ أحكام القرآن لم يرد أكثرها لبيان جميع خصوصيات ما يتّصل بالحكم، وإنّما هي واردة في بيان أصل التشريع، فقلّما تجد فيه حكماً واحداً قد استكمل جميع خصوصياته قيوداً وشرائط وموانع. مثال ذلك هذه الآيات المباركة:

﴿ **أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾[١]، ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾[٢]، ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾[٣].

كما قد ورد في الروايات أنّه لابدّ لله من حُجّةٍ بعد الرسل، والحجّة لابدّ أن يكون معصوماً كعصمة النبي ﷺ؛لأنّه حافظ للشرائع كالنبي ﷺ، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام لابدّ لله مِن حجّة: إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا باطناً مستوراً[٤].

والحجّة بعد النبي ﷺ يبيّن كلّ ما جاء به القرآن والنبي ﷺ من أحكام وسنن. ولمّا كان الكتاب العزيز فيه ظاهر وباطن ومُحكم ومتشابِه وناسخ ومنسوخ،

---

١. سورة البقرة: ٤٣.

٢. سورة البقرة: ١٨٣.

٣. سورة آل عمران: ٩٧.

٤. إرشاد القلوب ٢: ٣١٤، وعنه في بحار الأنوار ٣٠: ٨١.

فلا يمكن أن تُوكل معرفة ظاهر القرآن وناسخه ومنسوخه إلى عامّة الناس بعد النبي ﷺ، وإذا كانت مهمّة الحجّة ـ ونعني به الإمام ـ فلابدّ أن يكون أعلمَ الناس بالأحكام وظواهر القرآن وبواطنه بعد النبي صلّى الله عليه وآله، وأعلمُ الأُمّة باتّفاق الفريقين هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو منصوب من الله بعد رسول الله ﷺ لبيان ظاهر القرآن وباطنه ومحكمه ومتشابهه وعامّه وخاصّه، ويجري ذلك في الأئمّة المعصومين عليهم السلام وآخِرهم الحجّة ابن الحسن المهديّ عليه السلام، وقد عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام (باطناً مستوراً). وبهذه الطريقة تَوصّل منصور بن حازم صاحب الإمام الصادق عليه السلام إلى الاعتقاد بإمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ الحسن عليه السلام ثمّ الحسين عليه السلام ثمّ علي بن الحسين عليهما السلام ثمّ الباقر عليه السلام، وقال للإمام الصادق عليه السلام: ثمّ أنت. وبهذه الطريق تبصّر[1].

---

١. روى الكشّي في (رجاله ٢: ٧١٨ـ٧١٩ / ٧٩٥): عن جعفر بن محمّد بن أيوب، عن صفوان، عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله (ع): إنّ الله أجلُّ وأكرم مِن أن يُعرف بخَلقه، بل الخَلقُ يُعرَفون بالله، قال: «صدقت»، قلت له: مَن عرف أنّ له رباً فقد ينبغي أن يعرف أن لذلك الربّ رضىً وسخطاً، وإنّه لا يعرف رضاه وسخطَه إلّا رسول الله لمن لم يأتِه الوحي، فينبغي أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة وأنّ لهم الطاعة المفروضة، فقلت للناس: أليس تعلمون أنّ رسول الله ﷺ كان هو الحجّةَ من الله على خلقه؟ قالوا: بلى، قلت: حين مضى رسول الله ﷺ مَن كان الحجة؟ فقالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئيّ والقَدَريّ والزنديق الذي لا يؤمن به، حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجةً إلّا بقيّم، ما قال فيه من شيء كان حقاً، فقلت لهم: مَن قيّم القرآن؟ فقالوا: إبن مسعود قد كان يعلم وحذيفة يعلم، قلت: كلّه؟ قالوا: لا. فلم أجد أحداً، فقالوا: إنه ما كان يعرف ذلك كلّه إلّا عليّ عليه السلام وإذا كان الشيء بين القوم، وقال: هذا لا أدري! وقال: هذا لا أدري! وقال: هذا لا أدري! ولم يُنكَر عليه، كان القول قوله، وأشهد أنّ علياً عليه السلام كان قيّمَ القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان حجّةً على الناس بعد ←

و عمر أرجع أمر الأُمّة إلى الكتاب دون السنّة ، وهذا مخالف لما عليه النصوص العامّة وعملُ المسلمين ، من ذلك حديث الثقلين.

مكتبة الإسكندرية في المصادر القديمة والمتأخّرة

ذكروا أنّ أوّل مَن ذكر المكتبة من المؤرّخين أبو الفرج الملطي المتوفّى

← رسول الله ﷺ وأنّه ما قال في القرآن فهو حق، فقال: «رحمك الله»، فقلت: إنّ عليا عليه السلام لم يذهب حتى ترك حجةً مِن بعده كما ترك رسول الله ﷺ وإنّ الحجة بعد علي عليه السلام الحسن بن علي عليهما السلام وأشهد على الحسن عليه السلام أنّه كان حجّةً و أنّ طاعته مفروضة، فقال: «رحمك الله». فقمت وقبّلت رأسه، قلت: أشهد على الحسن أنّه لم يذهب حتى ترك حجة مِن بعده كما ترك أبوه وجدّه، و أنّ الحجة بعد الحسن الحسين، وكانت طاعته مفروضة، فقال: «يرحمك الله»، فقبلت رأسه وقلت أشهد على الحسين عليه السلام أنّه لم يذهب حتى ترك حجة مِن بعده، كما ترك أبوهُ و أنّ الحجة من بعده عليُّ بن الحسين، وكانت طاعته مفترضة، وقال: «رحمك الله»، فقبلت رأسه وقلت: وأشهد أنّ عليّ بن الحسين لم يذهب حتى ترك حجة من بعده، و أنّ الحجة من بعده محمّدُ بن علي أبو جعفر، وكانت طاعته مفترضة، فقال: «رحمك الله». فقلت: أعطني رأسك أقبّلْه. فضحك، قلت: أصلحك الله، وقد علمتُ أنّ أباك لم يذهب حتى ترك حجة من بعده كما ترك أبوه، وأشهد بالله أنّك الحجّة وأنّ طاعتك مفترضة، فقال كُفَّ رحمك الله، قلت: أعطني رأسك أقبّلْه. فقبلت رأسه فضحك، ثم قال: «سلني مما شئت، فلا أنكرك بعد اليوم أبداً».

وهكذا انتقل ذلك الميراث من معصوم إلى معصوم، ومن مسدَّد إلى مسدد، وهو موجود عند الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن (عج). وأما أحاديثهم وعلومهم فقد دوّنها وتناقلها أصحابهم واحداً عن واحد، وهم عِدل القرآن كما في حديث الثقلين المتّفَق عليه عند الفريقين، وهم أعلم الخلق بعد رسول الله واحداً بعد واحد، يستمدّون علومهم من القرآن الذي فيه تبيانٌ لكلّ شيء، وهم أعلم الناس في تفسيره، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة مدوَّنة في كتب الحديث، ذكروا فيها أنهم يأخذون ذلك من القرآن وعندهم علمه، وقد افترى بعض الرواة ووضعوا عنهم الكثير من الروايات، ومن أجل ذلك يرجع العلماء لمعرفة الصحيح من الفاسد إلى علمَي الجرح والتعديل.

سنة ٦٨٤ هـ، والصحيح أنّ الملطي بسعته إلى ذلك عبد اللطيف البغدادي الذي ولد ٥٥٧ هـ وتوفّي سنة ٦٢٩ هـ، ثمّ ذكرها جمال الدين القفطي الذي ولد بمصر سنة ٥٦٥ هـ وتوفّي بحلب سنة ٦٤٦ هـ، يُنسَب إلى قفط في صعيد مصر. وقد ترجمناه في الجملة لذهاب أكثر مؤلّفاته، وذكرنا نصّ روايته فيما جرى على المكتبة بعد الفتح أنّ أبا الفرج الملطي ذكرها في كتابه (مختصر الدول) وقد أتمّ تأليفه في أُخريات حياته، وروايات الملطي استلّها من رواية القفطي، وذكرها من المتأخّرين أبو الفداء المتوفّى سنة ٧٣٢هـ، والمقريزي المتوفّى ٨٤٥هـ، كما تعرّض لذكرها الحاج خليفة المتوفّى سنة ١٠٦٧ في كتابه (كشف الظنون)، ثمّ ذكرها جرجي زيدان.

وذكر ذلك ابن النديم المتوفّى سنة ٣٨٥هـ، أمّا عبداللطيف البغدادي صاحب المؤلّفات والمترجَم في مصادر كثيرة وقد طاف مصر وكتب عن مشاهدها وآثارها، فقد قال عند زيارته الإسكندرية: ورأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور، ويظهر من حالها أنّها كانت مسقوفة، والأعمدة بقايا السقف وعمود السواري عليه قبّة هو حاملها، وأرى أنّه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطوطاليس وشيعته مِن بعده، وأنّه دار المعلّم التي بناها الإسكندر حين بنى مدينة الإسكندريّة وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذنٍ من عمر[1].

---

١. تاريخ التمدّن الإسلامي ٣: ٤٦.

وقد ورد في ترجمة أُميّة بن عبدالعزيز بن أبي الصلت الأندلسي المتوفّى سنة ٥٢٩ هـ أن كان الفضل قد حبسه بالإسكندرية في دار كتب الحكيم أرسطوطاليس، فدخل عليه أبو عبدالله الشامي ـ وكان يختلف عليه ـ فرآه مطرقاً، ثمّ رفع رأسه فسأله فلم يردّ الجواب، ثمّ قال بعد ساعة: أُكتبْ وأنشَدَني:

قد كان لي سببٌ قد كنتُ أحسبَ أن ... أحظى به فإذا دائي مِن السببِ
فما مُقلّم أظفاري سوى قلمي ... ولا كتائبُ أعدائي سوى كتُبي[1]

وأمّا القفطي فقد ذكرنا روايته منقولةً في أخبار الحكماء، وأمّا مرتبة أبي الفرج الملطي فهي متأخّرة وقد نقلها عن القفطي الذي سبقه قبل أن يولد أبو الفرج ببضعٍ وعشرين سنة وتُوفّي قبله نحو أربعين سنة، وكان أبوه يهودياً وتنصّر هو وشبّ على النصرانية. يقول جرجي زيدان: وقد ترجّح عندنا صدق رواية أبي الفرج هذا. فقد ذكر أنّ أبا الفرج الملطي نقل الرواية عن القفطي، ولم يرجّح جرجي زيدان رواية المسلم الذي روى عنه أبو الفرج، بل صدّق رواية أبي الفرج.

وقد سبق هؤلاء إلى ذكر المكتبة ابنُ النديم، حيث قال: وحكى إسحاق الراهب في تاريخه أنّ (بطليموس فيلادلفوس) من ملوك الاسكندرية لمّا ملك، فحص عن كتب العلم ووليَ أمرها رجلاً يعرف بزميرة، فجمع من ذلك على ما حُكي أربعةً وخمسين ألفَ كتاب ومائةً وعشرين كتاباً، وقال له: أيّها الملك، قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس

---

١. معجم الأدباء ٧: ٦٧ ـ ٦٨.

وجرجان والارمان وبابل والموصل وعند الروم. فعجب الملك من ذلك وقال له: دُمْ على التحصيل. فلم يزل على ذلك الى أن مات [١].

وقد تنبّه جرجي زيدان إلى إغفال المؤرّخين ذِكرَ مكتبة الاسكندرية فقال: وأمّا خلوّ كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابدّ له من سبب، والغالب أنّهم ذكروها ثمّ حُذفت بعد نضج التمدّن الإسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب، فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوها، أو لعلّ لذلك سبباً آخر! [٢] وعلى أيّة حال، وبما أنّ ابن النديم كان يمتهن الوراقة وكان مطّلعاً على مؤلّفات العلماء التي وقعت بين يديه، فقد وقع في يديه مؤلّف من تلك المؤلّفات التي تعرّضت إلى ذكر مكتبة الاسكندرية فذكرها، ولابدّ أن تكون الحادثة قد تناقلها المؤرّخون واحداً بعد واحد إلى أن وصلت إلى يد ابن النديم فذكرها، ثمّ تناقل الحادثَ مؤرّخ بعد مؤرّخ بعد ابن النديم إلى أن وصلت إلى جمال الدين القفطي فذكرها في كتابه، وكان التعتيم على ذكر الحادث لدواعٍ سياسية وطائفية لا مبرّر لها!

تنفيذ ابن العاص أمر عمر في المكتبة

عندما ورد كتاب عمر إلى عمرو ابن العاص نفّذ أمره في المكتبة، فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمّامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها، وقد استَنفدت في مدّة ستّة أشهر [٣]. وبعد وقوع الحريق الثاني في

---

١. فهرست ابن النديم: ٣٠١ وعنه في الغدير ٦: ٣٠٠.

٢. التمدّن الإسلامي ٣: ٤٦.

٣. أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي: ٢٣٣.

المكتبة أُعيد تأسيسها، وأخذت كتبها يزداد عددها تدريجاً حتّى ازدهرت بما فيها من لفائف البردي والرقوق، ثمّ وقع فيها الحريق! والعجيب أنّ (كوركيس عوّاد) ذكر بأنّ عدد حمّامات الإسكندرية كان أربعة آلاف حمّام، وهذا العدد لا يمكن أن يتصوّره الإنسان مهما بلغت سعة البلدة، فهو عدد خيالي ولم يُذكَر له مصدر.

وقد روى القفطي أنّ كتب المكتبة استنفدت في ستّة أشهر، ومثله رواية الخطيب أنّ عدد حمّامات بغداد بلغت ستّين ألف حمّام، وقال: أقلّ ما يكون في كلّ حمّام خمسة نفر حمّامي وقيّم وزبّال ووقّاد وسقّاء ليكون ذلك ثلاثمائة ألف رجل. وذكر أنّه يكون بازاء كلّ حمّام خمسة مساجد، فيكون ذلك ثلاثمائة ألف مسجد، وتقدير ذلك أن يكون أقلّ ما يكون في كلّ مسجد خمسة أنفس، فيكون ذلك ألفَ ألفٍ وخمسمائة ألف إنسان. قال: وقد أُحصِيت أيّامَ المقتدر وكان عددها سبعةً وعشرين ألف حمّام، وأنّها كانت أيّام عضد الدولة خمسة آلاف حمّام وكسراً، والتفاوت الزمني بين هذه الروايات قليل وليس بين الوقتين من التباعد ما يقتضي هذا التفاوت[١] وفي هذا الكلام من المبالغة ما لا يخفى!

وذكر (كوركيس عوّاد) أنّ المؤرّخ (أُوروسيوس) رأى حوالي سنة ٤١٩م مخازنَ الكتب في الإسكندرية خاليةً خاوية، وهذا ينافي ما ذكره أكثر المؤرّخين من طريق المكتبة سنة ٣٦٦م. وإذا كانت المكتبة قد أُحرقت، فهل تُحرِق النار اللفائف وتُبقي على الرفوف خالية؟! ومثله ما ذكره (كوركيس) من أنّ جانباً لا يستهان به من كتب الإسكندرية كان مكتوباً على

---

١. تاريخ بغداد ١: ١٣٠ ـ ١٣١.

الرَّقّ، أي الجلد، وهو مادّة لا تصلح للوقود، وهل خفي على كوركيس أنّ النار تلتهم الأخضر واليابس، وتلتهم الرفوف وغيرها. وبين الحريق الثاني وزيارة المؤرّخ (أوروسيوس) وحريق المكتبة خمسون عاماً، قدّر بعض المؤرّخين أنّ عدد كتبها خمسمائة ألف كتاب، والبعض الآخر سبعمائة ألف كتاب وآخَرون بمائتي كتاب، ويمكن التوفيق بين هذه التقديرات المختلفة بأنّها كانت تسير سيراً تدريجياً نحو التضخّم، فكتبها لا تقف على عدد معيّن، ويؤيّد هذا أنّ الملك بطليموس إنّما استطاع جمع الكتب المتنوّعة في موضوعاتها بمساعدة علماء عصره، ولا شكّ أنّ هذا الجمع لم يحصل عليه دفعةً واحدة.

وممّن سار على نهج عمر وأبي بكر فدوّن وأتلف ما دوّن: عروةُ بن الزبير.

عروة بن الزبير

(٢٢هـ أو ٢٦هـ ـ ٩٢هـ أو ٩٣هـ أو ٩٤هـ) وعلى الأصح قيل غير ذلك.

هو أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوّام بن خُوَيلد الأسدي القرشي، أحد فقهاء أهل المدينة السبعة[١]، وأُمّ عروة أسماء بنت أبي بكر، ولدت للزبير

---

١. ينظر: النجوم الزاهرة ١: ٢٢٨. الفقهاء السبعة هم الذين أتوا بعد الصحابة وأخذوا الفقه عنهم وانتهى فقه العامّة إليهم، وكانوا بالمدينة في عصر واحد، ومنهم صدرت الفتاوى في العالم، وقد قالوا: الفقهاء السبعة، كما قالوا القرّاء العشرة، والزهّاد الثمانية، والعلماء والقضاة الستّة، والأئمّة الأربعة، والمبشّرة العشرة! هكذا وزّعوها ألقاباً ورُتباً حسب الأهواء والتعصّبات، تاركين باب مدينة العلم وورثة رسول الله من أهل بيته ﷺ، مُعرضين عنهم أو فارضين عليهم أنواع الظلم من: الإقامة الجبرية والحبس والتشريد والقتل!

عبدالله وعروة، ومصعب من غيرها.

وقد روى عروة من المسانيد عن مشاهير الصحابة وجمهورهم رجالاً ونساءً ما لا يحصى[1]، وممّن روى عنهم: الإمام علي بن أبي طالب والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمرو وأبو أيّوب الأنصاري وأُسامة وأبو هريرة وابن عبّاس ومعاوية والمسوَّر بن مخرمة والنعمان بن بشير وعبدالله بن الأرقم وعائشة[2].

والرحلة المشهورة في المصادر التي بين أيدينا هي رحلته إلى الشام أيّام الوليد بن عبد الملك وقد أُصيب فيها بِقطع رِجله وفقدِ ولدٍ من ولده.

و عجيب أمر هذا الرجل الذي وصفوه بما وصفوه من الزهد والعبادة والمعرفة! كيف لم يُشرِّف قدمه التي قُطعت وقبّلها وادّعى أنّه ما مشى فيها إلى حرام أو معصية، كيف لم يشرفها بالمسير في ركب الإمام الحسين عليه السلام الثائر من أجل كرامة الإسلام والمسلمين، ومن أجل إعادة الحياة إلى الإسلام الذي أشرف على الموت والانهيار من جرّاء أفعال بني أُميّة وعبثهم بمقدّسات المسلمين. ولو سار في ركب النبوّة وله مسيس رحم بها لَدُفن ذلك العضو من بدنه وبقيّة أعضائه بكربلاء بدلاً من الشام، ومع أجساد الشهداء الذين سقطوا في ساحة كربلاء ضحايا للدين والشريعة، وأصبحت تربتهم مهوى ملايين البشر الذين يقدّسون الإسلام ويمجّدون الشهداء الذين ضحّوا من أجل الكرامة والدين، وجاهدوا من أجل العقيدة.

---

١. ينظر: حلية الأولياء ٢: ١٦٠.

٢. ينظر: صفة الصفوة ٢: ٤٩.

أخَفِيَ عليه جرائم يزيد واستهتاره وتعطيله لحدود الله تعالى وانـغماسه في المعاصي والموبقات، وعبثه بمقدّسات المسلمين وأموالهـم يـصرفها على الماجنين الداعرين من بني أُميّة ومن سار في ركابهم من باعة الضمير وهواة المجون والخمرة، والقرود التي انغمس فـيها وقـد تسـمّى بـخليفة رسول الله ؟! أم أنّه كان يرى أنّ الإسلام دين صلاة وصيام وعبادة فـقط، ألم يبلغه وهو الراوية قول رسول الله ﷺ: «سيّد الشهداء حمزة بن عبدالمطّلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فـقتله»[1]، وقـال ﷺ: «إذا رأيتُ أُمّـتي تَهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تـودع مـنهم»؟![2] ألم يـقرأ ـ وهـو القارئ للقرآن ـ الآيات الكثيرة التي ذكرت فضل الجهاد والمجاهدين؟! ألم يعيَ المعاني النبيلة التي شرّع الإسلامُ الجهادَ من أجلها؟! أليس من جملتها جهاد السلطان الظالم المستحلّ لمحارم الله الناكث لعهده، الذي يـعمل فـي عـباد الله بـالإثم والعـدوان، ألم تـجتمع هـذه الصـفات فـي يـزيد الفـجور والخمور؟!

أم إنّه رأى الأُمّة وقعت في فتنة وأحبّ أن يعتزل الفتن؟! فقد وصفوه أنّه كان صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن![3] وأنّه العفيف معتزلاً أهلَ الجور من بني أُميّة[4].

---

١. مستدرك الحاكم ٣: ١٩٥، مجمع الزوائدومنبع الفوائد٧: ٢٦٦.

٢. مسند أحمد ٢: ١٦٣، مستدرك الحاكم ٤: ٩٦.

٣. تهذيب التهذيب للعسقلاني ٧: ١٦٤.

٤. طبقات الكبرى ٥: ١٨١.

أفما خاف من افتتان الناس بيزيد بن معاوية؟! وهل سار الحسين عليه السلام وقاتل إلّا من أجل قمع فتنة بني أُميّة وإعادة الإسلام إلى نصابه قبل أن يعود الناس جاهليين وهم كما يقال على دين ملوكهم؟! أو ليست نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة على عدوّ الإسلام نصرةً لرسول الله؟! لكنّ الرجل حَسِب نفسه ابتعد عن الفتنة وهو في الفتنة سقط وسار في ركاب الظالمين!

إنّ عروة لم يفكّر بهذه المعاني الإسلامية السامية، إذ كان كأخيه عبدالله في الانحراف عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قال عليه السلام: «ما زال الزبير منّا حتّى ظهر ابنه المشؤوم عبدالله»[١]، وعُرف عبدالله بالانحراف عنهم عليهم السلام، فقد كان يتمنّى للحسين عليه السلام الخروج إلى العراق حتّى يصفو له الحجاز، ولمّا بويع بالحجاز ترك الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله أربعين جمعة في خطبته، ولمّا قيل له في ذلك قال: لا يمنعني أن أُصلّي عليه إلّا أن تشمخ رجال بآنافها[٢].

وقال يوماً لابن عبّاس: أنت الذي تؤنّبني وتبخّلني؟ قال ابن عبّاس: نعم، سمعت رسول الله يقول: ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جارُه، فقال ابن الزبير: إنّي لَأكتم بُغضَكم أهلَ هذا البيت منذ أربعين سنة! وجرى بينهما خَطب طويل، فخرج ابن عبّاس من مكّة خوفاً على نفسه، فنزل الطائف وتوفّي فيها[٣].

---

١. الأصول الستّة عشر: ٢٣، الخصال: ١٥٧ / ١٩٩.

٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣: ٧٩.

٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣: ٨٠.

وخطب ابن الزبير فنال من أمير المؤمنين عليه السلام، فبلغ ذلك ابنَه محمّد بن الحنفية، فوُضع له كرسي قدّامه فعلاه وقال: يا معشر قريش، شاهتِ الوجوه! أيُنتَقص عليّ وأنتم حضور؟! إنّ علياً كان سهماً صائباً من مرامي الله على أعدائه، يقتلهم لكفرهم ويهوّعهم مأكلهم، فثقل عليهم فرَموه بصرفة الأباطيلْ. وإنّا معشر له على نهج من أمره بنو الحسبة من الأنصار، فإن تكن لنا الأيّام دولةً تنثر عظامهم وتحسر عن أجسادهم، والأبدان يومئذ بالية، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال: عذرتُ بني الفواطم يتكلّمون، فما بال بني الحنفية؟! فقال محمّد: يا ابنَ أُمّ رومان؛ ومالي لا أتكلّم؟! أليست فاطمة بنت محمّد حليلة أبي وأُمَّ إخوتي، أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جَدّتي، أوَ ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدّة أبي؟! أما واللهِ لولا خديجة بنت خويلد ما تركتُ في بني أسد عظماً إلّا هشّمتُه، وإن نالتني فيه المصائب صبرت[١].

وأراد عبد الله بن الزبير في أيّام حكومته إحراق بني هاشم، فقد عمد إلى من بمكّة منهم فحصرهم في الشِّعب، وجمع لهم حطباً عظيماً لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد، وفي القوم محمّد بن الحنفية، وقد أنقذتهم جماعة من أصحاب المختار كانوا قد قدموا مكّة وعددهم أربعة آلاف بقيادة أبي عبدالله الجدلي[٢].

---

١. مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣: ٨٠.

٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣: ٧٦ ـ ٧٧.

أمّا عروة فقد سار على الخط الذي سار عليه أخوه عبدالله بن الزبير، كما مرّ من الانحراف عن الإمام، وقد عدّه ابن أبي الحديد منهم[١]. وكان يبرّر عمل أخيه في جمع الحطب لإحراق بني هاشم وحصرهم في الشعب، ويقول: إنّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته، كما أرهب بني هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف![٢]

وحُكي أنّ عروة والزهري كانا ينالان من أمير المؤمنين عليه السلام، فنهاهما عنه علي بن الحسين عليهما السلام[٣].

ولئن نال عبدالله وعروة ـ ابنا الزبير ـ وبنو أُميّة من أمير المؤمنين عليه السلام وسبّوه، فإنّ الإمام لم يَزدد بذلك إلّا رفعة وظهوراً، وقد قال ابن عامر بن عبد الله بن الزبير لوُلده يوصيهم: لا تذكروا علياً إلّا بخير؛ فإنّ بني أُميّة لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يَزده الله بذلك إلّا رفعة، إنّ الدنيا لم تَبنِ شيئاً إلّا رجعت على ما بَنَته فهدّمته، وإنّ الدين لم يبنِ شيئاً قطُّ وهدّمه[٤]. وقد روى عروة عن عائشة: النظر إلى عليٍّ عبادة[٥].

إحراقه أو محوه كتبه

مرّ أنّ عروة عَدّوه أحد فقهاء المدينة السبعة، وذكروا أنّه وعى جميع

---

١. شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦٣ ـ ٦٤ و ٦٩.

٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣: ٧٧.

٣. الغارات ٢: ٥٧٧ ـ ٥٧٨.

٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٢١.

٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني ٢: ١٨٣.

أحاديث عائشة، وكان قبل موتها يقول: لو ماتت اليوم ما ندمتُ على حديث عندها إلّا وعيته[١]. وذكرنا أسماء بعض من روى عنهم من الصحابة، وكان قد دوّن ما سمعه من علم وفقه إلّا أنّه أتلفه.

قال ابن أبي الزنّاد: قال عروة: كنّا نقول: لا نتّخذ كتاباً مع كتاب الله، فمحوتُ كتبي. فوَ اللهِ لَوددتُ أنّ كتبي عندي وأنّ كتاب الله قد استمرّت مريرته![٢] وذكر ولده هشام أنّ أباه حرّق كتباً فيها فقه، ثمّ قال: لَوددتُ أنّي كنت فديتها بأهلي ومالي![٣] وفي لسان آخر: حرّق أبي يوم الحَرّة كتبَ فقهٍ كانت له، فكان يقول بعد ذلك: لئن تكون عندي أحبُّ إليّ من أن يكون لي مِثل أهلي ومالي![٤]

وإذا كانت كتبه أغلى عنده من أهله وماله، فكيف أقدم على إتلافها وهو الفقيه؟! وقد أمر النبي ﷺ بتدوين العلم وجمعه في أحاديث رُوِيت عنه ﷺ، وإذا كان قد توصّل بفقهه إلى وجوب إتلافها، فكيف بدا له في ذلك وتغيّرت وجهة نظره ثمَّ ندم على فعلته؟!

ولو وصلت تلك الكتب إلى أيدي الرواة والباحثين في عصر التدوين وما بعده وأخذوا ما فيها من صحيح ونبذوا الغثّ أو نبّهوا عليه، لكان خيراً.

---

١. تهذيب التهذيب ٧: ١٦٤ ـ ١٦٥.

٢. المرير والمريرة: العزيمة، يقال: استمرّ مريرُه، أي قويَ بعد ضَعف، واستمرّت مريرته على كذا: إذا استحكم أمره عليه وقَوِيت شكيمته فيه واعتاده (ينظر: النهاية لابن الأثير ٤: ٣١٨).

٣. تهذيب التهذيب ٧: ١٦٥.

٤. الطبقات الكبري ٥: ١٧٩.

عبدالله بن مسعود (ت ٣٢هـ)

عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن، صحابي من مشاهير الصحابة، وهو من أهل مكّة ومن السابقين إلى الإسلام وكان خادم رسول الله ﷺ إلى حين ورفيقه في حلّه وترحاله وغزواته، وُلّي بعد وفاة النبي ﷺ بيتَ المال في الكوفة، ثمّ قدم المدينة في حكومة عثمان فتوفّي فيها عن نحو ستّين عاماً، له ٨٤٨ حديثاً[١].

ابن مسعود يمحو صحيفة فيها حديث عجيب

روى الخطيب البغدادي بسنده عن عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال: أصبتُ أنا وعلقمة صحيفةً فانطلقنا بها إلى عبدالله ابن مسعود، فجلسنا بالباب وقد زالت الشمس أو كادت أن تزول، فاستيقظ فأرسل الجارية فقال: أُنظري مَن بالباب. فرَجَعت فقالت: علقمة والأسود. فقال: ائذني لهما فدخلنا... قلنا: هذه صحيفة فيها حديث عجيب، فقال: هاتها يا جارية، هاتي الطست اسكبي فيها ماءً. فجعل يمحوها بيده ويقول: (نحنُ نَقُصُّ عليك أحسَنَ القَصصَ)، قلنا: أنظرْ إليها؛ فإنّ فيها حديثاً حسناً. فجعل يمحوها ويقول: إنّما هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره[٢].

وهكذا أجهزوا على العلم والحديث وعلى كلّ نفيس.

---

١. ينظر: الأعلام للزركلي ٤: ١٣٧.

٢. تقييد العلم: ٥٣ ـ ٥٤.

وقد نقلنا الرواية التي رُويت في محوه لحديث النبي ﷺ وأسماء الله، وذكرنا أنّ الرجل ناقَضَ نفسه في تدوينه الحديث تحت عنوان (الصحابة المانعون من تدوين الحديث يدوّنون)، وإنّما ذكرنا هنا رواية الخطيب؛ لأنّ فيها زيادة عن الرواية التي ذكرناها، وإن صحّ ما نقلوه عنه وعن غيره من التناقض بالقول والفعل فهو من مصاديق قوله تعالى: ﴿ **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾[١].

زيد بن ثابت ولادته قبل الهجرة بسنتين ووفاته سنة خمسٍ وأربعين هـ

زيد بن ثابت[٢] بن الضحّاك الأنصاري الخزرجي، أُمّه النوار بنت مالك، كنيته أبو سعيد، وقيل: أبو عبدالرحمن، وقيل: أبو خارجة. وكان عمره لمّا قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة. كتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر وعمر، وإستخلفه عمر على المدينة ثلاث مرّات، وكان عثمان يستخلفه أيضاً إذا حجّ.

وقد ذكروا أنّه كتب القرآن في عهد رسول الله ﷺ وعرضه عليه[٣]، وكتابة المصاحف وجمعها وإحراقها في عصر عثمان يحتاج إلى بحث خاصّ يُكتب في مواضعه وذكر في الأعلام أنّه كتب عن النبي ﷺ (٩٢) حديثاً[٤]،

---

١. سورة الصفّ: ٢، ٣.

٢. وهو ممَن لم يبايع الإمام عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، ومعه النعمان بن بشير وعبدالله بن عمر وأُسامة بن زيد.

٣. ينظر: الأعلام للزركلي ٣: ٥٧.

٤. الأعلام للزركلي ٣: ٥٧.

وتُوفّي في سنة ٤٥ هـ وصلّى عليه مروان بن الحكم[١].

زيد بن ثابت يأمر رجلاً بمحو حديث في حضور معاوية

روى ابن عبد البَرّ بسنده عن كثير بن زيد عن المطّلب بن عبدالله بن حنطب قال: دخل زيد بن ثابت على معاوية، فسأله معاوية عن حديث فأمر إنساناً أن يكتبه، فقال له زيد: إنّ رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه، فمحاه[٢].

فزيد لم يُكتَب عنه حديث، وقد ورد أنّه روى (٩٢) حديثاً وكان عصر التدوين قد أبتدأ في النصف الثاني من القرن الثاني، فلا أدري أفحَفِظ تلك الأحاديث كما نطق بها رسول الله ﷺ ثمّ دُوّنت بعد مدّة طويلة، أم تصرّف مَن رواها بها وكُتبت بصورة محرّفة؟! ويجري هذا الإشكال في جميع مدوّنات الحديث التي دوّنت في عصر متأخّر.

مسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ)

مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي الكوفي، أبو عائشة، صحابي، وهو من أهل اليمن وقد سكن الكوفة. سأله عمر يوماً: ما اسمك؟

---

١. أُسد الغابة ٢: ٣٣ ـ ٣٤ و ٤: ٣٤٨. ومروان بن الحكم هو الذي عبّر عنه رسول الله ﷺ بالوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون، وكذلك عبّر عنه رسول الله ﷺ بأنّ أبا مروان ومروان ملعونان في صلبه (حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري ٢: ٥٤٥).

٢. جامع بيان العلم ١: ٦٣.

فقال: مسروق بن الأجدع، قال: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبدالرحمن.

قال عبد الملك بن أبجر عن الشعبي: كان مسروق أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح أعلم بالقضاء. وقال علي بن المديني: ما أقوم على مسروق من أصحاب عبدالله أحد، صلّى خلف أبي بكر، ولقي عمر وعلياً عليه السلام، ولم يروِ عن عثمان شيئاً. وقال إسحاق بن منصور ولا يسأل عن مثله وشهد حروب عليٍّ، وقال وكيع وغيره: لم يتخلّف مسروق عن حروب عليّ. وذكره ابن حِبّان في (الثقات) وقال: كان من عباد أهل الكوفة ومات بها، وقال الكلبي: شُلّت يد مسروق يوم القادسية، ومات وله ثلاث وستّون سنة[١].

وعلى هذا ينبغي أن تكون ولادته في أوّل سنة من الهجرة.

مسروق يحرق ما كتبه

روى ابن عبد البرّ بسنده عن إبراهيم قال: قال مسروق لعلقمة: أُكتبْ لي النظائر، قال: أما علمتَ أنّ الكتاب يُكرهَ، قال: بلى، إنّما أُريد أن أحفظها ثمّ أُحرِقها[٢].

والظاهر أنّ مسروق سار على سيرة أبي بكر وعمر اللذين محيا وأحرقا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، ولا نعرف المراد بكتاب النظائر وما فيه، أفكتب فيه

---

١. تهذيب التهذيب ج ١٠: ١٠٠ ـ ١٠١.

٢. جامع بيان العلم وفضله ١: ٦٦.

مسروق أحاديث نبوية أم غير ذلك؟! إذ إنّ إحراق الكتب ومحوها لم يقتصرا على الأحاديث بل تعدّاه إلى إحراق ما كُتب من الكتب المقدّسة السالفة، كما تقدّمنا وحتّى إلى إحراق كتب السيرة النبوية والذي جرى عليه القوم!

عبيدة بن قيس أبو عمرو الكوفي (ت ٧٢هـ)

هو عبيدة بن عمرو، ويقال ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يَلْقَه، قال هشام عن محمّد عنه وغيره: روى عن علي وابن مسعود وابن الزبير، وروى عنه عبدالله بن سلمة المرادي وإبراهيم النخعي وأبو إسحاق السبيعي ومحمّد بن سيرين وغيرهم. قال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يوازيه. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وكان من أصحاب علي وعبدالله[١].

عبيدة يمحو كتبه قبل موته

أخبرنا قبيصة قال: حدّثنا سفيان عن النعمان قال عن عبيدة أنّه دعا بكتبه عند موته فمحاها، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يليها أحد بعدي فيضعونها غير موضعها[٢].

وإذا كان عبيدة من أصحاب الإمام علي عليه السلام وعبدالله بن عبّاس، فكيف يمحو كتبه؟! لابدّ أن تكون تلك الكتب قد دوّن فيها ما سمعه من رواة

---

١. تهذيب التهذيب ٧: ٧٨.

٢. طبقات الكبرى ٦: ٩٤.

عصره، والإمام علي عليه السلام وابن عبّاس على طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمر بتدوين الحديث، والعلم لا يمحوه.

عبد الملك بن مروان يأمر بإحراق كتاب (المغازي) لرسول الله صلى الله عليه وآله

هو عبد الملك بن مروان[١] بن الحكم بن العاص بن أمية، خامس سلاطين بني أمية، وُلد بالمدينة المنورة سنة ٢٦ هـ، وتولّى الحكم بعد مقتل أبيه سنة ٦٥ هـ ومات سنة ٨٦هـ.

ورد في (مجلة العربي) [٢] أنّ مرغليوث في كتابه (المؤرّخون في الغرب) [٣] استشهد بالرواية القائلة أنّ عبد الملك بن مروان أمر بإحراق بعض المغازي[٤] المعروفة، والتي وجدها في يد ولده. وفي مقال بعنوان (تدوين التاريخ عند العرب) ذكر في المقال ما قام به العرب من المؤلّفات في الصدر الأوّل وكيف كتبوا في كلّ فن، وشهادة علماء الغرب في سَبق

---

١. في: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٤٦ ـ ١٤٧: **أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ ٱلْحَكَمِ أَسِيراً يَوْمَ ٱلْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عليهما السلام إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالاَ لَهُ: يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ؟! قَالَ عليه السلام: أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ، إِنَّهَا كَفٌ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ، أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ ٱلْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو ٱلْأَكْبُشِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى ٱلْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وُلْدِهِ يَوْماً [مَوْتاً] أَحْمَرَ.** قوله كلَعْقة الكلب أنفه، يريد قِصر المدة، وكذلك كانت مدة حكومة مروان فإنّه ولي تسعة أشهر. والأكبُش الأربعة بنو عبد الملك، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يلِ الحكم من بني أمية ولا من غيرهم أربعة إخوة إلّا هؤلاء.

٢. مجلّة العربي: العدد ١٥٤: ٤٠–أيلول سنة ١٩٧١م.

٣. ينظر: المؤرخون في الغرب: ٥٥.

٤. المغازي: وهي التي تبحث في الغزوات والحروب التي اشترك فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله و أصحابه، كما تبحث في مناقب الغزاة و المجاهدين.

العرب إلى الكتابة والتدوين[١].

ونستطيع القول بأنّ المستشرق قد ناقض نفسه في جملة كثيرة من الأدلّة التي فيها أنّ أهل الحجاز تعلّموا الكتابة من أهل الحيرة، وهؤلاء تعلّموها من الحِمْيريّين، فهل يُعقَل أن يبقى هؤلاء الذين كوّنوا أعظم إمبراطورية في التاريخ عاملين لمدّة قرن كامل؟! مع العلم بأنّهم اختلطوا بأقوام تعرف القراءة والكتابة، ووجود الأحاديث المروية في صحيح البخاري مثلاً والتي تبيّن مدى اهتمام الرسول ﷺ بطلب العلم وحثّه لأصحابه بأن يتعلّموا اللغات الأُخرى كالسريانية والعبرية للردّ على أصحابها[٢].

سليمان بن عبد الملك يأمر أبانَ بن عثمان بتمزيق سيرة النبي ﷺ سنة ٨٢هـ

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، الحاكم الأُموي السابع، وُلد بدمشق سنة ٦٠ هـ وولي الحكم بعد موت أخيه الوليد سنة ٩٦هـ ومات سنة ٩٩هـ، وقد ذكره ابن الأثير في (تاريخه)[٣] في أحداث سنة تسع وتسعين للهجرة، وذكره صاحب كتاب (حرق الكتب في التراث العربي)[٤] قائلاً: قال عبد الرحمن ابن يزيد: قَدِم علينا سليمان بن

١. ينظر: مجلّة العربي: العدد ١٥٤: ٣٩ـ أيلول سنة ١٩٧١م.

٢. مجلّة العربي العدد ١٥٤: ٣٩.

٣. ينظر: الكامل لابن الأثير ٥: ٣٧، أحداث سنة تسع وتسعين للهجرة: لبس يوماً حُلّة خضراء وعمامة خضراء، ونظر في المرآة فقال: أنا الملك الفتى! فما عاش إلا جمعة، وشهد سليمان جنازة بدابق فدفنت في حقل، فجعل سليمان يأخذ تلك التربة ويقول: ما أحسن هذه التربة وأطيبها، فما أتى عليه جمعة حتى دُفن إلى جانب ذلك القبر بدابق وهي من أرض قِنِسرين.

٤. حرق الكتب في التراث العربي لناصر الخزيمي: ٣١ـ٣٣.

عبد الملك حاجّاً سنة اثنتين وثمانين وهو ولي عهد، فمرّ بالمدينة، فدخل عليه الناس فسلّموا عليه، وركب إلى مشهد النبي ﷺ الذي صلّى فيه وحيث أُصيب أصحابه بأُحد، ومعه أبان بن عثمان وعمرو بن عثمان وأبو بكر بن عبد الله بن أبي أحمد، فأتوا به قُباء ومسجد الفضيخ ومشربة أُمّ إبراهيم وأُحد، وكلّ ذلك يسألهم ويخبرونه عمّا كان، ثمّ أمر أبانَ بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي ﷺ ومغازيه، فقال أبان: هي عندي قد أخذتها مصحّحةً ممّن أثق به. فأمر بنسخها وأُلقي فيها إلى عشرة من الكتّاب فكتبوها في رَقّ، فلمّا صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأمصار في القضيتين وذكر الأنصار في بدر، فقال: ما كنتُ أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإمّا أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم وإمّا أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيّها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه أن نقول بالحقّ، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا، قال: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتّى أذكره لأمير المؤمنين لعلّه يخالفه. فأمر بذلك الكتاب فحُرق وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافقه فما أيسر نسخَه. فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تعرّف أهل الشام أُموراً لا نريد أن يعرفوها. قال سليمان: فلذلك يا أمير أمرتُ بتمزيق ما كنتَ نسخته حتّى أستطلع رأي أمير المؤمنين. فصوّب رأيه، وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك.

ثمّ إنّ سليمان جلس مع قبيصة بن ذؤيب فأخبره خبر أبان بن عثمان وما نسخه من تلك الكتب وما خالف أمير المؤمنين فيها، فقال قبيصة: لولا ما

كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظّ أن تَعلمها وتُعلّمها وُلدك وأعقابهم أنّ حظّ أمير المؤمنين فيها لَوافر، إنّ أهل بيت أمير المؤمنين لأكثر مَن شهد بدراً، فشهدها من بني عبد شمس ستّة عشر رجلاً من أنفسهم وحلفائهم ومواليهم، وحليف القوم منهم ومولى القوم منهم، وتوفّي رسول الله ﷺ وعمّاله من بني أُميّة أربعة: عتّاب بن أسيد على مكّة، وأبان بن سعيد على البحرين، وخالد بن سعيد على اليمن، وأبو سفيان بن حرب على نجران عاملاً لرسول الله ﷺ، ولكنّي رأيت أمير المؤمنين يكره من ذلك شيئاً فما كره فلا تخالفه. ثمّ قال قبيصة: لقد رأيتَني وأنا وهو ـ يعني عبد الملك ـ وعدّة من أبناء المهاجرين مالنا علم غير ذلك حتّى أحكمناه، ثمّ نظر بعدُ في الحلال والحرام، فقال سليمان: يا أبا إسحاق، ألا تخبرني عن هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحي من الأنصار وحرمانهم إيّاهم لِمَ كان؟ فقال: يابن أخي، أوّل من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثمّ أحدثه أبو عبد الملك، ثمّ أحدثه أبوك، فقال: عَلامَ ذلك؟! فقال: فوَ اللهِ ما أُريد به إلّا لأُعلمه وأعرّفه، فقال: لأنّهم قتلوا قوماً من قومهم، وما كان من خذلانهم عثمان فحقدوا عليهم وحنقوه وتوارثوه، وكنت أُحب لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم وإن أخرج من مالي، فكلّمه فقال سليمان: أفعلُ والله. فكلّمه وقبيصة حاضر، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم فقال عبد الملك: واللهِ ما أقدر على ذلك فَدَعُونا من ذِكرهم. فأسكَتَ القوم.

وهذه الرواية تدلّ دلالة واضحة على التعصّب الجاهلي عند الأمويين وقد نهى الإسلام عنه أشدَّ النهي، حيث قال رسول الله ﷺ: «دَعُوها فإنّها

مُنتنةً»[١]، وقال ﷺ: «كلّ ذي عصبية في النار»، ويعني بها العصبية للعرق أو القبيلة، فكيف ينهج هذا النهج ويتّبع هذه الطريقة المنتنة التي نهى عنها رسول الله ﷺ ووعد مرتكبها النار، وهو مَن يدّعي أنّه يمثّل رسول الله ﷺ ويجلس على كرسيّ الخلافة الإسلامية، والأنصار هم الأنصار في نصرتهم لرسول الله ﷺ ودفاعهم عن الإسلام، وقد دعا لهم رسول الله ﷺ مراراً!

سعيد بن جبير (٤٦هـ ـ ٩٥هـ)

أبو محمّد، مولى بني والبة، أصله الكوفة نزل مكّة، تابعي من أصحاب الإمام السجّاد عليّ بن الحسين عليه السلام[٢].

روى عن: ابن عبّاس وابن الزبير وابن عمرو وعَدِيّ بن حاتِم وأبي مسعود الأنصاري وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وجمعٍ من الصحابة، وروى عنه جمع من حملة الحديث، وأخرج حديثَه أصحابُ الكتب الستّة. قال الطبري: هو ثقة إمام حجّة على المسلمين، كان يكتب لعبد الله بن عتبة بن مسعود حيث كان على قضاء الكوفة، ثمّ كتب لأبي بردة بن أبي موسى[٣] ويقال كان قائداً لابن عبّاس، وكان ابن عبّاس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أُمّ الدهماء؟! يعني سعيد بن جبير[٤]. ساهم في ثورة ابن الأشعث وهي ثورة القرّاء على الحجّاج، إلّا أنّ

---

١. مسند أحمد ٣: ٣٣٨، صحيح البخاري ٦: ٦٦.

٢. معجم رجال الحديث ٩: ١١٨.

٣. تهطيب التهذيب ٤: ١١ ـ ١٢، وانظر: حرق الكتب في التراث العربي لناصر الخزيمي: ٨٥

٤. تهذيب التهذيب ٤: ١١.

تلك الثورة لم تنجح وقُبض على سعيد بن جبير فأُوقف بين يدَيِ الحجّاج، فقال له الحجّاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال له الحجّاج: بل شقيُّ بن كُسَير! قال له: أُمّي أعرف باسمي، فقال له الحجّاج: شَقِيتَ وشَقِيَت أُمّك! قال: الغيب يعلمه غيرك، قال له: ما تقول في الشيخَين، أهما من أهل الجنّة أم من أهل النار؟ قال: ما دخلتُ الجنّة حتّى أعرف أهلها، قال: وجّهوه نحو القبلة، قال: وجّهتُ وجهيَ للذي فطَرَ السماواتِ والأرضَ حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، قال الحجّاج: وجّهوه إلى غير القبلة، قال: أينما تُولُّوا فثَمّ وجهُ الله، فقال: اطرحوه أرضاً، فقال: منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نُخرجكم تارةً أُخرى. وقال: لا إله إلّا الله، اللهمّ لا تسلّط الحجّاج على أحد مِن بعدي. وكان في آخر يوم من شعبان، وبعد ثلاثة عشر يوماً وقعت الأكلة في بطن الحجّاج، وكان يقول: مالي وسعيد بن جبير؟![1]

رواية إحراق كتبه وتفنيدها

روى أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري القاضي المالكي في كتاب (المجالسة) قال: إنّ امرأة سعيدية قالت: سمعتُ سعيد بن جبير حين جيء به إلى الحجّاج دعا رجلاً فقال له: اذهب فأحرقْ كتبي[2]. تفرّد بهذه الرواية الدينوري فلم نجد في مصادر ترجمته من الشيعة والسنّة مَن ذكر فيها إحراق كتبه، ففيها أنّ امرأة سعيدية في رواية ليس فيها سند، ولا نعرف عن هذه

١. مروج الذهب ٣: ١٦٤.

٢. حرق الكتب في التراث العربي: ٨٥.

المرأة السعيدية شيئاً، تقول: لمّا جيء به إلى الحجّاج فإذا كان سعيد بن جبير قد وقع في قبضة الحجّاج فأوصى رجلاً بإحراق كتبه، فإنّا لا ندري مَن هذا الرجل الذي أوصاه سعيد بإحراق كتبه، أهو من جلاوزة الحجّاج أم كان رجلاً آخر من حاشية الحجّاج؟ ثمّ إنّا لا نعرف هذه المرأة السعيدية وكيف وصلت إلى ذلك الرجل الذي أخبرها بأنّ سعيداً أوصى بإحراق كتبه، وكيف يسمح من كانت الكتب عنده لمَن هو من أهله أو من غيرهم بإحراقهم كتبه؟! ولو أنّ إحراق كتب سعيد حدث لَذَكره الرواة، فالرواية حسب هذه الموازين ساقطة عن الاعتبار.

ثمّ إنّ سعيد بن جبير كان من خواصّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته هم الذين أمروا بتدوين الحديث والعلم وحفظه، فكيف يوصي سعيد بإحراق كتبه؟! قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليهما السلام في أوّل أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيّب، ومحمّد ابن جبير بن مطعم، ويحيى بن أُمّ الطويل، وأبو خالد الكابلي[١].

وفي الوقت الذي ذكروا أنّه كان كاتباً لعبدالله بن عتبة وكتب لابن عبّاس ذكر ابن سعد أنّه كان يكره كتابة الحديث[٢]، وهذانِ أمرانِ متناقضان أوردوهما! وإذا صحّ ما نقلوا، فلعلّ سعيد بن جبير رضوان الله عليه أراد إتلاف أسرار كان قد دوّنها وخشيَ أن يعثر عليها الطغاة إذا فتّشوا داره.

---

١. معجم رجال الحديث ٩: ١١٩.

٢. الطبقات الكبرى ٦: ٢٥٨.

أبوبكر بن محمّد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي (ت١٠٠هوقيل: ١١٠ه وقيل: ١١٧ه)

من بني النجّار لذا عرف بالنجّاري، وهو راوٍ ثقة، وثّقه عدّة من العلماء عدّه الشيخ محمّد طه نجف من ثقات أصحاب الإمام علي عليه السلام [١]، وقال الشيخ الطوسي في (رجاله): أبو بكر بن حزم الأنصاري من أصحاب علي عليه السلام [٢]، وذكره البرقي في (رجاله) في أصحاب الإمام علي عليه السلام أيضاً [٣]، وكذا ابن داود جعله من خواصّه عليه السلام. وهو يمني [٤]، والظاهر أنّه من أصحابه عليه السلام لا من خواصّه، وذكره العلّامة الحلي رحمه الله في (الخلاصة) [٥]، واشتبه صاحب (مجمع الرجال) [٦] بأن جعله محمّد بن حزم فإنّ محمّداً هو والده، واشتهر أبو بكر بكنيته فإنّ كنية والده محمّد: أبو القاسم، وقيل: أبو سليمان، وقيل: أبو عبد الملك [٧]، فمحمّد هو والد أبي بكر.

وُلد أبوه محمّد في السنة العاشرة من الهجرة بنجران، وكان أبوه عمرو عامل رسول الله صلّى الله عليه وآله عليها [٨]، والذي سمّاه محمّد هو

١. أعيان الشيعة ٢: ٣٠٨.

٢. الرجال للطوسي: ٨٦/ ٨٧٤.

٣. رجال البرقي: ٦.

٤. رجال ابن داود: ٢١٥/ ١٠.

٥. خلاصة الأقوال: ٣٠٩.

٦. مجمع الرجال ٦: ١٤.

٧. أُسد الغابة ٤: ٣٢٧.

٨. أُسد الغابة ٤: ٣٢٧، الطبقات الكبرى ٥: ٦٩.

النبي ﷺ وكنّاه أبا عبد الملك(١). وقد جمع عمر كلّ غلام اسمه اسم نبي فأدخلهم الدار ليغيّر أسماءهم، فجاء آباؤهم فأقاموا البيّنة أنّ رسول الله ﷺ سمّى عامّتهم، فخلّى عنهم. قال أبو بكر: وكان أبي فيهم(٢). ولا أدري كيف فات عمر أنّ التسمية بأسماء الأنبياء جائزة، بل هي علامة الإتّباع والولاء، وكيف لم ينتبه وهو صاحب النبي ﷺ وجليسه إلى أنّه ﷺ كان يسمّي أكثر أبناء الصحابة باسمه؟! وقد اختار ﷺ لأُولئك النفر تلك الأسماء.(٣)

وقُتل محمّد يوم الحَرّة، مّا ولده أبو بكر فقد قال ابن الأثير الجزري: كان فقيهاً فاضلاً، روى عنه الزهري(٤).

وعن محمّد بن زكريا الغلابي عن شيوخه عن أبي المقدام أنّ عمر ابن عبدالعزيز لمّا كتب بِردّ فدك نقمت بنو أُميّة عليه ذلك، فقال لهم: إنّ أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن جدّه أنّ النبي ﷺ قال: «فاطمة بَضعةٌ منّي، يُسخطني ما يُسخطها»(٥).

وقال فيه في (تهذيب التهذيب) بعد ذكر مَن روى عنهم ورووا عنه: ابن معين وابن خراش: ثقة، وذكره ابن حِبّان في (الثقات)، وذكره الهيثم بن عَدِي في محدّثي أهل المدينة، والواقدي في ثقاتهم، وقال: أبو ثابت عن ابن وهب عن مالك: لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان

---

١. أُسد الغابة ٤: ٣٢٧، الطبقات الكبرى ٥: ٦٩.

٢. تاريخ دمشق ٥٥: ١١، الطبقات الكبرى ٥: ٦٩.

٣. يراجع: الغدير ٦: ٣٠٨ـ٣١٥، عنوان: اجتهاد «الخليفة في الأسماء والكُنى».

٤. أُسد الغابة ٤: ٣٢٧.

٥. الشافي للسيّد المرتضى ٤: ١٠٢ـ١٠٣، وعنه في بحار الأنوار ٢٩: ٢١٢.

عند أبي بكر بن محمّد بن حزم[١].

ولايته على المدينة

مرّ أنّ الرجل كان من الموثوقين المتديّنين، استند ابن عبدالعزيز على حديثه في فضل الصدّيقة الزهراء عليها السلام، وأنّ ما يسخطها يُسخط رسولَ الله صلى الله عليه وآله، ومن رضاها ارجاع حقّها المغتَصب إلى ذرّيتها من بعدها.

وقد ولّاه عمر بن عبد العزيز على المدينة والقضاء والموسم، قال سعيد بن عفير عن ابن وهب: قال لي مالك: ما رأيت مثل أبي بكر بن حزم أعظم مروّةً ولا أتمّ حالاً، ولا رأيت مثل ما أرى، وليَ المدينة والقضاء والموسم. قال خليفة بن خيّاط: سنة مائة أقام الحجّ أبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم وفيها مات[٢]، وفي الحاشية عن (التهذيب) بعد كلمة: والموسم، لسليمان بن عبد الملك ولعمر بن عبد العزيز[٣].

ضياع كتبه

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمّد أن يكتب له من العلم مِن عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمّد، ولم يكن بالمدينة أنصاري أمير غير أبي بكر ابن حزم، ونفّذ ابن حزم أمر ابن عبد العزيز فكتب له ما

---

١. تهذيب التهذيب ١٢: ٣٤.

٢. تهذيب التهذيب ١٢: ٣٤ـ٣٥.

٣. أعيان الشيعة ٢: ٣٠٨.

أراد، ولكنّ ما كتبه ضاع، فقد سُئل ابنه عبد الله عن تلك الكتب التـي كـتبها أبوه فقال: ضاعت[١]!

وإذا كانت كتبه ضاعت في حياته فهي من تراث القرن الأوّل الضائع، إذ إنّ أقوى الروايات في تعيين عام وفاته هي الرواية الأُولى القائلة أنّه توفّي سنة ١٠٠ هـ، أمّا بقيّة الروايات في تعيين عام الوفاة فقد نسبت إلى القيل لضعفها، ولم يذكر ابنه وقت تلف كتب أبيه ولا كيفيته، لذا نقل النصّ فقط، ولم يتعدّاه.

إحراق بيت القراطيس أيّام عمر

القرطاس جمعه قراطيس، يُتّخذ من بـردي يكـون بـمصر، والقَـرطاس والقُرطاس والقرطس والقِرطاس كلّه: الصحيفة الثابتة التي يُكتَب فيها[٢].

وفي (معجم مفردات غريب القرآن) للراغب الأصفهاني: القرطاس: مـا يُكتَب فيه[٣]، قال تعالى: ﴿ **و لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ** ﴾[٤]، ﴿ **قُـلْ مَـنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ** ﴾[٥].

قال أ.د. قاسم السامرائي: كتب لي صديقي د. عزّ الدين إبراهيم مـصطفى رسالة حول الرسائل النبويّة، أن كان هناك بيت للقراطيس، كانوا يـحفظون فيه نسخاً من رسائلهم، وقد أصاب الحريق هذا البيت أيّام عمر بن الخطّاب

---

١. تهذيب التهذيب ١٢: ٣٤ـ٣٥.

٢. لسان العرب ٦: ١٧٢.

٣. المفردات في غريب القرآن: ٤٠٠.

٤. سورة الأنعام: ٧.

٥. سورة الأنعام: ٩١.

مع احتمال عدم احتراق جميع ما فيه[١].

فهل بيت القراطيس كان يحتوي على ما يخصّ الدولة؟ وظاهر كلام الدكتور أنّه كان يحتوي على رسائل نبوية كانت تُرفَع إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله من المسلمين، فتُحفَظ في ذلك البيت، ولعلّ رسائلَ أُخرى كانت ترفع إلى الحكّام فيما يخصّ الدولة وما يخصّ الإسلام كانت تُحفَظ فيه، ولا شكّ أنّ إحراق ذلك البيت الذي كان يضمّ رسائل للنبيّ صلّى الله عليه وآله فيه خسارة كبرى.

ضياع أكثر شعر العرب

يقال: إنّ الشعر ديوان العرب، وقد نبغ جماعة من الشعراء في العصرين الجاهلي والإسلامي في نظم الشعر، فاستعملوه للتعبير عن عواطفهم وبطولاتهم وعزّتهم وأنفتهم وكرمهم وأوصاف وقائعهم والردّ على حسّادهم. وقد ذكر السيوطي في (المزهر)[٢] ما يفيد أنّ الشعر ذهب وضاع لِتشاغل العرب بالإسلام والفتوح، فقد روي عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: كان الشعر عِلمَ قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه، فجاء الإسلام فتشاغل عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته، فلمّا كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنّ العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يرجعوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب، فألّفوا ذلك وقد

---

١. ينظر: مقدّمة في الوثائق الإسلامية: ٤٠ – ٣٠، نشر: دار العلوم، الرياض، سنة ١٤٠٣هـ.

٢. المزهر ٢: ٤٧٤.

هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلَّ من ذلك وذهب عنهم منه كثير[١].

ومن جملة الشعراء الذين ذهب أكثر شعرهم: الربيع بن زياد، وهو من الشعراء المخضرمين، وقد تُرجم في (مجلّة كلّية الآداب)[٢] في مقال بقلم عادل جاسم البياتي تحت عنوان: شعر الربيع بن زياد والراجح المشهور أنّه مات في عهد النبي ﷺ إلّا ما ذكره الزركلي في (الأعلام) من أنّه مات قبل البعثة بـ ٣٠ سنة.[٣]

بدء تدوين الحديث

بدأ تدوين الحديث بعد عصر النبوّة بما يقرب من تسعين سنة بأمر من عمر ابن عبد العزيز، وهو أمر مخالف لما أمر به أبوبكرٍ وعمر وعثمان، وقد كان ذلك بعد أن مات من الصحابة من مات وقُتل من قُتل ونُسي من نُسي، فقد قُتل من أصحاب النبي ﷺ في وقعة الحَرّة جمع كثير بأمرٍ من يزيد بن معاوية.

يقول ابن الأثير[٤]: يروي المدائني عن شيخ من أهل المدينة، قال: سألت الزهري: كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعَمائةٍ من وجوه الناس من

---

١. المحصول للرازي ١: ٢١٣، خزانة الأدب ٤: ٣٨٨.

٢. مجلة كلية الآداب العدد ١٤، م١ ـ سنة ١٩٧٠م.

٣. الأعلام للزركلي ٣: ١٤.

٤. الكامل في التاريخ ٨: ٢٤٢.

المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي، وممّن لا أعرف من حُرّ وعبد وغيرهم عشرةَ آلاف.

و قد عمد أكثر صحابة النبي ﷺ إلى أحاديث النبي ﷺ في السنن والأخلاق والمعارف وما إلى ذلك فأُحرقوا قسماً منها، و غسلوا القسم الآخر، ومزّقوا بعضها تنفيذاً لاجتهاد أبي بكرٍ وعمر كما مرّ، وبقيت أحاديث النبي ﷺ في الصدور حتّى مات بعض الصحابة ومات من أخذها منهم، إلى أن جاءت حكومة عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ ـ ١٠١هـ)، وقد استفسر عمر بن عبد العزيز عن كتاب للصحابي زيد بن ثابت حول الديات، وأمر فأُحضر إليه فمزّقه[١]، ثمّ إنّ ابن عبد العزيز هذا بدا له رأي آخر، كما حدث لعمر، فأمر بتدوين الحديث.

جاء فيما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم: أُنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سُنّةٍ أو حديث عَمرة بنت عبد الرحمن، فاكتبه، فإنّي خشيت دروس العلم وذهاب العلماء[٢].

وفي حديث آخر: أوحديث عمر[٣].

وفي حديث آخر: أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم ابن محمّد، فكتبه له[٤].

وجاء في (حلية الأولياء) عن حاطب بن خليف البُرجمي: شهدت عمر

---

١. ينظر: تاريخ التراث العربي ١: ٢٣٥.

٢. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام لحسن الصدر: ٢٧٨.

٣. التمهيد لابن عبد البر ١٧: ٢٥١.

٤. الجرح والتعديل ١: ٢١، و٩: ٣٣٧، تاريخ دمشق ٦٦: ٤٤ ـ ٤٥.

بن عبدالعزيز يخطب وهو خليفة، فقال في خطبته: ألا إنّ ما سنّ رسولُ الله وصاحباه فهو دِين نأخذ به وننتهي إليه، وما سنّ سواهما فإنّا نُرجئه[١].

وفي حديث عفّان إلى أهل المدينة أمرُ ابن عبد العزيز أن: انظروا ما كان في حديث رسول الله فاكتبوه، فإنّي قد خفت دروس العلم وذهاب العلماء[٢].

ثمّ إنّ عمر بن عبد العزيز جعل ما دوّنه ابن حزم سُنّةً للأمصار، وقد علمتَ أنّ ما دوّنه كان يضمّ في مطاويه اجتهادات أبي بكرٍ وعمر وعثمان، وما روته عمرة والقاسم بن محمّد عن عائشة وغيرهما، وهو ما أرادته السلطة من تثبيت مزاعم هؤلاء[٣].

وفي هذا الصدد ورد عن ابن شهاب الزهري قوله: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كلّ أرض له عليها سلطان دفتراً[٤].

إذن: فعمر بن عبد العزيز لم يأمر بتدوين الحديث إلّا:

أوّلاً: بعد أن استقرّت آراء أبي بكرٍ وعمر وعثمان عند فقهاء أهل السنّة

---

١. حلية الأولياء ٥: ٢٩٨، تاريخ دمشق ١١: ٣٨٥.

٢. تقييد العلم: ١٠٦.

٣. منع تدوين الحديث: ٣٠٨.

٤. جامع بيان العلم وفضله ١: ٧٦.

وقد روى ابن عساكر بسنده عن عكرمة قال: كنّا نأتي الأعرج ويأتيه ابن شهاب، قال: فنكتب، ولا يكتب ابن شهاب، قال: فربّما كان الحديث فيه طول، قال: فيأخذ من شهاب ورقة من ورق الأعرج، قال: وكان الأعرج يكتب المصاحف، فكتب ابن شهاب ذلك الحديث في تلك القطعة ثمّ يقرأهُ ثمّ يمحوه مكانه، وربّما معه فقرأها ثمّ يمحوها(تاريخ دمشق ٥٥: ٣١٩) ولانعرف ولا ندري ما هو السبب الذي من أجله كان الزهري يمحو الحديث!

وعوامّهم، واطمأنّ من رسوخها.

وثانياً: بعد أن اشترط أن تُرفق أحاديث عمر مع أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وثالثاً: وبعد أن حدّ وقيّد التدوين عن عمرة والقاسم.

ثمّ أراد بعد ذلك تثبيت حكومته من خلال إحكام ما يُدوّن وفرضه علي الأمصار التي يحكمها!

ومن المؤسف جداً أنّ الحظر السياسي بعد رحيل النبي ﷺ كان قد حال بين المسلمين وكتابة الحديث وتدوينه ونشره في الأقطار والأمصار، حتى صار التحدث بحديث الرسول وكتابته وإفشائه إلى قرن، عملاً محظوراً يُلام على فعله ويُحرق كتابه بالنار ويذهب جهده سُدىً[١].

وقد رُفع الحظر وعادت فكرة إحياء ما دثر الى المجتمع الإسلامي، لكن بعد ما اختلط الحابل بالنابل، ونُشرت موضوعات كثيرة ومجعولات مفتريات عديدة عن طريق الأحبار والرهبان في الأوساط الإسلامية، وقد كتب المحدثون بعد زوال الحظر في عهد عمر بن عبد العزيز على شكل صحائف غير مرتّبة ولا منظمة وقد نظمت ورتبت بعد زوال دولة الأمويين عندما أخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم[٢]، لأغراضٍ سياسيّة معلومة.

---

١. تذكرة الأعيان للشيخ جعفر السبحاني: ٢٠ ـ ٢١.

٢. ينظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٨٢. أبو جعفر المنصور هو عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ثاني حكّام بني العباس، ولد سنة ٩٥هـ في قرية الحميمة جنوب الأردن، وتولّى الحكم بعد موت أخيه السفّاح سنة ١٣٦هـ، وفي سنة ١٥٨هـ ذهب الى الحج ومات قبل أن يدخل مكة المكرمة. وهو الذي أسس للمذاهب الأربعة!

ولم يكن عمل عمر بن عبد العزيز في جمع الحديث من أجل جمع سنّة رسول الله ﷺ، بل كان لتدوين ما صدر عن أبي بكرٍ وعمر وعثمان من اجتهادات وآراء، ليسجّل في الضمن آراءهم قِبلَه، وإن كان قد خالفهم في أمره بالتدوين، ولذلك انفصلت مدرسة الخلفاء عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقيل: إنّ أوّل من جمع الآثار عندهم: ابن جريج بمكّة (ت ١٥٠هـ)، وابن إسحاق (ت ١٥١هـ)، أو مالك بالمدينة (ت ١٧٩هـ)، والربيع بن صبيح بأرض السند (ت ١٦٠هـ)، أو سعيد بن أبي عروبة (ت ١٥٦هـ)، أو حمّاد بن سلمة بالبصرة (ت ١٦٧هـ)، وسفيان الثوري (ت١٦٨هـ)، والأوزاعي بالشام (ت ١٥٧هـ)، وهيثم بواسط (ت ٢٠٧هـ)، ومعمَّر باليمن (ت ١٥٣هـ)، وجرير بن عبد الحميد بالريّ (ت ١٨٨هـ)، وابن المبارك بخراسان (ت ١٨١ هـ)، أمّا أصحاب الصحاح فعصرهم متأخّر.

وقد ذكر الحافظ الذهبي في (تذكرة الحفّاظ) أنّ أوّل زمن التصنيف وتدوين السنن وتأليف الفروع كان بعد انقراض دولة بني أُميّة سنة (١٣٢هـ) وتحوّل الدولة إلى بني العبّاس، قال: ثمّ كثر ذلك في أيّام الرشيد، وكثرت التصانيف وأخذ حفظ العلماء ينقص، فلمّا دُوّنت الكتب اتّكل عليها، وإنّما كان قبل ذلك علم الصحابة والتابعين في الصدور[1].

والذين ألّفوا عاشوا في النصف الثاني من القرن الثاني، وقد ذكرنا تاريخ وَفياتهم، وبهذا يظهر صحّة ما قاله الذهبي ومَن قال بأنّ التدوين ابتدأ في النصف الثاني من القرن الثاني، وأمّا أتباع أهل البيت فقد كتبوا حديثَ

---

١. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٧٩.

النبيّ ﷺ وعلومه منذ عصر النبوّة، وحُفِظت كتابتهم ووصل إلينا الكثير منها بإعجوبة وإعجاز، حيث مرّت على أتباع أهل البيت ظروفٌ لا يتمكّن فيها الإنسان أن يظهر ولاءه لأهل البيت عليهم السلام فضلاً عن أن يتحدّث بأحاديثهم، وسرد الوقائع في ذلك يحتاج إلى تسويد أوراق.

وأمّا دفن الكتب وإحراقها وإغراقها فهو أمر عجيب لا ندري بأي تفسير نفسّره، إلّا أن يُفسّره ويُعلّله مَن قاموا بذلك!

المصادر

١. **القرآن الكريم**

٢. **سنن ابن داود** ـ سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٠٢ هـ ـ ٢٧٥ هـ)، تحقيق وتعليق : سيّدمحمّد اللّحام، نشر : دارالفكر، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٠ هـ، ١٩٩١ م .

٣. **صحيح الجامع الصغير وزياداته** ـ محمّد ناصر الألباني (١٣٣٣ هـ ـ ١٤٢٠ هـ) .

٤. **أعيان الشيعة** ـ السيّد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤ هـ ـ ١٣٧١ هـ)، حققه وأخرجه حسن الأمين، نشر: دارالتعارف للمطبوعات، بيروت ـ الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م .

٥. **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** ـ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ)، نشر دارالفكر، بيروت .

٦. **دائرة معارف القرن العشرين** ـ محمّد فريد وجدي (١٢٩٥ ـ ١٣٧٣ هـ)

٧. **رجال النجاشي** ـ أحمد بن علي النجاشي (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ)، تحقيق: آية الله العظمى السيّد موسى الشبيري الزنجاني، نشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، الطبعة الخامسة، سنة ١٤١٦ هـ.

٨. **معالم العلماء** ـ محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (٤٨٩ ـ ٥٨٨ هـ)، قدّم لها السيّد صادق آل بحرالعلوم، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

٩. **الفهرست** ـ الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيّومي، نشر: مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧ .

١٠. **تاريخ آداب اللغة العربيّة** ـ جرجي زيدان (١٢٧٨ ـ ١٣٣٢ هـ).
١١. **المراجعات الريحانيّة** ـ محمّد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤ ـ ١٣٧٣ هـ).
١٢. **نوابغ الرواة في رابعة المئات** ـ الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٠.
١٣. **الذريعة** ـ الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩ هـ)، نشر: دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
١٤. **تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام** ـ حسن بن هادي بن محمّد الصدر (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤ هـ)، نشر: الأعلمي، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧.
١٥. **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة** ـ السيّد علي خان المدني (١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ)، قدّم له: العلّامة السيّد محمّد صادق بحرالعلوم، نشر: مكتبة بصيرتي، قم، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٧.
١٦. **شيخ الباحثين آقا بزرك الطهراني** ـ عبد الرحيم محمّد علي ـ مطبعة النعمان ١٣٨٩ هـ.
١٧. **تاريخ مدينة دمشق** ـ ابن عساكر الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، نشر: دارالفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.
١٨. **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال** ـ المشهور بالمتقي الهندي (٨٥٥ ـ ٩٧٥ هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حيّاني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقّا، نشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، سنة ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م.
١٩. **المصنف لابن شيبة** ـ عبد الله بن محمّد المشهور بابن أبي شيبة (١٥٩ ـ ٢٣٥ هـ)، ضبطه وعلّق عليه: الأستاذ سعيد اللحّام، إشراف وطبع: مكتب الدراسات والبحوث في دارالفكر، سنة ١٤٠٩، ٨ أجزاء.
٢٠. **من لا يحضره الفقيه** ـ الشيخ الصدوق (بعد ٣٠٥ ـ ٣٨١ هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٦.
٢١. **عوالي اللآلي** ـ ابن أبي جمهور الأحسائي (٨٤٠ ـ بعد ٩٠٩ هـ)، قدّم له: آية الله العظمى السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: البحّاثة المتتبّع الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى، قم، سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

٢٢. **جامع بيان العلم وفضله** ـ ابن عبد البر الأندلسي المالكي (٣٦٨ ـ ٤٦٣ هـ)، نشر دارالكتب العلميّة، بيروت، سنة ١٣٩٨.

٢٣. **صحيح ابن حبّان** ـ محمّد بن حبّان بن أحمد (٢٧٠ ـ ٣٥٤ هـ)، رتبة: الأمير علاءالدين علي بن بليان الفارسي (٧٣٩)، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣م.

٢٤. **المستدرك على الصحيحين** ـ محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥ هـ)، بإشراف: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشيلي نشر: دارالمعرفة ـ بيروت، ٤ أجزاء.

٢٥. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ـ محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ).

٢٦. **أمل الآمل في علماء جبل عامل** ـ محمّد بن الحسن بن علي الحر العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني [الإشكوري]، نشر: الجزء الأوّل: مكتبة الأندلس ـ بغداد، والجزء الثاني: دارالكتاب الإسلامي ـ قم، جزءان.

٢٧. **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ الحسن بن زين الدين الجبعي العاملي (٩٥٩ ـ ١٠١١ هـ).

٢٨. **الفوائد الرجالية** ـ محمّد مهدي بحر العلوم (١١٥٥ ـ ١٢١٢ هـ)، حققه وعلق عليه: محمّد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، الطبعة الأولى، نشر: مكتبة الصادق، طهران، سنة ١٤٠٥.

٢٩. **تحفة العالم في شرح خطبة المعالم** ـ السيّد جعفر آل بحر العلوم (١٣٥٣ ـ ١٤١١ هـ).

٣٠. **كتاب السنن** ـ محمّد بن يزيد بن ماجة (٢٠٩ ـ ٢٧٣ هـ)، تحقيق وتعليق: محمّد فؤاد عبد الباقي، نشر: دارالفكر، بيروت.

٣١. **مسند الدرامي** ـ عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي (١٨١ ـ ٢٥٥ هـ)، طبع بعناية محمّد أحمد دهمان، دمشق، سنة ١٣٤٩.

٣٢. **المعجم الطبراني الكبير** ـ سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ ـ ٣٦٠ هـ)، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، مزيدة ومنقّحة، الطبعة الثانية، ٢٠ جزءاً.

٣٣. **مصنّف عبد الرّزاق الصنعاني** ـ عبد الرّزاق بن همّام بن نافع الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١١ هـ)، عنى بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه: الشيخ المحدّث حبيب الرحمن الأعظمي، ١١ جزءاً.

٣٤. **مسند أحمد** ـ أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني الذهلي (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ)، وبهامشه: منتخب كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال للمتّقي النهدي، نشر: دار صادر ـ بيروت، ٦ أجزاء.

٣٥. **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ـ عز الدين أبي الحسن الجزري ـ ابن الأثير، (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ)، من منشورات: إسماعيليان ـ طهران، ٥ أجزاء.

٣٦. **مجلّة رسالة الإسلام** ـ العدد الرابع ـ السنة الرابعة ـ عبد الوهّاب حمودة.

٣٧. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ)، تحرير: الحافظان الجليلان: العراقي وابن حجر، نشر: دارالكتب العلميّة ـ بيروت، سنة ١٤٠٨، أجزاء.

٣٨. **صحيح البخاري** ـ محمّد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ)، نشر دارالفكر، بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول، سنة ١٤٠١، ٨ أجزاء.

٣٩. **لسان العرب** ـ محمّد بن مكرم بن علي ابن منظور (٦٣٠ هـ ـ ٧١١ هـ)، نشر: أدب الحوزة ـ قم، سنة ١٤٠٥.

٤٠. **جواهر الأدب** ـ أحمد بن إبراهيم الهاشمي (١٢٩٤ ـ ١٣٦١ هـ).

٤١. **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** ـ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ).

٤٢. **موجز علوم القرآن** ـ داود العطّار.

٤٣. **تاريخ التمدن الإسلامي** ـ جرجي زيدان (١٢٧٨ ـ ١٣٣٢ هـ).

٤٤. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ـ أحمد بن محمّد بن ابراهيم المعروف بابن خلّكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ)، تحقيق إحسان عبّاس، نشر: دارالثقافة ـ بيروت، ٧ أجزاء.

٤٥. **خطط الشام** ـ محمّد كرد علي (١٢٩٣ ـ ١٣٧٢ هـ).

٤٦. **المسلمون في تاريخ الحضارة** "للدكتور ستانوود كب" أستاذ تاريخ الأديان بجامعة هارفارد ـ ترجمة محمّد فتحي عثمان.

٤٧. **بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب** ـ محمود شكري الآلوسي (١٢٧٣ ـ ١٣٤٢ هـ).

٤٨. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ـ أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ)، شرح و تحقيق، محمّد حسين شمس الدين، نشر: دارالكتب العلميّة ـ بيروت.

٤٩. **سفرنامة** ـ ناصر خسرو (٣٩٤ ـ ٤٨٠هـ).

٥٠. **الكتاب العربي منذ نشأته حتّى عصر الطباعة** ـ يوهنس بيدرسن ـ دار كنعان للدراسات والنشر، ١٩٨٩م.

٥١. **خزائن الكتب العربيّة في الخافقين** ـ فليب دي طرازي (١٨٦٥ ـ ١٩٥٦م)

٥٢. **تاريخ المكتبات في البلدان العربيّة** ـ ده خيال، محمّد مهدي الجواهري.

٥٣. **ديوان المتنبي**.

٥٤. **تاريخ بغداد** ـ أحمد بن عبد المجيد المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧، ١٤ جزءاً.

٥٥. **الحضارة الإسلامية** ـ أحمد زكي باشا.

٥٦. **معجم الأدباء** (إرشاد الأريب الى معرفة الأديب) ـ ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ)، مصحّحة ومنقّحة، نشر: دارالفكر ـ بيروت، سنة ١٤٠٠.

٥٧. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط** ـ أحمد بن علي المقريزي (٧٦٤ ـ ٨٤٥هـ).

٥٨. **خريدةالقصر وجريدةالعصر** ـ محمّد بن صفي الدين المعروف بعماد الدين الإصفهاني (٥١٩ ـ ٥٩٧هـ).

٥٩. **الحصون المنيعة في ردّ ما أورده صاحب المنار في حقّ الشيعة** ـ السيّد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١هـ).

٦٠. **مجلة كلية الآداب** ـ العدد ١٤، سنة ١٩٧٠.

٦١. **ديوان ابن المعتز.**

٦٢. **مجلة الغري** ـ السنة التاسعة، عدد ١٧، ١٨.

٦٣. **تقييد العلم** ـ أحمد بن عبد المجيد المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ)، تحقيق وتعليق: يوسف العش، الطبعة الأولى ١٩٤٩، الطبعة الثانية ١٩٧٤ نشر دار إحياء السنة النبويّة.

٦٤. **ديوان صفي الدين الحلي.**

٦٥. **الكنى والألقاب** ـ الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩ هـ)، قدّم له: محمّد هادي الأمينى، نشر: مكتبة الصدر، طهران.

٦٦. **درّة الحجال في أسماء الرجال** (ذيل وفيات الأعيان) ـ أحمد بن القاضي (٩٦٠ ـ ١٠٢٥ هـ).

٦٧. **كنز الفوائد** ـ محمّد بن علي الكراجكي (المتوفى سنة ٤٤٩ هـ)، نشر : مكتبة المصطفوي ـ قم، الطبعة الثانية، سنة ١٤١١.

٦٨. **إحياء علوم الدين** ـ محمّد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ)، نشر : دارالكتب العربي، بيروت، في ١٨ أجزاء.

٦٩. **مجلة الدستور** ـ سنة ١٩٤١م، العدد ٨٦٣.

٧٠. **نفح الطيّب من غصن الأندلس الرطيب** ـ أحمد بن محمّد المقري التلمساني (٩٨٦ ـ ١٠٤١ هـ).

٧١. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ـ عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧ هـ).

٧٢. **القاموس المحيط** ـ محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ).

٧٣. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ـ محمّد بن محمّد مخلوف (١٢٨١ ـ ١٣٦٠ هـ).

٧٤. **الاستيعاب في أسماء الأصحاب** ـ يوسف بن عبد الله القرطبي المعروف بابن عبد البرّ (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ).

٧٥. **تأويل مختلف الحديث** ـ عبد الله بن عبد المجيد المعروف بابن قتيبة (٢١٣ ـ ٢٧٦ هـ).

٧٦. **النصّ والاجتهاد** ـ عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ ـ ١٣٧٧ هـ)، تحقيق وتعليق: أبو مجتبى، الطبعة الأولى، قم، سنة ١٤٠٤.

٧٧. **منع تدوين الحديث** ـ علي الشهرستاني (معاصر).

٧٨. **شرف أصحاب الحديث** ـ أحمد بن عبد المجيد المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ).

٧٩. **علل الحديث** ـ عبد الرحمن بن محمّد المعروف بابن أبي حاتم (٢٤٠ ـ ٣٢٧ هـ).

٨٠. **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل** ـ الميرزا حسين بن محمّد تقي النوري (١٢٤٥ ـ ١٣٢٠ هـ)، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٨، ١٨ جزءاً.

٨١. **أصول الكافي** ـ محمّد بن يعقوب الكليني (حوالي ٢٥٩ ـ ٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق: على أكبر الفغاري، نشر : دارالكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانيّة، سنة ١٣٨٨.

٨٢. **المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة** ـ السيد محسن الأمين العاملي(١٢٨٤ ـ ١٣٧١ هـ).

٨٣. **تدوين السنّة الشريفة** ـ محمّد رضا الجلالي (معاصر).

٨٤. **تاريخ القرآن** ـ أبو عبد الله الزنجاني (١٣٠٩ ـ ١٣٦٠ هـ).

٨٥. **بحارالأنوار الجامعة لدررأخبار الأئمة الأطهار** ـ محمّد باقر المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١١ هـ)، نشر : مؤسسة الوفاء بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣.

٨٦. **تذكرة الحفّاظ** ـ محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ)، تصحيح وتحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي، نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ٤ أجزاء.

٨٧. **تاريخ التراث العربي** ـ فؤاد سزكين (ولادته ١٩٢٤م).

٨٨. **أضواء على السنّة المحمديّة** ـ محمود أبو ريّة (١٨٨٩ ـ ١٩٧٠م)، الطبعة الخامسة، مزيدة، محقّقة، نشر البطحاء.

٨٩. **أمالي الشيخ الصدوق** ـ أبو جعفر، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تحقيق ونشر : قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧.

٩٠. **تدوين الحديث عند الشيعة الإمامية** ـ محمّد علي مهدوي (معاصر)، نشر : هستى نما، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٣١.

٩١. **الإمامة والتبصرة من الحيرة** ـ علي بن الحسين بن بابويه القمّي (المتوفى سنة ٣٢٩هـ)، التحقيق والنشر: في مدرسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، قم، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤هـ.

٩٢. **بصائر الدرجات** ـ محمّد بن الحسن بن فروخ الصفّار (المتوفى سنة ٢٩٠هـ)، تقديم و تعليق وتصحيح: العلّامة الحجّة الحاجّ الميرزا محسن كوچه‌باغي، نشر: منشورات الأعلمي، طهران، سنة ١٤٠٤هـ.

٩٣. **السنن الكبرى** ـ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٣٨٤ـ٤٥٨هـ).

٩٤. **علل الشرائع** ـ أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، قدّم له: السيّد محمّد صادق بحرالعلوم، من منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥.

٩٥. **الطبقات الكبرى** ـ محمّد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد (١٦٨ ـ ٢٣٠ هـ)، نشر: دار صادر ـ بيروت، ٨ أجزاء.

٩٦. **مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام** ـ عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ـ١٣٧٧هـ).

٩٧. **غريب الحديث** ـ أبو عبيد القاسم بن سلام المعروف بابن سلام (١٥٤ ـ ٢٢٤هـ)، طبع بإشراف: الدكتور محمّد عبد الحميد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، حيدرآباد، الدكن، الهند، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٨٤هـ.

٩٨. **الكامل في ضعفاء الرجال** ـ عبد الله بن عدي الجرجاني، المعروف بابن عدي (المتوفى سنة ٣٦٥هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، مع قراءة وتدقيق على المخطوطات، ليحيى مختار عزاوي، الطبعة الثالثة، نشر: دارالفكر ـ بيروت، سنة ١٤٠٩هـ.

٩٩. **تاريخ الخلفاء** ـ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٨٤٩ـ ٩١١هـ).

١٠٠. **الملل والنحل** ـ جعفر السبحاني.

١٠١. **تذكرة الأعيان** ـ جعفر السبحاني.

١٠٢. **القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع** ـ فتح الله بن محمّد بن جواد المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني (١٢٦٦ ـ ١٣٣٩هـ)، دراسة فقهيّة في الحديث والرجال وعقائد أهل السنّة حول البخاري وكتابه الصحيح، لفقيه الطائفة فتح الله بن محمّد جواد، شيخ الشريعة

الأصبهاني، تقديم: آية الله جعفر السبحاني، تحقيق: الشيخ حسين الهرساوي، نشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، سنة ١٤٢٢.

١٠٣. **الإصابة في تميّز الصحابة** ـ أحمد بن علي بن محمّد بن علي العسقلاني (٧٧٣ـ٨٥٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمّد معوض، نشر: دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤١٥، ٨ أجزاء.

١٠٤. **تذكرة خواص الأُمة** ـ يوسف بن عبد الله المعروف بالسبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤هـ).

١٠٥. **كتب التراث بين الحوادث والانبعاث** ـ حكمت بشير ياسين.

١٠٦. **شرح نهج البلاغة** ـ عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ)، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، طبعة دار إحياء الكتب العربية، أفيست مؤسسة مطبوعاتى إسماعيليان، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٨، ٢٠ أجزاء.

١٠٧. **ابو هريرة شيخ المضيرة** ـ محمود أبو ريّة (١٨٨٩ ـ ١٩٧٠م)، الطبعة الثالثة، مزيده ومعدلة، نشر: دارالمعارف ـ مصر.

١٠٨. **معجم البلدان** ـ ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، سنة ١٣٩٩، ٥ أجزاء.

١٠٩. **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه** ـ محمّد مصطفى الأعظمي.

١١٠. **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام** ـ محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ـ٧٤٨هـ).

١١١. **أبو ذر الغفاري** ـ عبد الله السبيتي

١١٢. **وعّاظ السلاطين** ـ علي الوردي (١٩١٣ـ ١٩٩٥م).

١١٣. **السنّة** ـ عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني (٢٠٦ـ٢٨٧هـ).

١١٤. **من حياة الخليفة عمر بن الخطاب** ـ عبد الرحمن أحمد البكري (معاصر).

١١٥. **التاريخ الكبير** ـ محمّد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ـ٢٥٦هـ).

١١٦. **أخبار القضاة** ـ محمّد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع (المتوفى سنة ٣٠٦هـ).

١١٧. **صور من حياة الصحابة** ـ عبد الرحمن رأفت باشا (معاصر).

١١٨. **الفهرست** ـ محمّد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم (المتوفى سنة ٤٣٨ هـ)، تحقيق: رضا تجدد.

١١٩. **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب** ـ عبد الحسين بن أحمد الأميني المعروف بالعلّامة الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ)، عنى بنشره، الحاج حسن إيرانى صاحب دارالكتب العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٧ هـ.

١٢٠. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ـ أحمد بن علي بن محمّد بن علي العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ).

١٢١. **تاريخ ابن خلدون،** المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ـ عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ)، نشر : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الرابعة.

١٢٢. **فتوح البلدان** ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (بداية القرن الثالث الهجري ـ ٢٩٧ هـ)، نشره وإلحاق وفهرسة : الدكتور صلاح الدين المنجد، القاهرة ـ مصر، سنة ١٩٥٦ م.

١٢٣. **تاريخ اليعقوبي** ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ).

١٢٤. **الفتوحات الإسلامية** ـ أحمد بن زيني دحلان (١٢٣١ ـ ١٣٠٤ هـ).

١٢٥. **الإسلام في عصر العلم** ـ محمّد فريد وجدي (١٢٩٥ ـ ١٣٧٣ هـ).

١٢٦. **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** ـ علي بن يوسف القفطي (٥٦٨ ـ ٦٤٦ هـ).

١٢٧. **تاريخ الفكر العربي** ـ إسماعيل مظهر (١٨٩١ ـ ١٩٦٢ م).

١٢٨. **الأصول العامّة للفقه المقارن** ـ للسيّد محمّد تقي الحكيم (١٣٣٩ ـ ١٤٢٣ هـ)، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩ م.

١٢٩. **إختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي** ـ الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد ميرداماد الأسترآبادى (١٠٤١ هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، نشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، سنة ١٤٠٤ هـ، جزءان.

١٣٠. **الوثائق الإسلامية** ـ دار العلوم ـ الرياض.

١٣١. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ـ يوسف بن تغري بردي (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ)، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ المؤسسة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٣٢. **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس** ـ عبّاس بن علي بن حيدر المكّي (١١١٠ ـ ١١٨٠هـ).

١٣٣. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ـ الإصفهاني (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ).

١٣٤. **صفوة الصفوة** ـ عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ).

١٣٥. **الأعلام** ـ خير الدين الزركلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦هـ)، نشر: دارالعلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٨٠م، ح أجزاء.

١٣٦. **تهذيب التهذيب** ـ أحمد بن علي بن محمّد بن علي العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ)، نشر: دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٤هـ، ١٢ أجزاء.

١٣٧. **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ـ علي بن الحسين بن علي المسعودي (٢٨٣ ـ ٣٤٦هـ)، تحقيق: الأستاذ يوسف أسعد داغر، من منشورات دارالهجرة، ايران، قم، الطبعة الأُولى ـ بيروت، سنة ١٣٨٥هـ، الطبعة الثانية ـ ايران، قم، دارالهجرة، ١٤٠٤هـ.

١٣٨. **الإسلام والحضارة** ـ محمّد كرد علي (١٢٩٣ ـ ١٣٧٢هـ).

١٣٩. **حياة الحيوان الكبرى** ـ كمال الدين الدميري (٧٤٢ ـ ٨٠٨هـ)، نشر: دارالكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٤.

١٤٠. **مجلة العربي** ـ العدد ١٥٤، سنة ١٩٧١م.

١٤١. **أصالة الحضارة العربيّة** ـ ناجي معروف بن عبد الرّزاق (١٣٢٨ ـ ١٣٩٧هـ).

١٤٢. **حرق الكتب في التراث العربي** ـ ناصر الحزيمي (معاصر).

١٤٣. **معجم رجال الحديث** ـ السيّد أبو القاسم بن علي أكبر الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٢هـ)، الطبعة الخامسة (طبعة منقّحة ومزيدة)، سنة ١٤١٣هـ، ٢٤ جزءاً.

١٤٤. **قاموس الرجال في تحقيق رواة الشيعة** ـ محمّد تقي التستري (معاصر).

١٤٥. **فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء** ـ أحمد بن محمّد بن عبد الله المعروف بابن عربشاه (٧٩١ ـ ٨٥٤هـ).

الفهرس